الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة **كلية الآداب واللغات**

قسم اللغة العربية وآدابها

جهود علماء توات في الدرس اللغوي

من خلال الشروح

(دراسة وصفية تحليلية)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص:

الدراسات اللغوية عند الجزائريين قديما وحديثا

من إعداد الطالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بقادر لبوخ بوجملين

الموسم الجامعي: 1433هـ/1434هـ . 2012م/2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة **كلية الآداب واللغات**

قسم اللغة العربية وآدابها

جهود علماء توات في الدرس اللغوي

من خلال الشروح

(دراسة وصفية تحليلية)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص:

الدراسات اللغوية عند الجزائريين قديما وحديثا

أعضاء لجنة المناقشة

د: الشريف ميهوبي	جامعة: باتنة	رئيسا
أ.د: لبوخ بوجملين	جامعة ورقلة	مقررا ومشرفا
أ.د: جودي المرداسي	جامعة باتنة	مناقشا
د: محمد بن صالح	جامعة مسيلة	مناقشا
أ.د: عمار شلواي	جامعة بسكرة	مناقشا

من إعداد الطالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بقادر لبوخ بوجملين

الموسم الجامعي: 1433هـ/1434هـ ــ 2012م/2013م

نوقشت يوم: 2014/04/21م

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَـٰنِ اِلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روح الوالدين الكريمين رحمهما الله تعالى .....بِرًّا وإحساناً

إلى أساتذتي حيّهم وميّتهم .....شكرًا وعِرفانًا

إلى الزوجة العزيزة رفيقة الدرب، وأم البنين والبنات .....حبًّا وامتنانًا

إلى الأولاد: عبد المنير، المهدي، عبد العزيز، أم كلثوم، خديجة....عطفًا وحنانًا

إلى إخوة الرّحم .....صلةً وتقديرًا

مقدمـــــــــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على أكرم خلق الله، محمدٍ المصطفى وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين:

يُعدُّ الدرس اللغوي من أهم الدروس التي اهتم بها العرب المسلمون عبر القرون، وذلك لعلاقته الوطيدة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ فالدرس اللغوي هو الذي يبحث في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي؛ معجما وأصواتا، وحروفا، ومفردات، وتراكيب، وأساليب.

ولمّا كان الأمر كذلك فقد أولى المسلمون هذا الدرس أهمية كبرى فبدأ متداخلا لا تكاد تتضح حدود فروعه التي شملها علم العربية، وشيئا فشيئا أخذت تلك الفروع تتضح معالمها وتتمفصل ليستقل كل فرع بعلم خاص به فكان علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعاجم...

وكان لكل جيل، بل لكل قطر من أقطار العالم العربي والإسلامي دوره في استكمال بناء هذا الصرح العلمي واتضاح معالمه وحدوده؛ فالدرس اللغوي كان كالكائن الحي ينمو ويتطور، فكل جيل وكل قطر يزيد فيه شيئا حتى نضج واشتد عوده ووصل إلى ما هو عليه اليوم، ولا يزال ينمو ويزيد بزيادة النضج العلمي والعقلي، وهذا خلق الله وفطرته في الأشياء.

ونظرا لهذه الطبيعة والفطرة التي خلقها الله في الكائنات التي تجلت لنا مظاهرها في الدرس اللغوي، وذلك لأنه شيء من الأشياء التي خلقها الله تعالى، فما كان له (الدرس اللغوي) أن يشذ عن هذه الفطرة والطبيعة؛ فقد كانت لنا فيه مدارس أخذت أسماء الأقطار التي نشط بها علماؤها وأبرزوا فيها جهودهم من أجل إقامة هذا البناء، واشتد التنافس بينها في إحراز قصب السبق فيه وما زاد ذلك التنافس الدرس إلا نضجا واتساعا ونماءً.

ومن هنا كان لكل قطر من أقطار العالم العربي والإسلامي علماؤه الذين كانت لهم جهود في اللغة؛ ومن الجهود التي وصلت إلينا أعمال علماء البصرة، والكوفة، وبغداد،

ومصر، والشام، والأندلس، والمغرب العربي، ولا تزال الجهود في الدرس اللغوي متواصلة مواصلة الحياة، وتتسم الجهود في كل قطر بسمة ظروفه الاجتماعية والطبيعية.

ولمّا كانت الجزائر قطرا من أقطار العالم العربي، وجزءًا لا يتجزأ عنه فكان لها علماؤها الذين كانت لهم جهودهم في استكمال هذا البناء كأمثال يحيى بن معطي الزواوي (ت: 628هـ)، وأحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي (ت: 684هـ)، ومحمد بن أحمد بن مرزوق (ت: 842هـ)، وابن زكري التلمساني (ت: 900هـ)، وابن مرزوق الكفيف (ت: 901هـ)، وغيرهم في أقاليم الجزائر من تلمسان إلى بجاية إلى بسكرة وتوات وغيرها من الأقاليم.

وتوات هذا الإقليم الذي يحرس الحدود الجزائرية الجنوبية الغربية، الغائر في أعماق الصحراء ورغم ظروفه الطبيعية والمناخية القاسية والصعبة، إلا أن جماعته استغلت تلك الإمكانات الطبيعية والاقتصادية التي وهبهم الله إياها؛ من موقعٍ جغرافي استراتيجي؛ فتوسطهم الصحراء الكبرى جعلهم معبرا للقوافل القادمة من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب نحو الشمال، وبُعْدِهم عن مناطق الصراع السياسي جعلهم من أكثر الناس أمنا؛ مما جعل الإقليم ملجأ لكثير من العبّاد والعلماء والصالحين، الأمر الذي جعله محط رحال الكثير منهم أمثال الشيخ مولاي سليمان بن علي (ت: 670هـ)، وأبي يحيى محمد المنياري (ت: 840هـ)، وميمون بن عمرو بن محمد الباز الفاسي (ت: 890هـ)، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909هـ)، وسالم العصنوني (ت:968هـ)...، والذين كان لهم أثرهم في نشر العلم والمعرفة بالإقليم.

لقد برع علماء توات في علوم كثيرة منها الفقه، والتاريخ، والقضاء، والفلك، والطب، والرياضيات، وعلوم اللغة، ومع كل هذا الموروث الثقافي والعلمي والمعرفي، لم يشفع للإقليم في تبوء مكانته التاريخية بين كبريات العواصم الثقافية وطنيا على الأقل، بل ظل الحديث عنه إلى وقت قريب خصوصا عند كثير من الجزائريين حديثا خافتا باهتا، إن لم يكن حديث إشارة وإيماء.

لقد انتشرت الزوايا التي حملت على عاتقها كل العبء العلمي والثقافي والمعرفي في الإقليم، فكانت المدرسة والجامعة، تخرج منها العديد من علماء اللغة الذين كان لهم دورهم الفعّال في إضافة لَبِنات إلى هذا البناء والصرح العملاق (الدرس اللغوي)؛ فقد أسهم علماء توات في هذا الدرس مستثمرين ما أعطاهم الله تعالى من إمكانيات طبيعية واقتصادية ـ على قلتها ـ فجدّوا واجتهدوا في فروع علوم اللغة (معاجم، صرف، نحو) وعلى مختلف الأشكال والأنماط؛ من متون، وشروح، وحواشٍ وتعاليق...

وإيمانا مني بمساهمة الجميع في الحفاظ على التراث اللغوي، والذاكرة الجماعية، وكسر جدار الصمت المضروب حول إقليم توات، وانطلاقا من وقوفي الشخصي على كثير من الآثار اللغوية العربية بتوات، وحول شروح المتون اللغوية أردتُ أن تكون أطروحتي موسومة بـ: "جهود علماء توات في الدرس اللغوي من خلال الشروح (دراسة وصفية تحليلية)"، ولم تكن هذه الدراسة لتنطلق من العدم أو من الفراغ وإنما هي ثمرة جهود أكاديمية، وأخرى غير أكاديمية سَبِقَتْهَا في هذا الميدان ـ حسب علمي ـ، فهي تلتقى معها في جوانب، وتختلف عنها في جوانب أخرى، وهذه بعض الدراسات الأكاديمية التي كانت سبّاقة في هذا الميدان:

- التاريخ الثقافي لإقليم توات للدكتور حاج أحمد الصديق (كتاب مطبوع) 2003م.
- محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره للدكتور أحمد جعفري (كتاب مطبوع) 2004م.
- الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري للدكتور أحمد جعفري (أطروحة دكتوراه) جامعة تلمسان 2007م.
- ألفية الغريب لمحمد الزجلوي دراسة وتحقيق لعبد القادر بقادر (رسالة ماجستير) جامعة أدرار 2009م.

- محمد بن أب المزمري التواتي الجزائري وجهوده في النحو للأستاذ عماري عبد الله (رسالة ماجستير) جامعة ورقلة 2010م.
- من أعلام التراث الكنتي المخطوط محمد بن بادي حياته وآثاره للدكتور حاج أحمد الصديق (كتاب مطبوع) د ت.

ومن الدراسات غير الأكاديمية أذكر:

- قطف الزهرات من أخبار علماء توات لعبد العزيز سيدي عمر المهداوي (كتاب مطبوع) 2002م.
- النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 الهجري لعبد الحميد بكري(كتاب مطبوع) د ت.
- الرحلة العلية إلى منطقة توات...للشيخ محمد باي بلعالم(كتاب مطبوع) د ت.

تلكم هي الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي ألتقي معها في دراستي هذه وقد افترق معها في نقطة جوهرية مهمة؛ فإذا كانت بعض الدراسات قد مسّت توات من جانب شخصية معينة، أو من جانبها التاريخي، أو من جانب المشهد الثقافي العام، فإن دراستي هذه قد جاءت متخصصة جدًّا فهي تتناول الجانب اللغوي في المشهد الثقافي، وزيادة في التخصص فهي تدرس شروح المتون العلمية في الدرس اللغوي (نحو، صرف، معاجم) دراسة وصفية تحليلية، حاصرة الزمن من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجريين.

وكان لزاما أن تنطلق هذه الدراسة من إشكال يحدد إطارها العام، وكان ذلك الإشكال على النحو الآتي:

يعتقد الكثير بأن الدرس اللغوي العربي حكرٌ على علماء المشرق العربي، ولا أثر فيه للمغاربة عموما وعلى الخصوص الجزائريين، وأن إقليم توات سادته حركة ثقافية غلب فيها

الجانب الفقهي أكثر من غيره، ولم يكن للغة نصيب في تلك الحركة إلا ما تعلّق منها بالفقه. فإلى أي مدى يمكن تصديق هذا الاعتقاد؟

ومن هذا الإشكال انبثقت عدة أسئلة حاولت الدراسة الإجابة عنها، منها:

- هل صحيح أن الجزائريين لم يكن لهم إسهام في الدرس اللغوي؟
- أليس من الاجحاف أن نبخسهم حقهم في تحريك وتفعيل الحركة اللغوية في العالم العربي؟
- في توات وحدها ما يزيد عن اثنتين وخمسين خزانة مخطوطات تضم شتى أنواع الكتب في مختلف العلوم، ألا يوجد ضمنها مخطوطات لغوية لعلماء تواتيين، وبالتالي فهم جزائريون؟
- من الطبيعي أن تكون انطلاقة الدرس اللغوي من الدين وبخاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ألم تنطلق الدراسة اللغوية في المشرق من هذا المنطلق؟
- وهل كانت شروحهم اللغوية قائمة على متون مشرقية أم على متون محلية؟
- فما هو الجديد الذي جاء به علماء توات في الدرس اللغوي تحديدا؟

تلكم هي بعض التساؤلات التي حاولت الدراسة الإجابة عنها وإن كان غيرها كثير سنلمسه بين طيات أوراق الدراسة.

ومن هنا كانت الفرضيات التي تطرحها الدراسة وتراهن عليها كالآتي:

عرفت توات حركة ثقافية علمية نظرا لموقعها الجغرافي وتوسطها الصحراء الكبرى، مما جعلها تكون ممرا للقوافل التجارية التي كانت تحمل معها العلماء، وطلاب العلم فضلا عن

التّجار، مما نشّط وفعّل المشهد العلمي والثقافي بالإقليم، فكان للغة نصيبُها الوافر على مسرح الأحداث، إذ لا فقه خارج علوم لغة.

فهل كان علماء الفقه هم أنفسهم علماء اللغة؟

وما هي اهتماماتهم اللغوية؟

ما هي طرائق التأليف التي انتهجوها في الدرس اللغوي؟

وماذا تمثل تلك الأعمال بالنسبة للدرس اللغوي العربي عموما؟

وللوصول إلى نتائج وإجابات عن التساؤلات التي تطرحها الإشكالية، وبهدف الإلمام بحيثيات الموضوع والوقوف على أهم جوانبه اعتمدتُ على الخطة التي تشكلت من فصل تمهيدي، وثلاثة أبواب؛ وكل باب يتكون من فصلين؛ عالج الفصل التمهيدي الجانب التاريخي للإقليم من حيث موقعُه الجغرافي، وسببُ تسميتِه بتوات، ونشاط الحركة العلمية والثقافية فيه، أما الباب الأول فقد كان مخصصا للدرس النحوي بتوات؛ معالجا فيه نشأة النحو العربي عموما في توطئة، ثم التعرّض للدرس النحوي بإقليم توات في الفصل الأول من الباب؛ فتحدثتُ عن ظروف إنتاجه، ومواطنه، وأعلامه، ونصوصه عارضا تلك النصوص النحوية التي تمثلت في المنظومات، ثم تعرضتُ للشروح النحوية بالإقليم واصفا لها من حيث الجانب الشكلي، ثم تحليلها كل ذلك في الفصل الثاني من الباب.

أما الباب الثاني فقد خصصتُه للشق الثاني من الدرس اللغوي بإقليم توات ألا وهو الصرف؛ متتبعا مراحل نشأته واستقلاله عن النحوي العربي في توطئة، ثم الدخول للدرس الصرفي بإقليم توات في الفصل الأول من الباب، فتطرقتُ إلى جهود علماء توات الصرفية وبشكل خاص المنظومات، ومدى اهتمامهم بها؛ لِمَا لها من دور في تعليمه وتعلمه، ثم أعقبتُها بدراسة في تلك الجهود، وفي الفصل الثاني من الباب تطرقتُ إلى جهود علماء توات في الشروح الصرفية دارسا إياها دراسة وصفية ثم تحليلية.

وفي الباب الثالث تعرضتُ للدرس المعجمي بتوات، فكانت البداية بالمعجم العربي؛ نشأته وأصنافه، ومدارسه في توطئة، ومن ثَمَّ الدخول إلى الدراسة المعجمية بإقليم توات في الفصل الأول من الباب واهتمامهم بها، حيث أَلْفَيتُ بعض الجهود فيه، فدرستها دراسة تحليلية، وفي الفصل الثاني من الباب تعرضتُ إلى الشروح التي وُضعتْ على المعجم العربي في توات، ولم أجد إلا شروحا قليلة على متون أصحابها من توات، وأخرى أصحابها من غير أهل توات، فكانت دراستها وصفية تحليلية.

منتهجا في الدراسة المنهج الوصفي واصفا به تلك النصوص، ومحللا لها بهدف الوقوف على المنهج المتبع فيها، وشواهدها المستشهد بها في الظواهر اللغوية، وموقف أصحابها من أقوال العلماء السابقين لهم في تلك الظواهر، ومستقرئا النصوص اللغوية بهدف الوقوف عليها واستقرائها وتفسيرها، مستعينا بالمنهج التاريخي على التفسير والتعليل للظروف التي أُنتِجَت فيها النصوص اللغوية، ومعرفة الأسباب الدافعة لإنتاجها وعلاقتها المباشرة بتاريخ الحركة اللغوية بالإقليم، وبعض أعلامها.

اعتمدتُ في هذه الدراسة بالدرجة الأولى على النصوص اللغوية التي أنتجها علماء توات من مصادر مخطوطة ومطبوعة، ثم بعض المصادر اللغوية ككتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، وأصول النحو لابن السراج، شافية ابن الحاجب وشروحها، وشروح ألفية ابن مالك، وكذا معاجم لغوية مثل: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور، وكذا بعض كتب التراجم وغيرها.

وكما هي عادة كل عمل أن تواجهه بعض الصعوبات التي سرعان ما تتلاشى؛ فقد واجهتني في البداية مصاعب جدية، كادت تنسف بالدراسة من جذورها لولا رعايةُ الله تعالى والصبرُ والعزيمةُ، ومن تلك الصعوبات أذكر:

- صعوبة الوصول إلى المخطوطات

- تحفّظ أصحاب الخزائن في إعطاء المخطوط، أو حتى الكشف عنه في بدء الأمر
- حالة الكثير من المخطوطات؛ فهي متآكلة وغير قابلة للتصوير في بعض الخزائن
- بعض المخطوطات غير كاملة؛ فهي إما أن تكون ناقصة البداية، أو النهاية، أو الوسط
- قلة الدراسات التي تناولت إقليم توات رغم ثراء الإقليم بالخزائن والمخطوطات في شتى التخصصات العلمية

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد، ولو بكلمة طيبة، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الأول الأستاذ الدكتور الطاهر مشري، ثم المشرف الثاني الأستاذ الدكتور محمد بوعمامة الذي تقبّل تولي الإشراف على هذه الأطروحة رغم الانشغالات، وفي الأخير الأستاذ الدكتور لبوخ بوجملين، وكذا أصحاب الخزائن بإقليم توات الذين تفهّمُوا الوضع ولم يبخلوا علي بما يخدم الدراسة؛ مِنْ فتح صدورهم وقلوبهم لي قبل فتح أبواب الخزائن أمامي.

عبد القادر بقادر

ورقلة يوم:2012/09/30م

الفصـــــــل التمـــهـيـــــــدي

أولا: توات الجغرافية والسكان

1 ـ الموقع الجغرافي والفلكي:

ظلت توات عبر العصور مركزا إقليميا حساسا ومعبرا استراتجيا للقوافل التجارية مما جعلها تكون ملتقى العلماء والزهاد والصالحين.

في الجهة الشرقية للقسم الجنوبي من وادي الساورة مع القسم الأعلى لوادي مسعود الذي هو امتداد لوادي الساورة في الجنوب[1] تتخذ توات موقعا جغرافيا لها. كما يزيد امتدادها من تبلكوزة حتى عين صالح، وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم هي: إقليم قورارة، وإقليم توات الوسطى، وإقليم تيديكلت. وتنتشر واحات توات على طول وادي الساورة ووادي مسعود وسبخة تيميمون.

أما الموقع الفلكي فهي تقع ما بين خطي طول 01 درجة شرقا، و03 درجات غرب خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض 20 درجة إلى 30 درجة شمالا[2].

2 ـ جغرافية السكان:

اعتقد أحد الباحثين (جسال) gsell أن توات قد استوطنتها شعوب من أصل بيض، ومن حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن 6 ق.م. وأن الرومان قد عبروا المنطقة عند مرورهم إلى فيقيق وبلاد السودان خلال الفترة ذاتها[3].

[1] ـ ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9 إلى القرن 14 الهجريين، عبد الحميد بكري، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، د ط، د ت، ص: 19.

[2] ـ جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار .دليل ولاية أدرار .ص:03.

[3] ـ ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11إلى القرن 14هـ/(17 -20م)، حاج أحمد الصديق، ط: 01، 2003م، ص:38.

ويتفق المؤرخون على أن توات كانت أمازيغية قبل الفتح الإسلامي[1]، ومن أقدم قصورها قصر تمنطيط التي كانت عامرة منذ عهد الفراعنة[2]. ويرجع تاريخ إعمارها إلى ما قبل الإسلام، بالإضافة إلى هذا فقد كانت منطقة عبور وحركة وحيوية؛ فقد تمت بها مختلف أشكال التبادل؛ من السلع إلى التبادل الاقتصادي فالاجتماعي كالعادات والتقاليد منذ زمن بعيد، كما كانت كذلك ملتقى الأديان، أضف إلى ذلك تبادل الثقافات والعلوم والأفكار والفنون ومنها الأدب واللغة وكذا علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث...

لم تكن توات غائبة الذكر عن كتب الرواة والكُتّاب والرحالة والمؤرخين؛ فقد ذكروها ووصفوها وتحدثوا عن أخبارها؛ فنقلوا ما بها من مظاهر اقتصادية وثقافية ودينية. وكذا أخبار أهلها وسماتهم وأوصافهم، وأخبار الوافدين عليها، وأخبار علمائها كما ظهرت روايات عن سبب تسميتها باسم "توات" قديما وحديثا.

3 ـ تسمية الإقليم:

تعددت الروايات واختلفت حول تسمية الإقليم بهذا الاسم "توات"، ووصلت إلى حد التضارب وسوف أذكر كل الآراء والروايات التي ذكرت الخبر، وأبدأ برأي الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه "تاريخ السودان": أن سلطان مالي كنكن موسى كان ذاهبا إلى الحج في قوة عظيمة وجماعة كبيرة من جند وعبيد: "ومشي بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات فتخلف هنالك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابهم في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضع باسم تلك العلة"[3]

وقال الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق بن البكري في كتابه درة الأقلام: "أن سبب التسمية يعود إلى الدولة الموحدية؛ فملوك هذه الدولة ما عرفوا هذه الأرض إلا بكونها

---

1 ـ ينظر: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 م إلى 1902م، أحمد العماري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ط: 01، 1408هـ ـ 1988م، ص: 11.

2 ـ ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات... ص: 39.

3 ـ تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1858م، ص: 7.

منطقة مليئة بالخيرات، فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات، ومن يومها غلب عليها الوصف فصار أهلها يُعرفون بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه، ثم سقطت أداة التعريف فأصبحت توات"[1] وهو ما يرجحه الأستاذ حوتية في كتابه[2]

وقال مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني: "وإنما سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة، أي أنها تليق بها، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة، فلذلك سكنها كثير من أولياء الله الكُمّل العارفين، وقيل من الأتوات أي المغارم والمكوس أو الفواكه"[3]

ورأى "محمد بن المبارك" أن كلمة توات أصلها أعجمي؛ فقد كانت قبائل من لمتونة جاءت إلى توات في منتصف القرن السادس الهجري(12م) فأطلق هذا اللفظ[4].

ويروي "ماندوفيل" mandeville عن اسم توات أنه من إطلاق الطوارق والعرب على مجموعة من الواحات تتواجد بالمنخفض العميق لوادي الساورة ووادي مسعود[5].

وجاء في مضمون رواية "روكليس"RECLUS أن أصل كلمة توات بربري معناه الواحة[6].

ويرى الأستاذ بوساحة أن توات تطلق على الأماكن المنخفضة قليلا في اللهجة البربرية، فيقول: "وفي جسم الإنسان فإن المقصود بكلمة "توات" هو ذلك الجزء الداخل من جسم الإنسان والذي يقع تحت القفص الصدري، وفي جسم الحيوان فإن الثنايا التي تشكل الأمعاء

---

1 ــ درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم البكري، مخطوط بخزانة كوسام، ص: 6.

2- توات والأزواد، حوتية محمد الصالح، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 1، 2007م، 38/1.

3 ــ نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني، تح: مولاي عبد الله الطاهري، طبعة حجرية، 2010م، ص:24.

4 ــ إقليم توات بين القرنين 18 و19 الملاديين، فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1977م، ص: 02.

5 ــ ينظر:توات في مشروع التوسع الفرنسي، ص: 11.

6 ــ نفسه.

يطلق عليها اسم ثوات. إذن فكلمة توات أو ثوات معناها شيء منخفض أو داخل، أو شكل يحمل صورة مجموعة الثنايا"[1].

أما محمد الرصّاع فقد ذكر بأن اسم توات ما هو إلا اسم لأحد بطون قبائل الملثمين، إذ قال: "والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق ولمطة ولمتونة والتوات"[2].

أما محمد بن عومر بن محمد بن أحمد بن الحبيب بن محمد المبروك البوداوي صاحب مؤلف "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات"، يرى أن أصل التسمية يرجع لعهد الفتح الإسلامي للمنطقة، حين فتح عقبة بن نافع المغرب وبعد وصوله إلى توات سنة 62هـ/681م سأل إذا ما كانت المنطقة تواتي لنفي العصاة، فأجابوه بأنها تواتي فانطلق اللسان بذلك[3].

ومن بين المؤرخين الذين حاولوا إيجاد تفسير لغوي لتسمية توات، المؤرخ الفرنسي مارتان –A.G .Martin– ذكر بأن أصل التسمية يعود إلى مفردة (وَا = Oa)، التي توجد في عدة لغات كالعربية والإغريقية. وقد وجدت هذه المفردة لدى زناتة، وهي تعبير لغوي أضيف إليه حرف التاء في المقدمة وفي المؤخرة فصار توات[4].

كما أن صاحب مخطوط "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" محمد عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، هو الآخر أوجد للفظ توات مستندا لغويا يعنى التوت، وهو من الفواكه والجمع "أتوات" لذا عُرِفت البلاد بأهل الأتوات وبعد حذف التعريف والمضاف صارت "توات"، والذي يدل على المنطقة الممتدة جغرافيا من تبلكوزة إلى عين صالح، أما تاريخ

1 ـ أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، بوساحة ، دار هومة الجزائر، د ط، 2002م، ص: 79.

2- فهرست الرصاع، الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق وتعليق محمد العنابي، تونس: المكتبة العتيقة، ط: 1976م، ص: 127.

3- ينظر: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، محمد بن المبروك البداوي، مخطوط بخزانة الجعفريين ببودا، ص: 4.

4 - A.G.P.MARTIN, A la frontière du Maroc les oasis sahariennes. Alger: Edition de L'imprimerie Algérienne, 1908, P: 41.

عمارتها فيرجع إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية ثم كثرت عمارتها بعد جفاف وادي قير[1].

كما ذهبت الباحثة بن عبد المؤمن بهية أن أصل الكلمة بربري، لأن أول من قطن المنطقة البربر الذين قاموا باختطاط القصور التي حملت أسماءهم إلى غاية اليوم رغم التعريب الذي مس الإقليم[2].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن أصل كلمة توات شمل عدة تفسيرات ومعان متباينة، منها ما كان تاريخيا ومنها ما كان تفسيرا لغويا محضا. فبالنسبة للرواية التي جعلت التسمية مرتبطة بالإتاوة مرفوضة، لأن توات أدت المغارم لجميع الدويلات القائمة بالمغرب، كما لو أن كل إقليم أدى الإتاوة لدولة ما سمي بتوات لتعدد هذا الاسم وانتشر في سائر الأقطار، والأقرب إلى الصواب هو ما ذهبت إليه الباحثة بن عبد المؤمن بهية أن أصل الكلمة بربري.

وما يرجّح هذا الرأي من بين الروايات المختلفة؛ هو أن أصل التسمية بربري ونعلل لذلك بتسمية جل قصور توات التي هي تسميات غير عربية (أمازيغية)؛ فهي تبدأ بحرف التاء وقد تختم به كما هو الحال في تسابيت، وتوات... وكذلك أن أصل السكان من البربر، والرواية القائلة بأنها الأراضي المنخفضة، فعند قدومك إليها من جهة الشمال تجد نفسك وكأنك تتحدر نحو الأسفل، وكذلك معظم قصور توات تقع في منخفضات الأودية، لملائمة أراضي هذه الأخيرة للزراعة.

وقد استبدل اسم توات بأدرار مع نهاية القرن الثالث عشر(19م) وبداية القرن الرابع عشر الهجريين؛ أي مع طلائع الاستعمار الفرنسي للمنطقة 1900م.

1- توات والأزواد، 38/1.
2- الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (من خلال نوازل الغنية للبلبالي)، بن عبد المؤمن بهية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006م، ص: 3-4.

4 ـ وصف الإقليم:

وصَف الإقليم كثير من الرحالة والكتّاب بأوصاف مختلفة تكاد تصل إلى حد التناقض؛ فيقول عنها أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي: "بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع، ذات عيون جارية وأنهار، على مر الليالي والنهار"[1]

ويقول أحد الرّحالة الغربيين في وصف توات: "إن غابات النخيل تمتد من إيقلي إلى تاوريرت، ويمكن للمرء أن يسير تحت ظلالها من بني عباس إلى عين صالح وما بعدها، على مسافة تبلغ 400 كلم، و250 من الشرق إلى الغرب مروراً بكورارة وتوات"[2]، كما وصفها الوزان الفاسي في كتابه "وصف إفريقيا": "تسابيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديدة، سكانه فقراء، لا تنبت أراضيهم غير التمر وقليلا من الشعير بشرتهم سمراء إلا أن نساءهم جميلات سمروات"[3].

وعن تنجورارين قال: "تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا شرق تسابيت، حيث يوجد بها ما يقارب من خمسين قصرا وأكثر من مائة بين حدائق النخيل وسكانها أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان...يأكلون لحم الجمال ويستعملون في طعامهم الشحم الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان"[4].

---

1 ــ أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040 - 1042هـ / 1630 - 1633م، تح: محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، فاس، 1388هـ /1968م، ص: 28 و29.

2 ــ "توات والتدخل الفرنسي"، محمد المعزوزي، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص: 116 .

3 ــ وصف إفريقيا، حسن بن محمد الوزان الفارسي، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1983م، 133/2 ــ 134.

4 ــ نفسه.

ويضيف في ذات السياق: "وتدبير الشؤون بأيدي رؤساء الفرق وكثيرا ما يتقاتلون بينهم ويتناطحون إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء، ويؤدون عادة إتاوة صغيرة للأعراب"[1]

الملاحظ من خلال آراء وأقوال "الحسن الوزان" أنه ذكر تسابيت وتيكورارين وقد وصف كل منهما على حده رغم أنهما من إقليم واحد، كما يلاحظ أنه وصف الأولى بالفقر والثانية بالغنى، كما ذكر بعض مظاهر الحياة فيهما؛ من وصف الأراضي والنساء والنخيل والطعام وشؤون السياسة ومعاملة الغرباء ووداعتهم معهم رغم الظروف التي يمرون بها.

ويقول العياشي عنها: "وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا، واشترينا ما يحتاج إليه من تمر، وبها من التمر أنواع كثيرة...وجل عيشيهم التمر...وبخارج البلد مرعة حسن للإبل"[2]

وقد رسم ابن بطوطة لتوات صورة أخرى تمثلت في قوله: "وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات... ودخلنا بودة وهي من أكبر قصور توات وأرضها رمال وسبخة وثمرها كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإن أكثر أكل أهلها التمر والجراد"[3].

أما ابن خلدون قد انبهر بها ووصفها بالمستبحرة في العمران وقد وقف على مناطق منها أهمها تمنطيط وتوات وتكورارين فعن توات وتمنطيط يقول: "وطن توات وفيه قصور متعددة تتاهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط، وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلاد مالي من

1 ــ وصف إفريقيا، ص: 134.

2 ــ الرحلة العياشية 1661م ــ 1663م، عبد الله بن محمد العياشي، تح: سعيد الفضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر ولتوزيع، أبو ظبي، إ ع م، ط: 01، 2006م، 79/1.

3 ــ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، تح: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1405هـ ــ 1985م، 700/2 ــ 702.

السودان"[1]، أما عن تيكورارين (قرارة) فيقول: "منها قصور تيكورارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من الغرب إلى الشرق واستبحرت في العمران وغصّت بالسكان"[2]

وهذه صورة أخرى رسمها لها الشيخ مولاي أحمد الإدريسي الحسيني فقد قال عنها: "توات أرض ذات سباخ، كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها"[3]

كما رأينا فكلٌّ رسم لتوات صورة مختلفة عن الأخرى، أو بمعنى آخر كل رآها من زاوية تختلف عن زاوية الآخر؛ فابن بطوطة نظر إليها على أنها أرضها رمال وسباخ وقليلة الطعام، ورآها ابن خلدون مستبحرة في العمران وآهلة بالسكان، أما مولاي أحمد فقد رآها شديدة الحرارة وغير صالحة للزراعة، وهذا الاختلاف ناتج عن:

- تباعد الزيارات لكل واحد من أولئك الرّحالة والكُتّاب، فالأزمنة لها أثرها على البيئة، فإذا كانت بها غابات نخيل وذات أشجار مختلفة، كيف صارت ذات سباخ ورمال وأرضها غير صالحة للزراعة؟
- مجال التخصص فكل واحد منهم نظر إليها من مجال تخصصه؛ فابن خلدون مثلا نظر إلى من الجانب العمراني، لأنه واضع علم الاجتماع.
- الجانب النفسي لكل رّحالة، والأمر يتعلق بابن بطوطة الذي كان قد هيأ نفسه بإعداد الطعام والزاد الجيد.

[1] ــ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى (تاريخ ابن خلدون)، ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1421هـ ــ 2000م، 76/7 ــ 77.
[2] ــ تاريخ ابن خلدون، 77/7.
[3] ــ نسيم النفحات...، ص: 57.

5 ــ تشكيلة سكان توات:

يتشكل سكان توات من ثلاث فئات تختلف عن بعضها البعض اختلافا ظاهرا؛ وهم البربر السكان الأصليون، والعرب الذين جاؤوا مع الدين الإسلامي، والزنوج الذين استقدموا من السودان للخدمة في البيوت والبساتين ويعرفون اليوم بالحراثين. وإن إقليم توات كان مفتوحا على هجرات القبائل المختلفة على فترات متعاقبة وفي ظروف مختلفة منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي. وهناك من يقول قبل ذلك بقرون مشيرا إلى عهد الفراعنة[1] وقد استقرت القبائل بالإقليم فشكّلت المدن والقصور. وفي ما يلي سنتعرض إلى تشكيلة سكان الإقليم.

(أ) ـ البربر (الأمازيغ):

هم السكان الأصليون لمنطقة المغرب العربي؛ وهم كذلك أقدم أمة عرفها الشمال الإفريقي[2].

لكن ما معنى كلمة (بربر) جاء في معجم مقاييس اللغة: "والبربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان...ولعل اشتقاق البربر من هذا"[3]، وجاء في لسان العرب: "البربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان، وقيل: الصياح. ورجل بربار إذا كان كذلك؛ وقد بربر إذا هذى...وبربرٌ جيل من الناس يقال أنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان"[4]

اختلفت الروايات في نسب البربر، أهم عرب أم غير ذلك؟ فمن النسابين من أرجعهم إلى العرب وحسب زعمهم أن البربر اتخذوا اسم أحد آبائهم البعيدين وهو بر بن قيس عيلان، إلا

---

1 ــ ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات ...، ص: 39.
2 ــ ينظر: عقبة بن نافع الفهري، محمود شيت خطاب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 5، 1397هـ ــ 1977م، ص: 23.
3 ــ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1420هـ ــ 1999م، مادة: (بر)، 96/1.
4 ــ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 3، 2004م، مادة: (بر) 60/2.

أن بعضهم الآخر شكك في ذلك[1] وقال: "ما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا"[2]، وذهب آخر إلى أن البربر هم من أبناء مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام[3]

والبربر هم السكان الأصليون للمغرب العربي وينقسمون إلى قبيلتين كبيرتين هما قبيلة (البتر)، وقبيلة (البرانس) وكل قبيلة من القبيلتين تتفرع عنها قبائل الصغرى، وهم من الناحية الاجتماعية كذلك قسمان بربر الحضر، وبربر الرُّحَّل[4].

كما أنهم أول من اختط الإقليم حسب كثير من الآراء؛ قال ابن خلدون: "التي اختطها الزناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات ثم جودة [بودا]، ثم تمنطيط، ثم واركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشمل على قصور ذات نخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها"[5] وهو ذات الرأي الذي ذهب إليه محمد بن المبروك في كتابه[6] إذن من المؤكد أن البربر (الزناتة) هم أو من اختط قصور توات وقورارة وتيديكلت وهذا ما يؤكده واقع أسماء قصور توات من قصور قورارة مرورا بقصور تيمي وتوات وصولا إلى قصور تيديكلت.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف ومتى وصلوا إلى الإقليم؟

يقول ابن بابا حيدة حول أول من نزل بتمنطيط: "أول من نزل بها وبنى بها القصر الأول يقال: أنهم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفنت [تاشفينت] حين انكسرت دولتهم

1 ـ ينظر: عقبة بن نافع الفهري، ص: 23.

2 ـ جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، ط: 05، ص: 495.

3 ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1407هـ ـ 1987م، 62/1.

4 ـ ينظر: عقبة بن نافع الفهري، ص:29 ـ 32.

5 ـ تاريخ ابن خلدون، 77/6 ـ 78.

6 ـ ينظر: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، ص: 8.

بالمغرب والأندلس...فجاؤها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجدب، فعرفوا أنها أرض أمان، لأن الجند لا يطيق المقام بها، ولا مطمع له فيها"[1]

من كل ما سبق سواء في أصل التسمية، أو في أصل السكان يبين مدى تضارب الأقوال، وإن كانت جلها ترى أن البربر هم أول من سكن الإقليم وأن تسمية الإقليم بهذا الاسم بربري، إلا أن الأمر يبقى نسبيا فقط ولا نستطيع الجزم به.

(ب) العرب:

هم الوافدون على المغرب العربي مع الفتح الإسلامي سنة 21هـ على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، ووصل العرب إلى توات أفواجا بمجيء الإسلام إذ "توافدت العرب أفوجا في أزمنة متباعدة مثل أولاد محمد، والخنافسة، والمحارزة، وأولاد طلحة، وأولاد باحمو، وأولاد أعمر أملوك، وأولاد غانم، وأولاد الحاج، وأولاد منصور، وأولاد عابد، والأنصار، وغيرهم "[2].

ويمدنا الشيخ محمد باي بلعالم (2009م) بأمثلة أخرى للقبائل العربية التي دخلت أرض توات، ويعطينا جملة أخرى من العرب الوافدين على الإقليم، إضافة إلى هذا دخل في سنة 815هـ القاضي أبو يحي بن محمد لتوات وتولى القضاء بها[3].

وفي سنة 845هـ جاء السيد يحي بن إيدير شيخ الإمام المغيلي، فولي قضاء توات. أما الإمام السيد عبد الله بن أبي بكر العصنوني فكان دخوله سنة 870هـ، وفي السنة ذاتها جاء الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لتوات ولما رجع من رحلته وجد اليهود قد عاثوا

---

1 ـ القول البسيط في أخبار تمنطيط، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص: 16.

2 ـ "التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات وحضارتها"، محمد باي بلعالم، (محاضرة) ألقيت في أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أيام 13 ـ 14 شعبان 1405هـ / 3 ـ4 ماي 1985م، ص:44.

3 ـ نفسه، ص:44 ـ 45.

فسادا فقرر إخراجهم منها وتطهيرها منهم[1]. فالشيخ المغيلي كان له دور فعّال في المنطقة؛ حيث أنه كان يفيد ويستفيد، بالإضافة إلى ذلك فقد حارب اليهود، وكانت له ثورات ضدهم خيفة منه على أهل توات وعقيدتهم من خبث اليهود ومكرهم ومكائدهم .

في سنة 1012هـ جاء أولاد الشيخ دحو، ونزلوا بقصر بوزان بتيمي. وفي سنة 1016هـ جاء أولاد هلال ونزلوا عند الشيخ أبي حفص. وفي سنة 1027هـ جاءت قبيلة من واد سوف ونزلت بأولاد أوشن من قصور تيمي. وجاء الشيخ محمد بن مولاي عبد الله الشريف الوزاني للمنطقة[2].

ويوجد بالمنطقة الشرفاء العلويون والأدارسة والزوا أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكذا كناتة أولاد عقبة بن نافع الفهري الفاتح. وأولاد عمر بن الخطاب وهم الحفصيون وبنو العباس وبنو أمية ، والجعفريون والأنصار والطوارق، وأولاد زنان وأولاد يحيى وغيرهم[3].

ومع مطلع القرن السابع الهجري(13م) هاجرت إلى الإقليم قبائل عربية بعد أحداث القرامطة بالبحرين والفاطميين بمصر، فكان لهم دور كبير في تثبيت اللغة العربية ونشر الإسلام، بالإضافة إلى تمصير المدن وبناء القرى وإعمار الصحراء[4].

ويتضح من هذا أن القبائل العربية التي هاجرت إلى توات كان لها وقع إيجابي على الإقليم؛ إذ مكّنت للغة العربية أن تتبوأ تلك المكانة التي ستأخذها في القرون القادمة، كما مكّنت للدين الإسلامي من الانتشار في هذه الربوع، كما حملت معها المدنية والعمران، فقد

1 ــ نفسه، 44 ــ 45.
2 ــ "التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات وحضارتها"، ص: 45.
3 ــ نفسه.
4 ــ "استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط"، بوخالفة نور الهدى، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م، ص: 45.

ظهر بعد هذا القرن في توات علماء حملوا لواء الإسلام إلى إفريقيا الغربية، وخلفوا آثارا مازالت حبيسة الخزائن المنتشرة هنا وهناك في ربوع الإقليم، وذلك في مختلف الفنون والعلوم.

(ج) الموالي (الزنوج):

وهم ينحدرون من العبيد الذين جلبوا من بلاد السودان للعمل بالبساتين والزراعة ويطلق عليهم اليوم اسم (الحراثين) وهي مشتقة من العمل الذي كانوا يمارسونه ألا وهو الحرث والزراعة، ويتكونون من فئتين.

ونتج عن هذه التركيبة الاجتماعية أربع طبقات فصار المجتمع التواتي طبقيا وطبقاته هي: الأشراف: وهم آل البيت، والمرابطون: وهم أبناء الأنصار وبقية الصحابة رضوان الله عليهم، والعرب(الأحرار)، والزناتة، والحرّاثين: وهم العبيد الذين تحرروا من العبودية، والعبيد: وهم الذين لم ينالوا حريتهم(1).

[1] ـ ينظر هذه الطبقات والفئات بالتفصيل في: نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، محمد جرادي، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،، قسنطينة، الجزائر،2011م، ص: 37 ـ 47.

ثانيا: الحياة الاجتماعية

لا يكاد الباحث عن وضع توات قبل الإسلام يجد شيئا يُذكر عن الإقليم، وطبيعة أهله غير ما أورده "محمد بن عبد الكريم التمنطيطي[1]" في كتابه "دُرّة الأقلام"، فقد: "كانت تحت سيطرت حاكم سبيطلة وإفريقيا البطريك جريجوريوس الذي أعلن انفصاله عن ملك روما من أجل أن يوسّع ملكه وحكمه فجعل المنطقة تابعة إليه"[2]. كما أن توات كانت على عهد جريجوريوس هذا تدين بالنصرانية منهاجا وشريعة وسلوكا وحضارة.[3] وعلى كل يمكننا القول بأن توات قد عرفت الديانات السماوية الثلاث (اليهودية، والنصرانية، والإسلام).

فمن المرجّح إذن أن يكون لهذه الديانات الثلاثة أثرها على الحياة الاجتماعية لأهل توات ولكننا لم نعثر على شيء يقودنا إلى التسليم بذلك ويبقى مجرد تخمين لا غير، وما هو ثابت لدينا بالمخطوطات والرؤية العينية، هو أثر الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية لأهل توات؛ إلا أن بعض الممارسات الاجتماعية المستمدة من الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية ظلت مندسة بين التواتيين لفترات طويلة نظرا للفترة التي قضاها اليهود بالإقليم، وكذلك مخلفات الاستعمار الفرنسي.

فبعد وصول بعثات الفتح الإسلامي الأولى إلى المغرب العربي على يد الفاتح العربي "عقبة بن نافع الفهري"[4] (ت 64هـ /666م)، وبعد مرور السنون وصل الإسلام إلى توات عن

[1] ـ هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق ولد سنة 1300هـ بتمنطيط وإليه نسب، وبها تعلم ودرس، ثم انتقل إلى قصر كوسم فأخذ عن علمائها، تولى قضاء توات سنة 1354هـ، توفي سنة 1374هـ.(ينظر: النبذة في تاريخ توات...، ص:71 ـ 72).

[2] ـ درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص: 8.

3 ـ ينظر: نفسه.

[4] ـ عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الطرب بن أمية بن الحارث بن فهر القرشي، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان أبوه ممن نخس بزينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما توجهت إلى المدينة، مات أبوه قبيل الفتح، شهد فتح مصر واختط بها، ثم ولاه يزيد بن معاوية إمرة المغرب وهو الذي بنى القيروان توفي سنة 64هـ.(ينظر ترجمته كاملة في: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، درا العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 14، 1999م، 241/4، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، 253/4، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:01، 1412هـ ـ 1992م، 1075/3.).

طريق التجار والدُّعاة، واعتنقه أهلها، إلا أن هناك سؤالا يطرح نفسه: هل كانت توات كبقية بلدان المغرب العربي سرعان ما يرتدون؟

كما وصف عقبة بن نافع المغاربة وارتدادهم عن الإسلام في الكثير من المرات، فقال: "إن إفريقيا إذا دخلها إمام تحوّموا بالإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتد إلى الكفر"[1]، إن أهل توات بعد اعتناقهم الإسلام لم يرتدوا عنه ولم تتحدث المصادر القديمة أو الحديثة عن ارتدادهم عنه؛ بل كل الذين تحدّثوا عن توات وأهلها وصفوهم بأوصاف دالة على مكارم الأخلاق التي نادى الإسلام بها وسيتضح لنا الأمر مع عاداتهم وتقاليدهم.

1 ـ العادات والتقاليد:

يغلب على أهل إقليم توات من الناحية الاجتماعية طابعا عرفيا تقليديا مستمدا من مسحة الدين الإسلامي الحنيف، المفعم بالخصال الحميدة والموسوم باليسر والوضوح وعدم التكلف، وصفهم جيرهارد رولف الرحالة الألماني: "أنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء"[2].

وأما ديبورتر الكومندار الفرنسي فقد ذكر في تقريره أكثر من مرة تمسك أهل توات بدينهم وكرمهم مع الغرباء، وبالمسالمة مع جيرانهم[3]؛ فهذا يعني أنهم مسالمون مع مَنْ هاجر إليهم ومع مَنْ جاورهم.

من عاداتهم إكرام الضيف، إن توات إقليم صحراوي وطبيعة الصحراء معروفة لدى العام والخاص بأنها لا ترحم الإنسان (المسافر) الذي نفد زاده؛ ولهذا اتصف أهلها بصفة ورثوها عن العرب القدامى النازحين إليها من جزيرة العرب وغيرها، فالمسافر المنقطعة سبيله لا يجد حرجا في هذا الإقليم؛ فأهلها عملوا على تنمية نظام الضيافة بجعل بيوت مقصورة على الضيوف من مسافرين وزوار ومريدين، وذلك بتخصيص أوقاف خاصة بالمسجد تعين على

---

1 ـ تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 04، 1400هـ ـ 1980م، 126/1.
2 ـ التاريخ الثقافي لإقليم توات...، ص: 14.
3 ـ نفسه.

تلبية حاجيات الضيوف وغيرهم[1]، فمجرد دخول الضيف إلى القصر يجد من يتولى خدمته من إطعام ومأوى، والعادة عندهم على ضربين:

- ضرب تتناوب فيه الأسر الميسورة الحال في تقديم الطعام للضيوف والعلف لحيواناتهم، وهذا كله في دار المضيف بمعنى أن الضيف يقيم عند واحد من أهل القصر، وقد يكون الواجب على عاتق كل سكان القصر، فإذا قَدِم الضيف أخذه من كانت النوبة عليه، فلكل بيت ضيف.
- ضرب خَصَصَ دارا للضيافة وينفق على الضيف من اوقاف المسجد، فيقديم الطعام للضيوف والعلف لحيواناتهم، والضيف يقيم في دار الضيافة

وقد اختزلت الزوايا اليوم الضربين معا، وأصبحت هي التي تقوم بهذا الواجب، وهكذا فقد كان المسجد ولا يزال يقوم بوظائف جد مهمة في الحياة الاجتماعية.

ومن عاداتهم كذلك التقوى والصلاح، وبهما وصفهم كثير من الرحالة والمؤرخين من أمثال أبو سالم العياشي، وجيرهارد رولف الرحالة الألماني، وديبورتر؛ حيث أثبتوا تلك الصفات لهم، وبأنهم أهل طيبة وحسنِ الخلق، كما أنهم أهل كرمٍ مع الغرباء، وكل ذلك مستمد من روح الدين الإسلامي السمح، حتى صار عندهم عادة وتقليد متوارث.

ومن عادتهم التشاور فيما بينهم؛ وذلك بالتجمع بعد صلاة العصر بساحة عمومية قرب المسجد للتشاور في أمورهم الخاصة والعامة للقصر؛ لمساعدة المحتاج، وزيارة المريض وغير ذلك.

ومن العادات التي تميز بها التواتيون العمل الجماعي المعروف بـ (التويزة) الكلمة الأمازيغية وهو عمل جماعي يقوم به الرجال والشباب من أجل إنجاز عمل ما لا يستطيع

[1] ــ ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 22.

الإنسان إنجازه بنفسه؛ كإزالة الرمال أو إقامة الحواجز (أفراك) لوقف زحف الرمال أو حفر الفقارة أو غيرها.

وقد ذكر الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي مؤكدا عادات أهل توات وأثنى عليهم فقال: "إن الكلام عن أهل توات لجدير بالتقدير، والأخذ بعين الاعتبار، لأنها أرض العلم والعلماء، والأولياء الصالحين، وإنها لجديرة بهذا الوصف، لكون أهل العلم والصلاح فيها لهم القيادة والريادة والسيادة الاجتماعية والفكرية والروحية والتوجيهية، والباقون أتباع، وأنصار، وموالون، مما جعل الطابع العام للناس فيها هو التدين وانتهاج الأخلاق، والتقاليد الإسلامية الصحيحة من البذل، والعطاء في سبيل الله، والكرم، والضيافة، وحسن استقبال الزوار، وإجلال أهل العلم والقرآن، وتعظيم شعائر الإسلام، والمحبة البالغة للرسول صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته، وأصحابه، وخلفائه، وأئمة الدين، والعلماء العاملين، ومحبة العلم وأهله، وتقدير ذوي القدر والخير والشرف والصلاح"[1]، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حبهم للعلم وأهله ومرد ذلك إلى قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر الآية من 09.]

وعلى العموم فإن أهل توات يتميزون بنقاء الأخلاق وحسن الطباع وصفاء السريرة وأصالة العادات والتقاليد[2]

2 ـ النظام المعيشي:

إن الحديث عن النظام المعيشي بتوات ذو شجون فهم قد استمدوا نظامهم المعيشي من الطبيعة الصحراوية القاسية والقليلة الخيرات مما جرّهم إلى العيش فيها على شظف؛ فكان اعتمادهم بشكل كبير على الطبيعة وما تجود به، خاصة التمر كما وصفهم بذلك أبو سالم

[1] ـ نسيم النفحات، ص: 51.
[2] ـ ينظر: نسيم النفحات...، ص: 51.

العياشي وابن بطوطة بإن "أغلب قوتهم التّمر والجراد"[1] وهذا ما يفسر سرّ اهتمامهم بالنخيل كما عَرَفَهم بها الشيخ مولاي أحمد الطاهري؛ فالنخلة كانت ولا تزال أعزّ شيء يمتلكه الرجل التواتي.

وكانوا قديما يعتمدون في يومهم على وجبتين أساسيتين، وثالثة في أحسن الظروف عند ميسوري الحال؛ والوجبتان هما وجبة فطور الصباح التي تعتمد على الشاي بالدرجة الأولى ومعه شيء من الطعام إن وجد خبز تقليدي أو ما فَضُل عن العشاء أو تمر سواء كان رطبا أم يابسا مكسّرا ويعرف عندهم بـ (السُّفُوف)[2].

أما الوجبة الثانية فهي العشاء وهو في العادة الكسكس المصنوع من القمح أو الشعير ومعه مرق، وقد يكون خبزا محليا (كسرة)[3] أو(خبر رقيق) وما يعرف بخبز آنُّور[4] أو خبز القُلَّة[5].

أما الوجبة الثالثة التي تكون عند البعض فقط فهي الغداء الذي لا يتوفر للكثير آنذاك، ويكون مثل وجبة العشاء.

أما اليوم فليس هناك ما هو أسهل من الأكل والطعام، فهو متوفر ولله الحمد في كل وقت وعلى شتى الأنواع والأشكال.

---

[1] ـ ينظر: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 702/2.

[2] ـ من السفّة وهي الطعام الناشف أو التمر اليابس وقال الجوهري: سففت الدواء بالكسر أسففته بمعنى إذا أخذته غير ملتوت ...وكل دواء يؤخد غير معجون فهو سَفُوف... مثل سفوف حب الرمان ونحوه.(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 03، 1404هـ ـ 1984م، مادة (سفف)، ص: 1374..

[3] ـ الكسرة هي خبز يصنع من القمح المحلي، وطريقة صنعها توضع فوق الرضفة (الحجارة المصفحة المحمية بالنار) ثم يوضع عليها الرماد الحامي وتترك مدة زمنية معينة، ثم تقطع قطعا صغيرة بحجم اللقمة ويصب عليها اللبن أو المرق.

[4] ـ أنُّور كلمة أمازيغية تعني باللغة العربية التنور، وهو في توات إناء كبير يبلغ قطره حوالي 50 إلى 60 سنتمتر، يوضع في حفرة وتردّ عليه التراب حتي يكاد يستوي مع الأرض، ثم توقد فيه النار حتى يحمى، ثم يوضع الخبز بداخله حتى ينضج، يوضع في صحن ويصب من فوقه المرق، أو اللبن.

[5] ـ القلة في الأصل هي إناء يحفظ فيه الماء، وبعد مدة يحول إلى صناعة الخبز، أو تصنع من الطين خصيصا لتلك الوظيفة، فهي مثقوبة من جهتي الأعلى والأسفل، وتنصب على شكل مدفع توقد النار في داخلها من الأسفل ويخرج الدخان من الأعلى، وحين تصير حامية يوضع الخبز عليها بشكل رقيق (أرق من خبز أنور) ويشوي من الجهتين، ثم يوضع في صحن وتصب من فوقه المرق فقط.

ثالثا: الحركة العلمية والثقافية بتوات

بعد أن اعتنق أهالي توات الدين الإسلامي وصار الإسلام شريعة ومنهاجا وسلوكا وحضارة، وصُبغ كل شيء فيها بالصبغة الإسلامية من عادات وتقاليد وأعراف وغيرها فكلُّها إسلاميةٌ. عكف الناس على حفظ كتاب الله وتعربت ألسنتهم ونشطت الحركة العملية والفقهية واللغوية فازدانت البلاد بالزوايا والمراكز العلمية التي انتشرت بربوعها. وبلادٌ كان ذلك حالها وحال أهلها كتب الله لها أن يعم الخير أرجاءها فكانت مقصدا للعلماء والزهاد والصالحين.[1] وبذلك صارت توات مركز إشعاع علمي وإسلامي ليس في الجزائر فحسب بل في إفريقيا كذلك. وازداد التواصل العلمي والمعرفي وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثمّ انكبت النفوس على الدرس وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثمّ كان لنا هذا العمر الزاخر بالشعراء والأدباء في مختلف الفنون الأدبية والمؤلفين في شتى المجالات العلمية والمعرفية وكان ذلك كله في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[2]، والفضل كله في هذا إلى طرق الصوفية والزوايا التي أقاموها بتوات أو التي عرفها الإقليم.

1 ـ طرق الصوفية والزوايا:

تعد الزوايا والطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة والاهتمام من حيث وجودُها وانتشارُها، وبشكل خاص في إقليم توات وذلك لما لهذه الظاهرة من دور في التقليل من حدة الخلافات بين مختلف الفئات الاجتماعية، إلا أن الباحثين اختلفت نظرتهم إلى الظاهرة؛ فمنهم من ينظر إليها على أنها بُنِيَتْ على عصبية دينية أو قبلية، وآخر ينظر إليها على أنها وسيلة لتحقيق أطماع دنيوية على حساب الدين الإسلامي، وثالث ينظر إليها على أنها أوكار للبدع والخرافات، ورابع يراها مركز إشعاع علمي وثقافي إسلامي، وبغض النظر عن

---

1 ـ ينظر: نسيم النفحات، ص: 51.

2 ـ ينظر: محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وآثاره، أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 01، 1425هـ ـ 2004م، ص: 13.

هذه الاتجاهات فإن هذه الزوايا والطرق كان لها الفضل في نشر الإسلام والتمكين للغة العربية والحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

رغم اختلاف وجهات النظر نحو الزوايا والطرق الصوفية في توات إلا أنه من لا يمكن دراسة الحركة العلمية والثقافية بإقليم توات بمعزل عن الزوايا وطرق الصوفية؛ فالحركة الصوفية وزواياها كان لها الدور الفعّال في تقدّم وتطور الدرس اللغوي والفقهي بشكل خاص على جميع الأصعدة، ولهذا كان لعلماء وشيوخ الزوايا الدور الفعّال في تفتق الأذهان تنويرها حتى راحت تنافس نظرائها في الحواضر الثقافية في الغرب الإسلامي والمشرق العربي، وكل من قَدِم إلى توات من العلماء كانوا من رواد التصوف أو على الأقل ممن يحملون فكره على الأقل؛ بداية بالشيخ مولاي سليمان بن علي (ت: 670هـ)[1] مرورا بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909هـ)[2] الذي قدم إلى توات من مدينة تلمسان فرارا وبحثا عن مكان آمنٍ يَلُوذُ إليه، ووجد في توات المكان الملائم للعباد والعلم ونشره، فأسهم بدوره في نشر العلم ابتداء بأولاد سعيد بتيميمون ثم تمنطيط، وبعدها في مناطق أخرى من توات بوعلي بزاوية كنتة التي أسس بها زاويته القائمة إلى يوم الناس هذا والمعروفة باسمه "زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي"، وصولا إلى الشيخ محمد بن عمر المهداوي التمنطيطي (ت: 1113هـ)[3]، وكان لكل طريقة صوفية في توات زوايا ومقدمين[4]، ولسنا هنا بصدد الحديث عن الطرق الصوفية نشأتها وأعلامها وتعاليمها، وإنما سأتحدث عن تلك الطرق وزواياها ودورها في

1 ــ هو أبو داود سليمان "الملقب بـ أوشن" بن مولاي علي الشريف بن أعمر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي يرتفع نسبه إلى سيدنا علي كرم الله وجهه، وُلد حوالي سنة 549 هـ/ 1154م، وصل إلى توات حوالي سنة 591هـ ، واستقر به المقام بقصر أولاد أوشن، حيث أقام زاويته لطلاب العلم وإطعام الطعام، إلى أن توفي سنة 670هـ.(تقييدات عند الأستاذ ابن خويا ادريس، جامعة ادرار، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 74 ــ 75.)

2 ــ هو محمد بن عبد الكريم المغيلي نسبة لقرية مغيلة بتلمسان التي ولد بها سنة 820هـ، ويرجع نسبه إلى الحسن المثنى سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء إلى توات في سنة 875هـ، واستقر بها وكانت له نازلة مع يهودها الذين عاثوا في الأرض فسادا، أقام في توات وجلس للتدريس بها وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ، كما كانت له دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا، توفي سنة 909هـ وخلف آثارا قيمة في مختلف الفنون من تفسير ولغة وفقه.(ينظر ترجمته في: درة الأقلام، ص: 19، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، المغيلي، تح: رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، د ط، 1968م، ص: 9، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 77 ــ 80، والحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، جعفري أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007م، ص: 324 ــ 325.)

3 ــ لم نعثر له على ترجمة.

4 ــ المقدم هو نائب شيخ الطريقة في القصور.

الحركة التعليمية والعلمية وحتى الثقافية في إقليم توات، ومن أشهر الطرق الصوفية في توات:

(أ) الطريقة الشاذلية:

هذه الطريقة من أولى الطرق الصوفية التي وصلت إلى توات عن طريق الشيخ مولاي سليمان بن علي، ليس معنى ذلك أن إقليم توات لم يعرف الحركات الصوفية إلا مع مولاي سليمان بن علي، بل تشير بعض الوثائق البكرية إلى وجود العديد من الزوايا التي عرفها الإقليم منذ عهود بعيدة كانت مع دخول الإسلام إليه ومن تلك الزوايا زاوية عيسى، زاوية الغريبة، زاوية الحاج بأدغاغ وغيرها كثير، إلا أننا لا نعرف عن هذه الزوايا إلا أسماءها فقط[1]، والطريقة الشاذلية تعود إلى مؤسسها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، ويعود تأسيس هذه الطريقة إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، كما تعد هذه الطريقة من أقدم الطرق الصوفية استقرارا بالمغرب، وكان مركزها الأول في مراكش، ومن ثَم خرجت إلى جميع العالم الإسلامي، وكان لمرونة تعاليمها واعتدال منهجها أن تؤثر في الأوساط الاجتماعية، وتفرعت عنها طرق أخرى منها: الدرقاوية، والطيبية، والزيانية، واليوسفية، والزروقية...[2]، وترجع تعاليم الطريقة الشاذلية إلى ثلاثة علماء هم: أبو القاسم

---

[1] ـ ينظر: "واقع الطرق الصوفية بإقليم توات بين المرجعية المعرفية والممارسة العلمية"، ادريس بن خويا، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، عدد خاص، منشورات جامعة ادرار، 2008 ـ 2009م، 239/2.

[2] ـ ينظر: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح المؤيد العقبي، دار البراق، لبنان، بيروت، د ط، 2002م، ص: 149 و150.

الجنيدي[1]، أبو شعيب بومدين الأندلسي[2]، وعبد السلام بن مشيش[3]، تأثر أبو الحسن الشاذلي بشيخه عبد السلام بن مشيش وشيخه أبي مدين شعيب[4]

(ب) الطريقة القادرية:

انتشرت هذه الطريقة في ربوع إقليم توات انتشارا واسعا، وعرفت لها أتباعا أكثر من غيرها من بقية الطرق الصوفية. وتوات كغيرها من بلاد الجزائر التي عرفت بها هذه الطريقة هذا الانتشار الواسع، فلقد كان لكل قصر من قصور توات مقام يعرف باسم صاحب الطريقة " الجيلالي" نسبة إلى الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني[5]، وهكذا كان لهذه الطريقة "مقدمها" ومريديها في كل قصر من القصور، ويرجع تأسيس هذه الطريقة إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وقد كان انتشارها أول الأمر في المشرق العربي كما تعد الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وكان لأتباع هذه الطريقة وغيرها من الطرق الصوفية دور عظيم في الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين[6].

---

1 ــ هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، ولد ببغداد، كان أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه الصوفي بقواعد الكتاب والسنة، توفي سنة 297هـ ــ 910م ببغداد. (الأعلام، 141/2.)

2 ــ هو شعيب أبو مدين بن الحسن ولد 520هـ توفي في تلمسان، صوفي أصله من الأندلس أقام بفاس، ثم بجاية توفي بتلمسان وقد قارب الثمانين سنة، له مؤلفات عديدة.(ينظر: الأعلام، 166/3).

3 ــ هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن منصور بن إبراهيم الحسن عاش في عصر السلطان عبد المؤمن خلال القرن السابع الهجري توفي بالمغرب سنة 1225/622م.(الأعلام، 9/4.)

4 ــ ينظر: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، عمار هلال، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د ط، د ت، ص: 100.

5 ــ هو محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني يرتفع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد سنة 470 هـ بقرية جيلان وإليه ينسب نشأ يتيما من جهة الأب انتقل إلى بغداد لطلب العلم فأخذ عن شيوخها، وأخذ عنه خلق كثير توفي سنة 561هـ.(ينظر: عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، يوسف محمد طه زيدان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: 01، 1411هـ ــ 1991م، ص: 25 ــ 53.

6 ــ ينظر: الطرق الصوفية بالجزائر...، ص: 143 ــ 144، والطرق الصوفية ونشر الإسلام...، ص: 108 ــ 109.

(ج) الطريقة الموسوية:

تأسست الطريقة الموسوية على يد أحمد بن موسى[1] بمدينة كرزاز بولاية بشار، انتشر الطريقة انتشارا واسعا ببشار وتوات ولها في كل قصر من قصور توات "مقدمين". وقد أخذ أحمد بن موسى طريقته الصوفية عن الشيخ محمد بن عقبة الحضرمي، عن الشيخ الشريف القادري، وصولا إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(د) الطريقة الطيبية:

تأسست هذه الطريقة بالمغرب على يد الشيخ مولاي عبد الله الشريف، واستمد الطيبية أصولها وتعاليمها من الطريقة الشاذلية، وفي عهد مولاي الطيب ـ الذي عرفت الطريقة باسمه ـ ازدهرت الطريقة وانتشرت في المغرب والجزائر وهي تدعو إلى التقوى والتقرّب إلى الله تعالى، والقيام بالواجبات الدينية، وكذا الابتعاد عن الدنيا وزخرفها...[2]

(هـ) الطريقة التيجانية:

تأسست الطريقة التجانية على يد أبي العباس أحمد التجاني[3] بمدينة عين ماضي بولاية الأغواط، انتشرت بفضل القوافل التجارية انتشارا واسعا في كل أرجاء الجزائر وخارجها كذلك[4]، تستمد التيجانية تعاليمها من كتاب أحمد التجاني "جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض الشيخ التجاني" وهو الكتب الذي أملاه بنفسه على بعض تلاميذه؛ وضمنه تاريخ

---

1 ــ هو أحمد بن موسى بن خليفة ولد سنة 895هـ أو 897هـ بقرية موسى بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، درس على يد جملة من المشايخ، كما تنقل في العديد من البلدان بحثا عن العلم حتى استقر به المقام بمدينة كرزاز ومنها ذاع صيته واشتهرت دعوته، وصار له أتباع في المناطق المجاورة.

2 ــ ينظر: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 161، والإخوان دراسة انثولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، إدوارد دو نوفو، ترجمة وتح: كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص:33، والطرق الصوفية والزوايا بالجزائر...، ص: 227.

3 ــ هو أبو العباس أحمد التجاني ولد بعين ماضي ولاية الأغواط سنة 1150هـ، كان أبوه عالما وفقيها في الدين، حفظ القرآن الكريم وكان محبا للعلم شغوفا بطلبه تنقل في أماكن كثيرة منها الجزائر والمغرب وغيرها من البلدان، وكان يقيم زوايا حيث حل وارتحل حتى كثر أتباعه وأحبابه.

4 ــ ينظر: الطرق الصوفية ونشر الإسلام...، ص: 118، الزوايا والصوفية والعزابة...، ص: 161، والطرق الصوفية والزوايا...، ص: 175، والإخوان...، ص: 77.

حياته، وعقيدته الصوفية، ووصاياه إلى أتباعه[1]. وقد انتقلت الطريقة التجانية إلى توات عن طريق علي العين صالحي الذي أخذ الطريقة وسار بها إلى إقليم تيديكلت وأنشأ بها زاوية هناك تعرف بالزاوية التجانية.

2 ـ الزوايا وأعلامها بتوات قديما وحديثا:

(أ) مفهوم الزوايا وأنواعها:

الزاوية في صحاح العربية بمعنى الجمع والقبض، وزَوَى الشيءَ يَزْوِيهِ زَيًّا وزُوِيًّا: نحّاه فانزَوَى. وسِرَّهُ عنه: طواه. والشيء: جمعه وقبضه. والزَاوِيَة من البيت ركنه[2]. وقد تكون من الانواء الذي هو الانعزال والعزلة، أو العكوف على العبادة أو تلقي العلم بعيدا عن الناس والدنيا مشاغلها[3].

وفي الاصطلاح يقول دوماس: "أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"[4]، أو هي "مؤسسة دينية اجتماعية وثقافية ذات مهام ووظائف مختلفة"[5]، من التعريف اللغوي والاصطلاحي نرى بأن الزاوية تعني التجمع، والانقباض، والعزلة لأداء مهمة معينة ألا وهي العبادة وطلب العلم، ومن هنا فهي مكان يجتمع فيه أناس يشتركون في نفس المهمة.

---

1 ـ ينظر: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال بالجزائر، ص: 149 و150.

2 ـ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (زوا)، 2369/6، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (زواه)، 333/4.

3 ـ ينظر: الزوايا والصوفية والعزابة...، ص: 13، نقلا عن ليفي بروفنسال "الزوايا" دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي وآخرون، القاهرة، 1933م، 332/10.

4 ـ الزوايا والصوفية والعزابة...، ص: 13، نقلا عن دائرة المعرف الإسلامية...، 332/10.

5 ـ دراسات في التراث، محمد الدباغ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 119، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، أحمد الحمدي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1999م، ص: 68.

أنواع الزوايا:

ومن ذلك قسِّمت الزوايا إلى ثلاثة أقسام أو أنواع وهي: زوايا المشايخ، وزوايا المرابطين، وزوايا الطلبة[1]، وهناك من قسمها إلى: ومدارس لتلقي طرق الصوفية، وأماكن لإيواء المسافرين والمحتاجين، مدارس علمية[2]. وهذا الاختلاف لا يتجاوز الأسماء فقط.

زوايا المشايخ أو مدارس تلقي طرق الصوفية:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وغالبا ما يكون صاحب الزاوية هو شيخها[3]، الذي يكون صاحب الحل والربط فيها لا أحد يراقبه أو يحاسبه، يوفر لطلبة العلم كل حاجياتهم ويحدد المواد التي تدرس للطلبة، والزاوية تتكفل بالطلبة تكفلا تاما حيث يسود في الزوايا النظام الداخلي المجاني. وتعتمد الزاوية في التمويل على الملكية الخاصة بصاحبها وتبرعات المحسنين والصدقات...

زوايا المرابطين أو أماكن لإيواء المسافرين والمحتاجين:

وهي ملكية جماعية مواردها محبّسة (وَقْف) على الطلبة والمسافرين والمحتاجين تسير تسييرا جماعيا من طرف ذرية المؤسس الأول للزاوية[4]، والنظام فيها داخلي بالنسبة لطلبة العلم، إلا أنه على الطالب الجديد أن يدفع شيئا يسيرا من المال أو غيره لأصحاب الزاوية.

زوايا الطلبة أو مدارس علمية:

هي زوايا يتمتع فيه الطلبة بكامل الحرية في تسيير الزاوية أو المدرسة وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا وأدبيا واقتصاديا[1]، وهذا النوع من الزوايا فريد ووحيد في الجزائر؛ وهي زاوية عبد الرحمن اليلولي بولاية تيزي وزو[2].

---

[1] ـ ينظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر، الجزائر، د ط، د ت، ص: 103.

[2] ـ ينظر: دراسات في التراث، ص: 119.

[3] ـ ينظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، ص: 103.

[4] ـ ينظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، ص: 106 ـ 107.

إن الزوايا في إقليم توات تنحصر في النوعين الأول والثاني وفيها يدمج النوع الثالث، فكل الزوايا تدرس العلم للطلبة الفرق فقط في الأملاك فمنها ما يعتمد على الأملاك الموقوفة عليها، ومنها ما يعتمد على مصادر أخرى، وبعض الزوايا التي ظهرت مؤخرا تعتمد على ما تجود به يد الدولة على صاحب الزاوية بعد تحصلها على الاعتماد من الولاية.

تقوم الزاوية في توات على الوقف التابع لها؛ فلكل زاوية وقف، وعلى الهبات والمنح والتبرعات التي يدفعها أتباع الزاوية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول زاوية أسست بتوات كانت في القرن الخامس الهجري على يد مولاي سليمان بن علي، فقد جاء في وثيقة كتب عليها وقف لهذه الزاوية ما يأتي: "الحمد لله المعظم بجميع اللغات، الموصوف بأكرم الصفات، المُسَبَّحِ قي الأرض والسماوات...باسمك اللهم يا رب، وباسم نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نفتتح هذه الزاوية المباركة التي هي أول زاوية تفتح في منطقة توات ـ حسب علمنا ـ من طرف سليمان بن علي الفاسي الأصل الإدريسي نسبا، وذلك يوم فاتح محرم 585هـ بقرية أولا أوشن، وكل ما أملكه من أجنة بسقيها، ودور، وأملاك تحت حبوس الزاوية، اللهم يا رب وحد صفوفنا وكلمتنا وشملنا وبك نستعين"[(3)]

وفي ما يأتي هذا جدول يبين الزوايا والمدارس القرآنية بإقليم توات من القرن السادس إلى اليوم مرتبة ترتيبا زمنيا:

الرقم	اسم الموطن	مكان التواجد	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس
01	زاوية بني حماد	قصر حماد (تسابيت)	بنو حماد	القرن 06 الهجري (550هـ)
02	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	مولاي سليمان بن علي	القرن 06 الهجري جماد (581هـ)
03	زاوية محمد الطالب بن سليمان	قصر آدغا توات	قصبة محمد الطيب بآدغا	القرن 08 الهجري (780هـ)

[1] ـ ينظر: نفسه، ص: 119.
[2] ـ ينظر: نفسه، ص: 118.
[3] ـ وثيقة بخزانة سليمان علي بأدغا بلدية ادرار.

04	زاوية سيد الحاج لحسن الشريف	قصر جنتور قورارة	الحاج لحسن الشريف	القرن 08 الهجري
05	مدرسة تمنطيط	قصر تمنطيط	سيد البكري	القرن 09 الهجري
06	زاوية موسى والمسعود	قصر تسفاوت قورارة	موسى والمسعود	القرن 09 الهجري
07	مدرسة بوحامد	قصر بوحامد توات	أبو حامد الجعفري	القرن 09 الهجري
08	زاوية مراقن	قصر مراقن توات	محمد السالم	القرن 09 الهجري (879هـ)
09	مدرسة الشيخ المغيلي	قصر بوعلي توات	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن 09 الهجري
10	زاوية اعمر	تينكرام شروين	أحمد الغريب	القرن (09هـ)
11	زاوية ميمون	قصر ميمون توات	الإدريسيون القادمون من تلمسان	القرن 10 الهجري (916هـ)
12	زاوية الشيخ عمر	قصر إقسطن قورارة	محمد بن عمر	القرن 10 الهجري
13	زاوية الحاج بلقاسم	زاوية سيد الحاج بلقاسم	سيد الحاج بلقاسم	القرن 10 الهجري
14	زاوية با	قصر فاتيس قورارة	محمد بن عبد الله	القرن 10 الهجري
15	زاوية الدباغ	قصر ز/الدباغ قورارة	محمد الدباغ	القرن 10 الهجري
16	زاوية الحاج بو أمحمد	قصر تبلكوزة قورارة	سيد الحاج بو أمحمد	القرن 10 الهجري
17	زاوية عباد	قصر أولاد عيسى قورارة	عباد	القرن 10 الهجري
18	زاوية الواجدة	قصر الواجدة قورارة	إبراهيم	القرن 10 الهجري
19	زاوية بوشامية	بلغازي دلدول	بوشامية	القرن (10هـ)
20	زاوية ودغاغ	قصر ودغاغ قورارة	محمد بن أبي بكر الودغاغي	القرن 10 الهجري
21	زاوية مولاي هيبة	بلدية تمقطن	أبو الأنوار مولاي هيبة	القرن (10هـ)
22	زاوية عومر	قصر زاوية عومر قورارة	عومر بن أحمد بن الصالح	القرن 11 الهجري (1008 هـ)
23	زاوية كنته	قصر زاوية كنته توات	عبد القادر بن عمر الكنتي	القرن 11 الهجري (1012هـ)
24	زاوية بادريان	قصر بادريان	الحاج محمد الصوفي	(1033هـ)وقيل (1004هـ)
25	زاوية امحمد بن أحمد	أومراد أولاد سعيد	امحمد بن احمد	(1085هـ)
26	زاوية تنلان	قصر تنلان توات	أحمد بن يوسف	القرن 11 الهجري (1058 هـ)
27	زاوية الهبلة	قصر الهبلة توات	علي بن بوبكر	القرن 11 الهجري (1070 هـ)

28	زاوية أمحمد بن أحمد	قصر أومراد قورارة	أمحمد بن أحمد	القرن 11 الهجري (1085 هـ)
29	مدرسة انزجمير	قصر انزجمير	علماء انزجمير	القرن 11 الهجري
30	زاوية علي بن حنيني	قصر زاجلو توات	علي بن حنيني	القرن 11 الهجري
31	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني توات	مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11 الهجري
32	زاوية عبد الرحمان بن محمد	قصر اغزر قورارة	عبد الرحمان بن محمد بن علي	القرن 11 الهجري
33	زاوية زايد	قصر تبرغمين قورارة	زايد	القرن 11 الهجري
34	زاوية عين حمو	قصر عين حمو قورارة	سيد الحاج بولغيت	القرن 11 الهجري
35	مدرسة المطارفة	قصر المطارفة قورارة	الحاج محمد الصالح	القرن 11 الهجري
36	مدرسة كوسام	قصر كوسام	البلباليون	القرن 11 الهجري
37	زاوية بودة	قصر بودة توات	الشيخ محمد بن عمر	القرن 12 الهجري (1100هـ)
38	زاوية الجديد	قصر الجديد توات	سيد المختار الكنتي	القرن 12 الهجري (1112 هـ)
39	زاوية عبد القادر	قصر ز/ع. القادر توات	عبد القادر بن عومر	القرن 12 الهجري (1113 هـ)
40	زاوية مهدية	قصر مهدية توات	عمر المهداوي	القرن 12 الهجري (1119 هـ)وقيل(1207هـ)
41	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيد البكري توات	سيد البكري بن عبد الكريم	القرن 12 الهجري (1120 هـ) وقيل (1109هـ)
42	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر أقبلي تيدكلت	محمد بن عبد الرحمان	القرن 12 الهجري (1137 هـ)
43	زاوية تسفاوت	قصر تسفاوت توات	الحاج محمد لمجبري	القرن 12 الهجري (1146 هـ)
44	زاوية بودة	قصر بودة توات	الجعفري الملقب (صاحب7حجات	القرن 12 الهجري (1161 هـ)
45	زاوية احمادو	قصر زاجلو توات	احمادو	القرن 12 الهجري
46	زاوية أحمد بن باحمو	قصر زاجلو توات	أحمد بن باحمو	القرن 12 الهجري

وفيما يأتي هذا جدول يبين المدارس القرآنية الحديثة النشأة بولاية ادرار يضم عدد الطلبة المتمدرسين بها حسب إحصائيات مديرية الشؤون الدينية لولاية ادرار لسنة 2011م:

الرقم	اسم المدرسة	القصر	مؤسس المدرسة	المشرف الحالي	تعداد الطلبة
01	مدرسة الشيخ الحاج محمد بلكبير	أدرار	الشيخ الحاج محمد بلكبير	ابنه الحاج عبد الله	700ط
02	مدرسة الشيخ الحاج الحسان	لقصر الفوقاني أنزجمير	الشيخ الحاج الحسان	الشيخ الحاج الحسان	570ط
03	مدرسة الشيخ العالمي	قصر زاجلو المرابطين	الشيخ محمد العالمي	الشيخ محمد العالمي	297ط
04	مدرسة الشيخ الحاج لكبير	لغمارة بودة	الشيخ الحاج لكبير بن لكبير	الشيخ الحاج لكبير بن لكبير	175ط
05	مدرسة الشيخ الطالب سالم بن ابراهيم	أدرار	الشيخ الطالب سالم بن ابراهيم	الشيخ الطالب سالم بن إبراهيم	163ط
06	مدرسة الشيخ الحاج امحمد بكاري	بني مهلال تيميمون	الشيخ الحاج أمحمد بكاري	الشيخ الحاج أمحمد بكاري	160ط
07	مدرسة الشيخ لحبيب	تاسفاوت فنوغيل	الشيخ لحبيب	الشيخ مولاي الحاج	159ط
08	مدرسة الشيخ الحاج الصالح أوكادو	تنقلين تيميمون	الشيخ الحاج الصالح أوكادو	الشيخ الحاج الصالح أوكادو	150ط
09	مدرسة الشيخ خليلي	تيميمون	الشيخ الحاج أحمد خليلي	الشيخ الحاج أحمد خليلي	150ط
10	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي	نومناس فنوغيل	الشيخ الحاج عبد القادربكراوي	الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي	136ط
11	مدرسة الشيخ أحمد ديدي	تمنطيط فنوغيل	الشيخ أحمد ديدي	الشيخ الحاج أحمد بكري	130ط
12	مدرسة الشيخ مولاي التهامي	أوقديم أدرار	الشيخ مولاي التهامي غيتاوي	الشيخ مولاي التهامي غيتاوي	130ط
13	مدرسة الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي	رقان	الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي	الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي	130ط
14	مدرسة الشيخ باي بلعالم	الركينة أولف	الشيخ باي بلعالم	الشيخ باي بلعالم	104ط
15	مدرسة الشيخ مولاي	قصر	الشيخ مولاي أحمد	ابنه مولاي عبد الله	100ط

	أحمد الطاهري	العلوشية سالي	الطاهري الإدريسي		
16	مدرسة الشيخ الحاج محمد الدباغي	زاوية الدباغ تتركوك	الشيخ الحاج محمد الدباغي	الشيخ الحاج محمد الدباغي	70ط
17	مدرسةالشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب	باحو سالي	الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب	الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب	70ط
18	مدرسة الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح	لعياد تسابيت	الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح	الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح	70ط
19	المدرسة الكنتية	زاوية كنتة	الشيخ عبد القادر بن عمر الكنتي	الشيخ الحاج امحمد الكنتي	60ط
20	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر حلوات	برج باجي مختار	الشيخ عبد القادر حلوات	الشيخ عبد القادر حلوات	50ط
21	مدرسة الشيخ حماوي الحاج عبد القادر	أدغا أدرار	الشيخ حماوي الحاج عبد القادر	الشيخ حماوي الحاج عبد القادر	40ط
22	مدرسة الشيخ الحاج ع العزيز سيد اعمر	مهدية أدرار	الشيخ الحاج عبد العزيز سيد اعمر	الشيخ الحاج عبد القادر سيد أعمر	100ط
23	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي	قصر جديد تامست	الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي	الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي	30

(ب) وظائف الزوايا العلمية والاجتماعية:

كان للزوايا بإقليم توات وظائف عديدة أبرزها العلمية والاجتماعية، ومن تلك الوظائف العلمية تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والفقه الإسلامي، وهذا ما سيجرنا للحديث عن نظام التعليم في توات حيث لم تكن هناك إلا الزوايا.

نظام التعليم في الزوايا:

اعتمد نظام التعليم في توات على مرحلتين أساسيتين الأولى تبدأ بالمدرسة القرآنية المعروفة بالمحضرة وبالأمازيغية (أقربيش) ففيها يحفظ الطفل القرآن الكريم متتبعا مراحل معينة بداية بالحروف الهجائية على الترتيب المغربي(ا ب ت ث ج...) وبعد حفظها، تكتب له سورة الفاتحة فيقرأها بالحروف فقط حتى يتمكن من قراءة الحروف تشكل له الكلمات ويقرأها مشكولة، وبعدها ينطلق في القراءة المسترسلة، كما يتعلم الخط والكتابة في المدرسة القرآنية بالطريقة التالية، فبعد أن يصل التلميذ إلى سورة (العلق) يبدأ المعلم في رشم لوحة

التلميذ فيكتب المعلم بقلم الرصاص على لوحة التلميذ ويقوم التلميذ بإعادة الكتابة على كتابة المعلم، إلى أن يستطيع التلميذ أن يكتب هو بنفسه ومن ثَمَّ ينطلق التلميذ في الكتابة والحفظ، وفي هذه المرحلة يشرع المعلم في كتابة أبياتا من المتون الفقهية (ابن عاشر...) في آخر لوحة النابغين من التلاميذ فقط.

أما المرحلة الثانية فهي دخول الزاوية وغالبا ما يكون التلميذ القادم إلى الزاوية حافظا للقرآن الكريم، أو يحفظ أغلب أجزائه، ومن هنا يشرع التلميذ في مرحلة جديدة بداية بالنظام الداخلي والاعتماد على النفس ومزاولة الدراسة اللغوية والفقهية؛ حيث يدرس في الزاوية على الشيخ متون اللغة العربية (ألفية ابن مالك، مقدمة ابن آجروم، لامية الأفعال...) وكذلك المتون الفقهية وعلم الميراث والتفسير والحديث...وقد يلجأ شيوخ الزوايا في كثير من الأحيان إلى نظم بعض العلوم وأحيانا نظم كتب أو نظم كتاب كما هو الأمر مع الشيخ ابن العالم حيث نظم ألفيتين الأول في التفسير والثانية في غريب القرآن، كما تمنح في الزوايا الإجازات العلمية، وتمثّل النشاط العلمي لزوايا توات في الآتي:

1. حفظ القرآن الكريم، والاهتمام به قراءة وتفسيرا
2. الحفاظ على اللغة العربية وترقيتها بالشروح والتعليق على النصوص في إقليم توات
3. نشر العلم والتفقه في الدين والترغيب في تبليغه
4. منح الإجازات العلمية في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية
5. المساهمة في الحركة العلمية والثقافية في إقليم توات
6. الحفاظ على الهوية والشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الإسلامي

إلى جانب هذا النشاط العلمي للزوايا فقد كان لها دور آخر لا يقل أهمية عن هذا الدور العلمي ألا وهو النشاط الاجتماعي، وهنا يجب أن نشير إلى طباع الرجل التواتي في حبه

وتوقيره لأهل العلم وخاصته، ومن هنا استمدت الزوايا ذلك الدور الريادي في الحياة الاجتماعية بتوات، حيث كان الشيوخ في زواياهم يحظون بالتقدير والاحترام في نفوس أهل توات، ومن هنا كان لأولئك الشيوخ الفضل الكبير في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، قبل اللجوء إلى القاضي، وإلى جانب هذا كانت الزوايا دارا للضيافة تستقبل الضيوف وتكرم وفادتهم أكلا ونوما وقضاء للحاجة أحيانا، ولم يقتصر الدور على الضيوف بل حتى الفقراء والمحتاجين من أهل القصور التواتية، ويتمثل نشاط الزوايا الاجتماعي في الآتي:

1. إصلاح ذات البين بين المتخاصمين
2. إصلاح المجتمع بالتربية الروحية وتطهير النفس من الضغائن
3. إيواء المسافرين وإعانة الضعفاء والمحتاجين
4. الترغيب في فعل الخير والحث عليه

3 ـ خزائن المخطوطات بتوات:

إن هذه الحركة العلمية الذي لعبته الزوايا عبر العصور كان نتاجها عظيما؛ فقد تخرج منها علماء حملوا لواء العلم وصنعوا ثورة علمية وثقافية في فيافي الصحراء القاحلة، فكانت توات مركزا علميا ورافدا من الروافد التي نهلت منه إفريقيا والسودان اللغة العربية والدين الإسلامي، وهذه جملة من العوامل التي جعلت توات تتبوأ تلك المكانة التاريخية:

1 . وفود عدد كبير من العلماء والصالحين إليها من كافة الأقطار والمناطق؛ من المغرب والمشرق وغيرهما فأسهموا في نهضة البلاد وبث روح الثقافة فيها[1]

2 . وجود الأمن والاطمئنان في الإقليم عبر العصور ولو بنسب قليلة

3 . الإقليم لم يخضع للسلطة العثمانية كما خضعت لها معظم البلاد الإسلامية

[1] ـ النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص: 42.

4 . الموقع الاستراتجي الهام حيث كانت توات طريقا لقوافل التجارة والحجاج مما سمح بتبادل الأفكار، وتوفر مادة العلم من صمغ وورق...

5 . عكْف الكثير من مشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة على دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين[1]

6 . خصال الرجل التواتي وحبه للعلم وتطلعه للمعرفة وإيمانه بأن العلم أفضل سلاح لمواجهة الحياة والأعداء

7 . تنقل علماء توات إلى مختلف حواضر الغرب الإسلامي (فاس، وسجلماسة، وشنقيط، وتونس، ومصر،...) بحثا عن العلم ومجالسة العلماء والأخذ عنهم

8 . تأسيس الزوايا والمدارس العلمية التي كان لها الفضل الكبير في نشر العلم والثقافة بالمنطقة

إن الحركة العلمية واللغوية بتوات أسهم في وجودها كثرة المخطوطات التي وصلت إلى توات بمختلف الطرق، فكاد يكون لكل زاوية في توات خزانتها الخاصة، التي تساعد الطلبة على طلب العلم، وفي ما يأتي هذا جدول لخزائن المخطوطات بتوات:

الرقم	اسم الخزانة	مكان الوجود	البلدية	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس	المشرف الحالي
01	خزانة سيدي بونعامة شيخ الركب	قصر الزاوية	بلدية أقبلي	بونعامة	652هـ	الحبيب عقباوي
02	خزانة اركشاش	قصر أركشاش	بلدية أقبلي	محمد التهامي	القرن 07هـ	
03	خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	بلدية أقبلي	محمد بن مالك	القرن 08هـ	بن مالك عبد الكريم

[1] ـ إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين،ص:85.

04	خزانة ملوكة	قصر ملوكة	تيمي	البلباليون	قبل القرن 09هـ	بلبالي الحاج علي
05	خزانة المطارفة	قصر المطارفة	المطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشيدي	قبل القرن 09هـ	عائلة بن عبد الكبير
06	خزانة الحاج بلقاسم	زاوية الحاج بلقاسم	تيميمون	الحاج بلقاسم	قبل القرن 10هـ	أحفاد الشيخ الحاج بلقاسم
07	خزانة الشيخ المغيلي	زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي	زاوية كنتة	الشيخ المغيلي	قبل القرن 10هـ	أحفاد الشيخ المغيلي
08	خزانة تبلكوزة	تبلكوزة	الحاج أبو أمحمد	تبلكوزة	قبل الفرن 10هـ	بولغيتي باحمود
09	خزانة زواية الدباغ	زاوية الدباغ	تينركوك	محمد الدباغ	قبل القرن 10هـ	الدباغي أحمد بن محمد
10	خزانة فاتيس	فاتيس	تينركوك	محمد بن عبد الله	قبل القرن 10هـ	با أحمد بلعربي
11	خزانة بادريان	بادريان	تيميمون	الحاج الصوفي	قبل القرن 11هـ	الصوفي محمد السالم
12	خزانة الشيخ بن عومر	زاوية عومر	أوقروت	الشيخ عومر بن أحمد	قبل القرن 11هـ	الحاج أقرابو
13	خزانة الشيخ الرقاني	زاوية الرقاني	رقان	مولاي عبد الله الرقاني	قبل القرن 11هـ	السي محمد الرقاني
14	خزانة أنزجمير	أنزجمير	انزجمير		قبل القرن 11هـ	عبد الرحمن الشيخ
15	خزانة زاوية حيدة	زاوية حيدة	يودة	حيدة	قبل القرن 11هـ	أبا جعفري

16	خزانة زاوية كنتة	زاوية كنتة	زاوية كنتة	الكنتاويون	قبل القرن 11هـ	كنتاوي الحاج أمحمد
17	خزانة تينيلان	تينيلان	ادرار	أحمد بن يوسف	قبل القرن 11هـ	بن حسان أحمد
18	خزانة زاجلو	زاجلو	زاوية كنتة		قبل القرن 13هـ	الحاج محمد العالمي
19	خزانة مولاي علي بن مولاي إسماعيل	زاوية كنتة	زاوية كنتة	الشيخ مولاي علي	قبل القرن 13هـ	محمد ين حمادي
20	خزانة الشيخ أحمد ديدي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	أحمد ديدي	ق. 14 هـ	البكري الحاج أحمد
21	خزانة م/ إسماعيل بن م/المهدي	قصر زاوية كنتة	بلدية زاوية كنتة	مولاي إسماعيل	ق 14هـ	ابنه محمد
22	خزانة م/سالم بن م/إسماعيل	قصر زاوية كنتة	بلدية زاوية كنتة	مولاي سالم	ق 14هـ	أخوه م الناجم
23	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	محمد بالعالم	ق 14هـ	شاري الطيب
24	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	الحاج محمد بن جعفر	ق14هـ	الحاج عبد الرحمان جعفري
25	خزانة سالي	قصر سالي	بلدية سالي	مولاي أحمد الطاهري	ق. 14 هـ	مولاي عبد الله طاهري
26	خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	بلدية أدرار	بن الوليد	ق. 14 هـ	بن الوليد عبد القادر
27	خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي ادرار	بلدية ادرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق 14 هـ	محمد السالم بن ع الكريم
28	خزانة الشيخ باي بلعالم	قصر الركينة	بلدية أولف	محمد باي بلعالم	ق. 14هـ	الشيخ باي بلعالم

29	خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	بلدية أولاد أحمد	مولاي علي قريشي	ق. 14 هـ	مولاي علي قريشي
30	خزانة باحو	قصر باحو	بلدية سالي	؟	ق14هـ	بلحبيب ع الرحمان
31	خزانة محمد الصدوق	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	محمد الصدوق	ق. 14 هـ	؟
32	خزانة بني تامر	قصر بني تامر	بلدية أولاد أحمد	؟	ق 14هـ	مبدوبي الحاج أمحمد
33	خزانة فاعون	قصر الحاج قلمان	لدية أولاد سعيد	محمد الطاهر	؟	أباحيا الطيب
34	خزانة الشيخ إبراهيم	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	إبراهيم بن عبد القادر
35	خزانة أولاد سعيد	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	الجوزي عبد الرحمان
36	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	بلدية أولف	؟	؟	الشيخ أبختي امبارك
37	خزانة الشرفاء	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الشرفاء	؟	عائلة اسماعيلي
38	خزانة بني مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	بزكار بلقاسم
39	خزانة أولاد الملياني	قصر تمادنين	بلدية رقان	محمد بن علي بن زكريا	961هـ	ملياني عابدين
40	خزانة وجلان	قصر وجلان	بلدية تسابيت	؟	؟	؟
41	خزانة برينكان	قصر برينكان	بلدية تسابيت	؟	؟	باعربي عبد القادر

42	خزانة/ز سيد البكري	قصر زاوية البكري	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	بكراوي محمد بن سالم
43	خزانة البلباليين	قصر أولاد ونقال	بلدية أدرار	عائلة البلباليين	؟	بلبالي الطاهر
44	خزانة آدغا	قصر آدغا	بلدية أدرار	؟	؟	سليماني علي
45	خزانة أ.علي بن موسى	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	محجوبي عبد العزيز
46	خزانة سالم	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	البكري الجازولي
47	خزانة أولاد سيدي وعلي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	بكراوي الحاج أحمد
48	خزانة سيدي بومدين	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	صديقي بومدين
49	خزانة عباني	قصر عباني	بلدية فنوغيل	؟	؟	سالم سالم
50	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	محمد بن جعفر	؟	عبد الرحمن جعفري

البـــــاب الأول

الدرس النحوي

بإقليم توات

توطئة

النحو العربي

يعد علم النحو أول علوم اللغة وضعا وتأسيسا، وذلك يرجع إلى اهتمام هذا العلم بإصلاح اللسان وصونه من اللحن، ولقد كانت مدينة البصرة بالعراق سبّاقة في ذلك؛ إذ تعد فاتحة بابه وواضعة أسسه، وتأليف الكتب فيه، إن علم النحو غامض نشوؤه كل الغموض(1)، وما هو مُتَأَكَد منه أن الدرس النحوي قد نشأ في أحضان الدرس القرآني، ومر بمراحل عديدة حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

1 ـ عصر النشأة ووضع البوادر الأولى:

اختلفت الروايات والآراء حول بداية ونشأة علم النحو العربي، إلا أن العديد من الباحثين يرجعونه إلى أبي الأسود الدؤلي بَإيْعاز من سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه(2)، وللإشارة فإن الدراسات النحوية في هذا العصر لم تخرج عن القرآن الكريم وقراءاته وبشكل خاص القراءات الشاذة مع محاولة توجيهها.

2 ـ عصر التأسيس والتأصيل:

في هذا العصر عرفت الدراسات النحوية واللغوية عموما تطورا جديدا وحاسما، كما بلغ القياس في النحو أوجّه؛ فقد اتفق مؤرخو اللغة على أن ابن أبي إسحاق هو أول من بعّج النّحو ومدّ القياس وشرح العلل(3)، وكان يعيب على العرب خرق القواعد النحوية التي

---

[1] ـ ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، د ت، 285/2.

[2] ـ هناك من يعزي نشأة النحو العربي إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أن الآراء حول نسبة نشأته إلى أبي الأسود الدؤلي متضاربة وغير مستقرة على رأي معين، هذا إلى جانب تضارب الآراء حول نشأته أعربية هي أم أجنبية؟ (ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 01، 1413هـ ـ 1993م، ص: 12 ـ 21، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، 1983م، 26 ـ 30، و إنباه الرواة، 39/1، و الأغاني، الأصفهاني، طبعة دار الكتب المصرية، د ط، د ت، 311/11، و مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، لبنان، ط: 01، 1423هـ ـ 2002م، ص: 20، 21.).

[3] ـ طبقات الشعراء، ص: 47، وطبقات النحويين واللغويين، ص: 31.

استقرأها من كلام العرب، حيث عدّها ثابتةً وملزمةً، ومن ثَمَّ تصدى لكثير من الشعراء وردّ عليهم أشعارهم، ومن أمثلة ذلك قول الفرزدق:

وَعَــضُّ زَمَــانٍ يَــا ابْــنَ مَــرْوَانَ لَــمْ يَــدَعْ مِـــنَ المَـــال إِلَّا مَسْـــحَتًا أَوْ مُجَلَّـــفُ[1]

فلم يرض ابن أبي إسحاق على رفع (مجلف) لأنها حسبه معطوفة على ما قبلها ولا يجوز نصبها[2]، كما كانت له بعض المناظرات في النحو واللغة المتعلقة بأوجه القراءات القرآنية[3]، وغيره كثير، منهم أبو عمرو بن العلاء، والمازني.[4]

3 ـ عصر التأليف والتدوين:

إن مسألة التأليف لم تكن لتأتي من فراغ بل سُبِقَتْ بإرهاصات ومحاولات كثيرة؛ فقد كان ليونس بن حبيب مجالس تدريس متميزة وَفَدَ عليها الكثير من طلاب العلم[5].

ويعد كتاب سيبويه ظاهرة هذا العصر؛ فقد جاء بعد استكمال الخليل لتنظير اللغة وعلومها وإرساء قواعدها، فكان "الكتاب" جامعا لشتات تلك القواعد والضوابط؛ فعد بحق ثروةً علميةً فريدةً جامعة حصيلة تفكير علماء النحو بدءا من أبي الأسود إلى الخليل، ويُتَّفَقُ على أنه كان أمينا في نقله وأخذه، دقيقا في منهجه.

وقد توالت التصانيف النحوية تباعا بعد تأليف الكتاب، منها "معاني القرآن" للفراء والأخفش، و"المقتضب" للمبرد...

[1] ـ البيت من قصيدة (عزفت بأعشاش) يهجو فيها جريرا، ويفخر بمآثر قومه، جاء في مطلعها:
عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
(ينظر: ديوان الفرزدق، الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1408هـ ـ 1987م، ص: 383 ـ 394.

[2] ـ ينظر: طبقات الشعراء، ص: 50.

[3] ـ ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 02، 1429هـ ـ 2008م، ص: 56.

[4] ـ ينظر: طبقات الشعراء، ص: 47، و51، و52.

[5] ـ ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص: 52.

4 ـ عصر الاتجاهات الفكرية (التفسير، الانتقاء، التنظير):

وهو العصر الذي تتابعت فيه حركة التأليف مع شيء من التنظيم وحسن التبويب، وكذلك التفسير، والتنظير النحوي؛ بوضع أصول النحو على غرار أصول الفقه، ودخل النحوَ تياراتٌ فكرية كانت سائدة آنذاك، ومن هنا عكف كثير من العلماء على تفسير آراء من تقدمهم والتعقيب عليها[1]، وتلك الاتجاهات مجتمعة شكلّت حركةً فكريةً نحويةً قويةً أثرَت الساحة اللغوية، متأثرة بثقافة العصر؛ فقد انبنت عندهم المناهج اللغوية على أسس جديدة لا تقوم على قواعد الاستقراء، وإنما تأخذ بعين الاعتبار المنطق العقلي.

5 ـ عصر التجديد:

توالت الدعوات إلى تيسير النحو بعد دخول المنطق عليه؛ حيث مالوا به عن الجانب التعليمي إلى الجدل الذي لا طائل من ورائه، ومن أشهر الصيحات التي نادت بتيسير النحو صيحة ابن مضاء القرطبي[2]، الذي نادى بإسقاط العلل الثواني والثوالث والاقتصار على العلل الأولى التعليمية التي ارتضاها الجميع، كما نادى بإبطال نظرية العامل، ويذهب الدكتور شوقي ضيف (ت: 2005م) إلى أن ابن مضاء رأى "في تهجين نظرية العامل وما تجره من تقدير قد يؤدي في كثير من الأحوال إلى رفض أساليب صحيحة في العربية، وقال إن هذه النظرية تجر وراءها حشدا من علل وأقيسة يعجز ثاقب الحس والعقل عن فهم كثير منها[3]، وفي العصر الحديث ألفت كتب تنادي بتيسير النحو وتبسيطه.

---

[1] ـ ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص: 133، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1426هـ ـ 2005م، ص: 67، و أسباب اختلاف النحاة من خلال كتاب الإنصاف لابن الأنباري، نوري حسن حامد المسلاتي، دار الساقية للنشر، بنغازي، ليبيا، د ط، 1431هـ ـ 2010م، ص: 13.

[2] ـ هو أحمد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بابن مضاء الأزدي الإشبيلي، ولد بقرطبة سنة 513هـ، أخذ كتاب سيبويه عن ابن الرّمّاك، كان له تقدم في العربية والاعتناء بها، كما كان مقرئا مجوِّدا، ومحدثا مكثرا، قديم السماع، واسع الرواية، عارفا بالأصول والكلام... توفي بإشبيلية سنة 592هـ (بغية الوعاة، 323/1)، ينظر ترجمته في: مقدمة التحقيق: الرد على النحاة، ابن مضاء، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: 01، 1366هـ ـ 1974م، ص: 3 وما بعدها، والمدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، أربد، الأردن، ط: 03، 1422هـ ـ 2001م، ص: 314 ـ 316)

[3] ـ مقدمة التحقيق الرد على النحاة، ص: 67.

عرفت اللغة العربية وعلومُها مدارس أطلق عليها "المدارس النحوية" التي كان لها وقعها الإيجابي على اللغة العربية؛ وذلك لِمَا أتاحته لها من فرص للتوسع في الكلام، وكان ذلك نتيجة لاختلاف المشارب والاتجاهات؛ فلكل مدرسة اتجاهها في الأخذ، ومنه إلى التقعيد، فتَوَسُّعُ مدرسة الكوفة في الأخذ عن العرب كان له أثره، وتضْيّيق مدرسة البصرة كان له ما يبرره، وعنهما نشأت المدارس النحوية الأخرى من بغدادية ومصرية وشامية وأندلسية[1]، فكان لكل مدرسة أعلامها وتلاميذها ومؤلفاتها، كما أن لكل منها منهجه في الدراسة وإن تشابهت مصادرها(كلام العرب، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف)، وهذه المدارسة كان لها أثر على الدرس النحوي بإقليم توات، وبخاصة مدرستَي البصرة والكوفة.

فكيف كانت بداية الدرس النحوي بإقليم توات، ومن هم أعلامه؟ ما هي جهود علماء توات في الدرس النحوي، وفيما تمثلت؟ وهل كانت جهودهم تلك تقليدا لما جاء به الأوائل، أم كان فيها جديد، ولمسة تواتية خاصة بهم؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها في الفصل الأول من هذا الباب.

[1] ـ ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص: 23.

الفصل الأول

جهود علماء توات في النحو العربي

تمهيد:

عرف إقليم توات حركة لغوية كثيفة عبر قرون من الزمن، بفضل ثلة من العلماء الذين وُجدوا في تلك القرون من أمثال الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909هـ) الوافد عليها من تلمسان، والشيخ عبد الكريم بن أمحمد البكري التمنطيطي (ت: 1042هـ)، والشيخ محمد بن أب المزمري (ت: 1160هـ)، والشيخ عبد الرحمن بن عمر(ت: 1189هـ)، والشيخ مُحمد الزجلوي (ت: 1212هـ)، وبحضور هؤلاء وغيرهم انتشرت الزوايا والمدارس القرآنية والمراكز العلمية والثقافية التي حملت على عاتقها تفعيل الحركة الثقافية والعلمية بالإقليم، وبمرور الزمن كان بتوات عدد كبير من العلماء والمشايخ المشهود لهم بالكفاءة العلمية والدينية ليس في توات وحدها فحسب، ولكن تعدت حدود الإقليم فقد درسوا في أكبر الجوامع في ذلك العصر؛ كجامع القرويين بفاس والأمر يتعلق هنا بالشيخ عمر بن عبد القادر التينيلاني[1]، وبغيره من جوامع الحواضر العربية والإفريقية والإسلامية[2]، وبعد أوبتهم إلى الإقليم أقبل عليهم الطلاب من كل صوب وحدب قصد التعلم؛ فكان الطلاب يتفاخرون بالأخذ عن هذا الشيخ أو ذاك ويتباهون بذلك[3]، مما زاد الحاجة إلى المكتبات والخزائن، وبالتالي الحاجة إلى الكتب التي يحتاجها الطالب والشيخ على حد سواء، الأمر الذي دفع

---

[1] ـ هو عمر بن عبد القادر التينيلاني (1098 ـ 1152هـ) ولد بقصر تينيلان عام 1098هـ حفظ فيها القرآن الكريم وفيها كانت بدايته العلمية، ثم انتقل عام 1117هـ إلى مدينة فاس المغربية تلقى من شيوخها، ثم جلس للتدريس بجامع القرويين إلى سنة 1129هـ، ثم عاد إلى إقليم توات وجلس فيها للتدريس، وتولى القضاء عام 1133هـ، ومال في آخر عمره إلى التصوف فاعتزل الناس، توفي 3 من ربيع الأول 1152هـ.(الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، محمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط بخزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار، ص: 03، ألفية الغريب، محمد الزجلوي الشهير بابن العالم، د تح: عبد القادر بقادر، رسالة ماجستير، جامعة ادرار، 2009م، ص: 13.)

[2] ـ خرج من توات العديد من العلماء الذين درّسوا ودرسوا في حواضر عربية من أمثال الشيخ عبد الرحمن بن ادريس، والشيخ عبد الكريم بن أمحمد العالم بن البكري (994هـ ـ 1042هـ)، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، والشيخ المختار الكنتي، والشيخ مصطفى الرقادي، والشيخ أمحمد العالم الزجلوي، والشيخ محمد بن أب المزمري وغيرهم كثير.

[3] ـ ينظر: "ابن العالم سيدي محمد الزجلوي (حياته وإسهامه في الحركة العلمية بتوات)"، عبد القادر بقادر، مجلة الحقيقة، جامعة ادرار، ع: 18، 2012م، ص: 32.

بالشيوخ إلى جلب الكتب من كل مكان؛ وعليه كان الشيوخ يصطحبون الكتب معهم أثناء رحلاتهم العلمية وحتى الدينية (الحج)، واعتراض طرق القوافل التجارية التي كانت تصطحب معها العلماء والكتب قصد التجارة، وكذلك لجوء الكثير من العلماء والشيوخ إلى التأليف والتصنيف، أو شرح المتون اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، ومن أهم مظاهر اهتمام علماء توات بالدرس اللغوي هو:

- وجود علماء وشيوخ الزوايا الذين كان لهم الفضل الكبير في التعليم
- كثرة الزوايا والمدارس القرآنية التي اهتمت بالدرس اللغوي لفهم القرآن والسنة
- إقبال عدد كبير من الطلاب والتلاميذ على تلك المدارس والزوايا
- انتشار المكتبات وخزائن المخطوطات في تراب الإقليم
- كثرة النساخ والخطاطين في المكتبات والخزائن
- انتشار موجة التأليف والتصنيف ـ بكل أنماطه وأشكاله ـ في الدرس اللغوي
- الاهتمام بشروح المتون النحوية مثل ألفية ابن مالك وألفية السيوطي، ومقدمة ابن آجروم، ولامية ابن المجراد...
- ظهور الألغاز النحوية واللغوية

أولا: اهتمام علماء توات بالدرس النحوي:

اهتم علماء توات بالنحو العربي اهتماما بالغا وذلك يرجع لإدراكهم أهميتَه في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكان النحو هو من أول ما يتعلمه طالب العلم في المدارس والزوايا وذلك ـ طبعا ـ بعد القرآن الكريم؛ حيث يحفظ التلميذ ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ومقدمة ابن آجروم، وكذا لامية ابن المجراد وغيرها من المتون النحوية، كما يتعلم

التلميذ الإعراب، يقول عبد الكريم بن أمحمد بن محمد البكري[1] (994هـ ـ 1042هـ): " فأول فائدة استفدتها منه [والده وشيخه] سمعته يقول: لم: حرف جزم، فحفظتها ولم أفهم معناها، حتى عقلت"[2]، فقد كان الاعتماد على الحفظ أولا ثم بعد ذلك يأتي دور الفهم، وهذا ما يفسر وجود عدد غير قليل من شروح المتون النحوية، أو نظمها من قبل شيوخ محليين كما سيأتي تبيان ذلك في هذا الفصل والذي يليه، فهناك من قام بشرح أبواب من ألفية ابن مالك، ومن نظم نثر ابن آجروم، ومن شرح لامية ابن مالك في الأفعال، ومن شرح منظوم ابن أب، ومن شرح لامية ابن المجراد...

1 ـ مواطن الدرس النحوي:

لا يمكننا الحديث عن الدرس النحوي خاصة واللغوي عموما في توات خارج إطار الزوايا التي تعددت وظائفها في الإقليم؛ فقد تمثلت تلك الوظائف في التعليم والإطعام والإواء[3]، وعن هاذين الأخيرين يقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: "ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافرُ لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه؛ فيجد حتى علف الدواب...وما أكثر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك"[4].

أما من حيث التعليم فقد كانت الزوايا الحضن الذي ترعرعت فيه جميع الدروس المتعلقة بالدين الإسلامي من تفسير وفقه وحديث ولغة.

وعليه يمكننا تقسيم مواطن الدرس النحوي في توات إلى موطنين رئيسيين؛ وهما كالتعليم العام، والتعليم العالي في عصرنا الحاضر:

---

1 ـ ستأتي ترجمته كاملة في هذا البحث.
2 ـ تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز، عبد الكريم بن أمحمد التواتي، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، ص: 2.
3 ـ ينظر: هذا البحث، ص: 43 ـ 45.
4 ـ نسيم النفحات، ص: 45.

(أ) المدرسة القرآنية (المحاضر):

في هذا الموطن الأول الذي يعرف باسم (المحضرة، أو أقربيش) وأقربيش هي كلمة أمازيغية، وتعرف اليوم باسم المدرسة القرآنية، ففيها يحفظ التلميذ أولا القرآن الكريم، كما يتلقى دروسه الأولى في الفقه والنحو؛ فيحظ بعض المتون النحوية والفقهية ويتعلم شيئا من الإعراب وغيرها من العلوم الأولى، ويتوقف الأمر فيها على مدى نشاط المعلم.

(ب) الزوايا:

بعد إنهاء تلك المرحلة التي لا تحدد بسن معينة ويكون النبوغ والبراعة والتميّز هي المعايير التي تؤهل التلميذ إلى الانتقال إلى الزاوية التي يتعمق فيها في تلك العلوم القرآنية، والفقهية، واللغوية؛ حيث يتلقى التفسير والحديث، والفقه، والنحو ويكون له في ذلك وقفات[1] مع الشيخ وزملائه من التلاميذ ليحصل التلميذ على الإجازة من شيخه، كما يمكن للطالب أن ينتقل من زاوية إلى أخرى إذا رغب في ذلك، أو بمعنى آخر إذا أراد التعمق في مختلف العلوم؛ كأن يأخذ علوم القرآن عن شيخ زاوية، ثم علم النحو عن شيخ زاوية أخرى وهكذا.

وبعد هذا المشوار الذي يقطعه الطالب في التحصيل العلمي والمعرفي من الشيوخ يمكنه أن يأخذ مكانه في التدريس كل بحسب مقدرته، إما مدرس قرآن في المحاضر، أو يأخذ حلقة في زاوية من الزوايا، ويمكنه بعد ذلك فتح زاوية خاصة به إذا كان مؤهلا لذلك.

2 ـ من علماء توات:

تتجلى جهود علماء توات في الدرس النحوي في تأليف العديد من المؤلفات النحوية وبشكل خاص في الشروح بكل أشكالها وأنماطها؛ من شروح مطولة، وتعاليق، وحواشي،

[1] ـ الوقفة هي أن يطلب الطالب (التلميذ) من الشيخ أن يكلفه بتقديم دروس في مادة من المواد المدرسة بالزاوية أمام زملائه التلميذ بحضور الشيخ ليتحصل على الإجازة.

ومنظومات...، فيما يأتي سوف أترجم لبعض علماء توات الذين كان لهم اهتمام بالغ بالنحو وإن لم يؤلفوا فيه[1].

(أ) الشيخ عبد الكريم بن أمحمد بن محمد البكري (994هـ ـ 1042هـ):

هو محمد عبد الكريم بن أمحمد بن محمد بن أحمد بن ميمون بن عمر بن محمد بن عمر التواتي، ولد بقصر تمنطيط[2] سنة 994هـ وقيل: سنة 1002هـ[3]، وبها نشأ وترعرع في بيت علم وجاه وسلطان، وبها تلقى المبادئ الأولى للعلم على يد والده، انتقل في رحلة يطلب فيها العلم من الحواضر الإسلامية الكبرى في ذلك الزمان؛ فقد ارتحل إلى حاضرة الجزائر حيث لقي عالمها الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة، كما كانت له رحلات أخرى إلى أماكن عديدة منها رحلته إلى بلاد التكرور[4]، ورحلته إلى بني عباس[5]، ورحلته إلى أولاد سعيد[6]، ورحلته إلى الحجاز والتي سماها "**تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز**" وهو في تلك الرحلات كان ما بين طالب للعلم أحيانا، ومعلما له أحيانا أخرى، لُقِبَ بعالم توات، تولى القضاء بتوات ابتداء من سنة 1022هـ[7]، حتى قيل عنه: "العالم الهمام اللغوي النحوي البياني الحسابي الفرضي الأصولي، العروضي الفقيه المحدث الجامع بين المعقول والمنقول رواية دراية"[8]، ومما قيل فيه أيضا: "كان إماما عالما عادلا متفننا في علوم شتى كبير القدر، وافر الحرمة، وتولى القضاء وانتهت إليه الرياسة"[9]، وقال فيه أحد أحفاده القاضي

---

[1] ـ هناك ظاهرة تجلت لي في علماء توات وهي اشتغالهم بالتدريس جعلهم لا يهتمون بالتأليف إلا القليل منهم، وهذا ما جعلنا لا نعثر لهم على آثار علمية، بينما نسمع لقب (النحوي) منتشرة بين علماء الإقليم، وهناك من لقب بسيبويه وهو لم يؤلف في النحو ولا في غيره.

[2] ـ عاصمة توات قديما، وهو اليوم بلدية تابعة لدائرة فنوغيل، تبعد تمنطيط عن مقر الولاية أدرار بحوالي 12 كلم جنوبا.

[3] ـ جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مخطوط بخزانة المطارفة، ص: 24.

[4] ـ بلاد السودان قديما (جمهورية مالي) اليوم.

[5] ـ دائرة من دوائر ولاية بشار حاليا، تبعد عن أدرار بحوالي 400 كلم شمالا.

[6] ـ دائرة من دوائر ولاية ادرار، تبعد عن الولاية ادرار بحوالي 230 كلم شمالا.

[7] ـ ينظر ترجمته: جوهرة المعاني، ص: 23 ـ 24.

[8] ـ قولة أحد أحفاده وهو البكري بن عبد الكريم بن البكري، تقييد مخطوطة بالخزانة البكرية بتمنطيط.

[9] ـ جوهرة المعاني، ص: 23.

عبد الحق[1]: "هو العالم العامل الصوفي الكامل البحر الزاخر ذو الحظ الوافر محي الداثر من سر الأوائل والأواخر الآخذ بالمنصب الجسيم المخول من فضله العميم"[2]، والملاحظ من هذه المقدمات التي يقدم بها المترجمون لمترجميهم الرفع من شأن المترجم له إلى حد المبالغة، وهذا كان دأب القدامى في تراجمهم.

عموما فإن ما يستنتج مما سبق أن عبد الكريم بن أمحمد كان من الأوائل الذين خرجوا من توات بقصد طلب العلم، وهو الأمر الذي أهله أن يكون من أبرز علمائها.

- **مشايخه:**

ولما كانت رحلاته لطلب العلم متعددة فقد تتلمذ الشيخ عبد الكريم على يد جملة من أكبر المشايخ في زمانهم في حواضر إسلامية كثيرة، كما أجازه العديد منهم، وسأذكر البعض منهم:

فمن توات أخذ محمد عبد الكريم عن عدد من المشايخ المشهود لهم بالعلم والمعرفة ومنهم:

والده أمحمد بن محمد البكري (ت: 1008هـ)[3]: فقد أخذ عنه القرآن الكريم، والنحو.

الشيخ عبد الصمد بن عبد الرحمن[4]: استقبل عبد الكريم استقبالا حارا ورحّب به فأخذ عنه عنه مختصر خليل، والقراءات[5].

---

1 ـ هو عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم بن أمحمد بن أبي أمحمد بن أحمد بن ميمون، تولى القضاء عام 1174هـ، بعد وفاة والده . (ينظر: جوهرة المعاني ، ص: 2.).

2 ـ العائلة البكرية، البكري بن عبد الكريم، مخطوط بخزانة الشيخ أحمد البكري بتمنطيط، ص: 5.

3 ـ هو أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو بن محمد بن عمر، كان عالما بالنحو والفقه والحديث، متواضع ظاهر الصلاح ملازم الأوراد في الخلوات، من شيوخه المنجور، وأبي عبد الله محمد بن مجير، و محمد بن يعلى، و محمد العدي، و يعقوب البدري. (ينظر: تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز، ص: 1، والحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، ص: 305.).

4 ـ كان عالما جليلا رحل إلى تلمسان وفاس وأخذ عن علمائهما (ينظر: تحفة المجتاز...، ص: 9.)

5 ـ ينظر: تحفة المجتاز...، ص: 9.

الشيخ محمد عبد الحكم بن عبد الكريم الجراري(1021هـ)[1]: رحل إليه سنة 1010هـ وأخذ عنه جملة من العلوم والمعارف منها؛ النحو، والقراءات، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، يقول عنه: "ولما لقيته وسلمت عليه قال لي: في أي كتاب تقرأ الآن، فقلت له: في ألفية ابن مالك، فقال لي: أين بلغت؟ فقلت له: الموصول، فقال لي: أنت موصول إن شاء الله، والقراءة للنحو أن تُصلح لسانَك لينطق بالقرآن والحديث على الصواب، ويعينك ذلك على فهم معناها، [و] إذا نويت ذلك فإن الله يفتح لك الطريق"[2]، أخذ الشيخ عبد الكريم عنه مقدمة ابن آجروم، وألفية ابن مالك، ومختصر خليل، وأبوابا من البخاري، والقرآن الكريم بقراءة نافع، والدرر اللوامع[3]، وغيرهم.

ومن خارج أرض توات أخذ عن:

الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري (ت: 1076هـ) الذي لقيه في بني عباس لأول مرة، ثم رحل إليه إلى الجزائر المحروسة سنة 1017هـ.

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1046هـ) حيث أخذ عنه الحديث وقد أجازه بذلك سنة 1033هـ جاء في الإجازة: "وبعد فلا خفاء أن العلم أجل ما تحلى به مَن تكلم، وخصوصا علم الحديث الذي اعتنى الموَفَّقون بأمره في القديم والحديث، وبنوره يزاح عن القلب ما به أظلم، ولم يزل أهل النبي يعتنون به في كل زمن ويحرصون على الأخذ له من كل عالم مؤتمن، ومَن استبرأ لدينه لا بد أن يسلم، وكان من جملة من سلك هذا الطريق وانتمى إلى خير فريق؛ الفقيه الفاضل الأريب الشيخ محمد عبد الكريم بن محمد التواتي وفقني الله وإياه..."[4]

---

[1] ــ هو محمد عبد الحكم بن عبد الكريم المريني الوطاسي الجراري، كان شاعرا وفقيها بارعا، فصيح القلم واللسان، توفي سنة 1021هـ.(تحفة المجتاز...، ص: 5.)

[2] ــ تحفة المجتاز، ص: 5.

[3] ــ ينظر: تحفة المجتاز...، ص: 6.

[4] ــ نص الإجازة مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط.

ومن خارج أرض الوطن الجزائر

الشيخ أحمد بابا التمبوكتي[1]

الشيخ علي الجهوري المصري

الشيخ مصطفى البكري المصري

الشيخ العربي بن أحمد بن عبد الله بن أبي محلى السجلماسي[2]: ارتحل الشيخ عبد الكريم سنة 1013هـ، يوم الخميس 11 من صفر، فلازمه مدة من الزمن وأخذ عنه شيئا من المختصر، في الفقه، والخزرجية في العروض، وبعض قواعد المنطق[3].

- **تلاميذه:**

أخذ عن الشيخ عبد الكريم العديد من الطلبة في الديار التواتية وقد أجازهم جميعا، أذكر منهم:

ابنه محمد بن عبد الكريم بن أمحمد بن محمد البكري التواتي[4].

الشيخ أحمد بن يوسف التينيلاني[5]

---

[1] ـ هو احمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى بن كدالة بن مكي بن نيف بن لف بن يحيى بن تشت، ولد سنه 963هـ ، متضلع في علم النحو والتفسير والحديث والعربية والبيان، عن عمه أبي بكر، وعن محمد بغيغ، وعن والده عرف بالتفوق بين أقرانه في الدراسة، تنقل إلى مراكش وبها جلس للدرس بجامعها، توفي سنة 1036هـ.(ينظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، البرتلي، تح: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 01، 1401هـ ـ 1981م، ص: 31 ـ 37.).

[2] ـ هو محمد العربي بن أحمد السجلماسي من العارفين بالفقه والدراية والمعتمدين على العقل والرواية المتبحر في المنقول والمعقول، أخذ عن والده وعن سعيد بن إبراهيم قدورة، وغيرهما، توفي سنة 1037هـ، وأخذ عنه الشيخ عبد الكريم علم المنطق.(تحفة المجتاز..، ص: 7.)

[3] ـ ينظر: تحفة المجتاز...، الصفحة الأخيرة.

[4] ـ هو محمد بن عبد الكريم بن امحمد بن محمد البكري التواتي ولد بتمنطيط وبها تعلم على يد والده، ثم انتقل إلى الحجاز وظل بها عدد سنين، ولم يرجع إلى توات حتى توفي والده، وأثناء عودته إلى توات توقف بتقرت وبها درّس القرآن الكريم، حيث كانت له وقفة مع أبي سالم العياشي الرحالة المعروف مذكورة في الرحلته.(ينظر: الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م،120/1 ـ 121.)

[5] ـ هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي ولد سنة 1002هـ بأولاد أونقال أسس زاويته بتينيلان وسماها "رزق الله الواسع لعباده النافع" سنة 1058هـ، والتي تخرج منها العديد من العلماء، توفي سنة 1078هـ.(الدرة الفاخرة، ص: 2، وقطف

الشيخ محمد بن علي الوقروتي[1]

- **آثاره:**

له مؤلفات عديدة في الفقه والنحو والرحلات والتراجم، متنوعة بين منظومات وشروح ومختصرات وأشعار[2] منها:

1) غاية الأمل في إعراب الجمل وهو شرح على لامية ابن المجراد في إعراب الجمل.

2) النشر الزرنبي في مسألة الأجنبي على الميراث وهو شرح.

3) تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز وهو رحلته إلى أرض الحجاز.

4) شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان وهو كتاب في التراجم.

5) سفينة النجاة بأهل المناجاة وهو قصيدة في التوسل سرد فيها بعض الصالحين.

6) حضور الفرج في اختصار الأرج أو كشف الحرج بتعجيل الفرج[3]؛ وهو اختصار لكتاب جلال الدين السيوطي "كتاب الأرج".

7) النشر الداريني في اختصار الدماميني، وهو مختصر "العيون الغامزة على خفايا الرامزة"، وهو في الأصل شرح على الخزرجية من وضع الدماميني[4].

الزهرات من أخبار علماء توات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، د ط، 2002م، ص: 79 ـ 80، والحركة الأدبية في منطقة توات...، ص: 304.)

1 ـ هو محمد بن علي الوقروتي عرف بالنحوي أخذ عن شيخه النحو والصرف والفقه، توفي سنة 1064هـ، سافر إلى اسطمبول بتركيا وجلس إلى سلطانها.(ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص: 71.)

2 ـ كل أعماله مازالت مخطوطة بالخزانة البكرية بتمنطيط، ومنها ما هو مفقود.

3 ـ ذكرت هذه الآثار في كتاب العائلة البكرية، ص: 5.

4 ـ ذكره المؤلف بنفسه في كتابه: تحفة المجتاز... ص: 127، وذكرت معظم مؤلفاته في درة الأقلام، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، ونسخة أخرى بخزانة كوسان، ص: 23.

(ب) الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب المزمري

هو ضيف الله بن محمد بن أُبّ بن أحْميد أو أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمِّري، ولد ظهر يوم السبت السادس عشر من شوال سنة 1128هـ، يقول ضيف الله: "ومن دعائه رحمه الله ما وجدته بخطه ولم يكتب مثله لأحد غيري من أولاده الحمد لله وُلِدَ ضيف الله بن محمد بن أب المزمري أصلحه الله أمين وجعله من حملة القرآن عند الظهر من يوم السبت السادس عشر من شوال ثمانية وعشرين ومائة وألف وكتب محمد بن أب ستره الله"[1] وكان الابن ضيف الله أحب الأبناء إلى أبيه محمد وأكثرهم قربا منه، حيث يقول ضيف الله: "وكان يباهي بي أولاده في عيشتي ويشاورني في كثير من أموره مع صغر سني...وأشركني في كثير كتب"[2]، فكان لزاما أن يبرز ضيف الله في النحو وعلوم العربية، والشعر، حتى قال عنه والده: ليس في توات خير منه في النحو واللغة والقريض[3]، حتى قيل: إنه أشعر من أبيه[4]، وكان يحب النحو وأهله ومن يعرفون شيئا منه.

هكذا فقد عاش ضيف الله في أحضان والديه مقربا من والده العالم النحرير فكان يعلّمه أمور الحياة، ومما علمه الصبر عند المصيبة، يقول ضيف الله : "كنت مرة في حياة والدي رحمه الله شابا عزبا أنام حيث غلبني النوم، فأصبحت يوما وإذا بالشيخ نادني وقال لي بكلام لين، قال الله تعالى:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ﴾[البقرة، الآية 155] وقال: إن عمتك مريم ماتت رحمة الله عليها فحضرني ذلك يوم سمعت خبر موته رحمه الله:

[1] ــ رحلة ضيف الله إلى الديار التواتية، ضيف بن محمد بن أب، مخطوط بخزانة با عبد الله، ص: 77.
[2] ــ نفسه.
[3] ــ ينظر: رحلة ضيف الله إلى الديار التواتية، ص: 64.
[4] ــ ينظر: الحركة الأدبية فيمنطقة توات...، ص: 310.

فَمَـــا جَـــزَعٌ يُغْنِـــي عَنْـــكَ شَـــيْئًا   وَلَا مَـــا فَـــاتَ تُرْجِعُـــهُ الهُمُـــومُ[1]

وكان يوصيه كثيرا بالمطالعة والقراءة والجمع بينهما، فقد كتب له يوما: "ونؤكد عليك أن تجمع بين المطالعة والقراءة"[2].

- **مشايخه:**

والده الشيخ محمد بن أب المزمري الذي استفاد منه كثير باعتراف أبيه بذلك حين سئل: هل استفاد منك ابنك ضيف الله؟ فأجاب: استفاد مني وما في توات خير منه[3]، فقد أخذ عنه علم العروض، كيف لا وهو البارع فيه في إقليم توات كله لا ينازعه في ذلك أحد.

عمر بن محمد المصطفى:

أخذ عنه ضيف الله الفقه، عالما عاملا توفي سنة.

محمد بن المبروك[4] (1080هـ ــ 1198هـ): تبادل معه الأخذ[5]

عبد الرحمن بن عمر[6]: أخذ عنه ضيف الله الحديث، حيث قال: "فسار صاحبي إلى بني تامر وسرت أنا لأزور الفقيه الأجل الجامع الأكمل الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن با عمر

---

1 ـ رحلة ضيف الله، ص: 21. البيت لعيسى بن طلحة التيمي القرشي المدني، (ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1402هـ ــ 1982، 367/4 ــ 368، وكتاب التاريخ الكبير، البخاري، طبعة حجرية، باب عيسى، القسم الثاني: 385/3.)

2 ــ رحلة ضيف الله، ص: 10.

3 ــ رحلة ضيف الله، ص: 64.

4 ــ هو محمد بن المبروك بن محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد بقصر بودا، أخذ عن الشيخ أمحمد الونقالي وعن الشيخ عبد الرحمن بن عمر، وعن الشيخ عمر بن عبد القادر التينيلاني، كان شاعرا وعالما وفقيها، توفي سنة 1198هـ وقيل عام 1196هـ.(ينظر: تقيدات بخزانة الجعفريين ببودا ولاية ادرار، والشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري 1198هـ، منشورات دار الحضارة، الجزائر، ط: 01، 2009م، ص: 33 وما بعدها، والحركة الأدبية في منطقة توات...، ص: 326).

5 ــ ينظر: الرحلة، ص: 41.

6 ــ هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التينيلاني، أخذ عن شيوخ من توات وآخرين من أقطار أخرى كالمغرب وغيرها؛ فمن التواتيين عمر بن عبد القادر التينيلاني(1152هـ)، والشيخ محمد بن اب المزمري تـ(1160هـ)، ومن المغاربة أحمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الهلالي، كان أحد أعلام المنطقة وإليه تشد الرحال في طلب العلم.(ينظر ترجمته: جوهرة المعاني، ص: 25، الدرة الفاخرة، ص: 5، والغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، محمد بَايْ لعالم، دار هومة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 15 وما بعدها، وقطف الزهرات، ص: 99، ألفية الغريب، ص: 13، الحركة الأدبية في منطقة توات...، ص: 313 ــ 314.)

ببلد أدغاغ فجئته فوجدته في المسجد يقرأ صحيح مسلم فجلست جلسة المتعلم وأخذت الشرح..."[1]، وكانت للشيخ ضيف الله رحلتان علميتان إحداهما إلى كرزاز سنة 1154هـ، والأخرى إلى الديار التواتية بعد وفاة والده وهي التي بين أيدينا.

- **آثاره:**

لم يخلّف ضيف الله أعمالا كثيرة سوى أشعار مازالت قيد المخطوط في الخزائن بتوات، ومع ذلك فهي غير معروفة إلى حد الساعة، وبعضها الآخر أودعه في رحلته إلى الديار التواتية[2]، وله كتاب ضمنّه ألغازا نحوية لم نعثر عليه، إلا أن بعض التراجم تذكره[3].

1) من أشعاره:

له قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم جاء في مطلعها:

هَجَــــرَ الحَبِيــــبُ وَهَاجَــــتِ الأَحْــــزَانُ   وَبَنَــــا الزَّمَــــانُ فَبَانَــــتِ الأَشْــــجَانُ

وَتَهَاوَنَــــتْ لِلْهَــــوَ أَسْــــبَابُ الــــرَّدَى   فَمَتَــــى البَقَــــاءُ وَمَاتَــــتِ الإِخْــــوَانُ؟

وَتَعَاظَمَــــتْ مِــــنْ عِظَــــمِ ذَنْبِــــي حَسْــــرَتِي   مِــــنْ أَجْــــلِ ذَاكَ تَكَــــاثَرَ الخِسْــــرَانُ

فَسَــــأَلْتُ عَــــنْ طِــــبِّ الطَّبِيــــبِ فَقَــــالَ لِــــي: دَبِّــــرْ لِنَفْسِــــكَ إِنَّنِــــي حَيْــــرَانُ[4]

وله قصيدة رثى فيها والده محمد بن أب المزمري متكونة من أبيات أولها وهي سينية من البحر الوافر، والقصيدة على وزن سينية الخنساء التي رثت فيها أخاها صخرا هذا مطلعها:

إِذَا مَــــا كُنْــــتَ مُنْتَجِعًــــا لِــــرَمْسٍ   فَشَــــمِّرْ لِلْحِجَــــازِ وَبَيْــــتِ القُــــدْسِ

1 ـ رحلة ضيف الله، ص: 101.

2 ـ ينظر بعض شعره في الرحلة، ص: 87، و21، و29، و32، و49، و59.

3 ـ ينظر: محمد بن أب المزمري...،ص: 42.

4 ـ القصيدة بآخر رحلة ضيف الله، ص: 108.

وَزُرْ قَبْــــــرَ النَّبِــــــيِّ وَلا تُقَصِّــــــرْ   فَــــإِنَّ هُنَــــاكَ مَطْلَــــبُ كُــــلَّ إِنْـــسِ

وَسِــــرْ بِجُـــرَارَةَ مُمْتَطِيًّــــا جَـــوَادًا   تَــــزُرْ شَـــيْخِي وَأُسْـــتَاذِي وَأُنْـــسِ

إلى أن يقول:

تـــوُفِّيَ الشَــيخُ فِيهَـــا عَـــنْ قَرِيـــبِ   بِأَهْـــونِ مِـــنْ جُمَـــادَى بِغَيـــرِ لُـــبْسِ

بِيــــــومِ عَاشِــــــرٍ مِنْـــــهُ بِعــــامٍ   مِـــنَ السِــــتِين فـــي تَحْقِيـــقِ حَـــدْسِ

وفــــي ذَا العَــــامِ غـــارَتْ عُيــــونٌ   كَصُـــــــوفِي وجنْـــــــتُوري ذِي بَحْــــــسِ

سَــــقَى الله ثَـــــراهُمْ كُـــــلّ وَبْـــــلٍ   مِـــــنَ الرّحَمَــــاتِ فِــــــي نَــــرْدٍ وَأوْسِ

ويختمها بقوله:

وَأَمَّــــــا بِفَقْـــــدِهِ نَخْـــــلًا فَــــلَازِمْ   فَسِــيلًا وَاجْــنِ مِـــنْ ثَمَـــرٍ بِغَـــرْسِ

وَأَمَّــــــا تَعْــــرِضْ عَنْــــهُ بِوَجْــــهٍ   وَبَعْـــدُ فَأَنْـــتَ ذُو خُلُـــقٍ وَأُلْـــسِ

فَمَــــا حُـــــبُّ مُجَافِيـــــهِ حَتَّـــــى   يَـــــرَى تِـــــذْكَارَهُ لِغَــــدٍ وَأَمْــــسِ[1]

2) من مواقفه النحوية:

ومن المواقف النحوية التي تذكر لضيف الله بن محمد بن أب إجابته على لغز لأبيه في النحو، نصه ما يأتي: (الخفيف)

صَـــاحِ سـَــلِّمْ علـــى النُّحـــاة وسَـــلْهُمْ   حبّـــــذا حبّـــــذا هُـــــمُ إن أجابُـــــوا

مـــا مُضـــافٌ إليـــه أُعْـــرِبَ بالرَّفـــ   ــــع صـــريحاً وذا لَعمـــرِي عجـــابُ

[1] ـ القصيدة كاملة مع شرحها في نهاية الرحلة إلا انها لم تسلم من التآكل ص: 104 ـ 107.

فأجابه ضيف الله بقوله:

سَــــلَامٌ مَــــعَ كَثِيــــرِ الأَمَــــلِ مِــــنْ مَــــوْلَاهُ   مِــــنْ نَفْسِــــي وِعَلَيــــهِ مِــــنَ الكَــــرِيمِ

جَــــوابُ مَــــا سَــــألتَ عنــــهُ قَــــرِيبٌ   فِــــي حِــــزْبِ الأنبيَــــاءِ هَــــدَاكَ الله

ذَا الجَــــوَابُ والعَجْــــبُ مِــــن مبْــــداهُ[1]   بعْــــدَ إلاّ ولَفْظُــــهِ لَفْــــظُ رَفْــــعٍ

[1] ــ السؤال وجوابه في رحلة ضيف الله إلى الديار التواتية، ص: 64.

ثانيا: منظومات نحوية نظمت متونا نحوية:

لقد أسهم علماء توات في الدرس النحوي العربي إسهامات وفيرة فكان لهم نصيبهم في حفظ التراث النحوي؛ بما خلفوا من أعمال في هذا الجانب وعلى أنماط وأشكال مختلفة، ومن أبرز علماء توات في مجال الدرس اللغوي والنحوي قاطبة والنحوي خاصة محمد بن أب المزمري (ت: 1160هـ)، ومن المتون التي لقيت ترحيبا وصدى في نفوس أهل توات وغيرهم من علماء العالم العربي منظومة ابن مالك المعروفة بالألفية، ومقدمة ابن آجروم...التي انكب عليها الدارسون؛ فكان منهم من شرحها، ومن جعل عليها حواشي، ومن لخصها، ومن طولها...ومن المتون التي نظمها علماء توات:

1 ـ مقدمة ابن آجروم:

مقدمة ابن آجروم هي متن منثور صغير الحجم غزير العلم والفائدة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي[1] احتوى علما كبيرا في النحو جاء مختصرا، ولهذا كان الاهتمام به كبيرا في العالم العربي منذ ظهوره؛ فقد حفظها الصغار، وأقام العلماء عبر العصور عليه منظومات وشروح وحواشي ومطولات[2].

وفي إقليم توات عُرفت هذه المقدمة فأقيمت منظومات عليها؛ فقد نظمها ابن أب في ثلاث منظومات هي:

(أ) نظم مقدمة ابن آجروم:

وهو نظم ابن أب قصد به تسهيل حفظ منثور ابن آجروم، نظمه سنة 1120هـ، الموافق لـ 1708م، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النظم نظمه محمد بن أب وعمره لا

1 - هو محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي المغربي النحوي ، المشهور بابن آجروم، ولد بفاس المغربية، له مقدمة في النحو تسمى الأجرومية، توفي عام (623هـ ـ 1226م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 238/1.

2 ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ط، 2004م، 16/1 ـ 55.

يتجاوز ست وعشرين سنة؛ ولذلك جاء النظم عبارة عن نظم لكلام ابن آجروم لا غير، يقول في مطلعه من بحر الرجز:

قَـــــال ابْـــــنُ أُبّ واسْــــــمُهُ محـــــمّدُ   اللهَ فـــــي كُـــــلِّ الأُمـــــُورِ أحْمَـــــدُ

مـــــصَلِياً عَلـــــى الرَّسُـــــولِ الـــــمُنْتَقى   وآلِـــــهِ وصَـــــحْبِهِ ذَوِي الـــــتُّقى

وبَعْـــــدُ فَالقَصْـــــدُ بِـــــذَا المنْظُـــــومِ   تَسْـــــهِيلُ مَنْثُـــــور ابْـــــن أجـــــرُومِ

لِمـــــنْ أرادَ حِـــــفْظَهُ فَعُسِّـــــرا   عَليـــــهِ أنْ يَحْفَـــظَ مَـــا قَـــدْ نُثِـــرَا

الله أسْتعِـــــينُ فـــــي كُـــــلِّ عَمَـــــلْ   إلِيـــــه قَصْـــــدِي وعَليـــــهِ الـــــمُتَّكَلْ

وختمها بقوله :

قَـــدْ تَـــمّ مَـــا أُتِـــيحَ لِـــي أنْ أُنشِـــئهْ   فِـــي عَـــامِ عِشْـــرين وأَلْـــفٌ ومِـــائه

بِحَمْـــــدِ رَبِنَـــــا وحُسْـــــنِ عَـــــوْنِهِ   ومَـــــنِّهِ ورَفْـــــدِه وصوُنـــــه

قـــــصِيدَةٌ رائقَـــــةُ الألْفـــــاظِ   فَكُـــــنْ لِمـــــا حَـــــوتْهُ ذا اسْـــــتَيقاظِ(1)

(ب) نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم:

وهو نظم أراد به تبسيط منثور ابن آجروم، نظمه سنة 1144هـ - 1732م، يتكون من أربع ورقات، وحتوي على 140 بيتا، جاء في مطلعه من بحر الرجز:

نحْمَـــدُكَ اللّهُـــم يَـــا مـــنْ أنْعَمَـــا   وعَلّـــمَ الإنْسَـــانَ مَـــا لَـــمْ يَعْلَمَـــا

وبِـــــكَ أسْـــــأَلُكَ أنْ تُصَـــــلِيا   عَلـــــى الـــــنَّبَي بِالبهَـــــاءِ حُلِيـــــا

1 ـ منظومة نظم مقدمة ابن آجروم، محمد بن أب المزمري، مخطوطة بخزانة با عبد الله، ادرار.

سَــــيّدُنا مُحـــــمّدٌ خَيْـــرُ البَشَـــرْ   وَآلِـــــهِ مَـــا لاَحَ فَجْـــرٌ وانْتَشَـــرْ

وبَعْـــدُ أيُّهـــا الحـــبِيبُ الصَّـــافي   الـــــمُتلقِي الحـــقّ بِالإنْصـــَافِ

فَـــذَا كِتَـــابُ نُـــزْهَةِ الـــحُلُومِ   فـــي نَظْـــمِ مَنْثـــُور ابـــنِ آجـــرُوم

وربنـــا المســؤل فـــي نيـــل الأمـــل   وفـــي قبـــول القـــول والعمـــل

وختم نزهته بسنة النظم وعدد أبيات المنظومة، فقال:

وَقـــدْ انتْـــكَ فـــي حُلاَهَـــا الـــنُزْهة   حَائِـــزَةٌ مـــنَ الـــجَمال كُنْهـــة

سَـــــنَةُ أرْبَـــــعٍ وأربعـــــينا   لِلْخَمـــسِ والسِـــتِ مِـــنَ الـــمِئينا

فـــي مـــائَةٍ وأرْبَعِـــينَ بَـــيتا   فَنِعْـــمَ حُـــرّاً أنْـــتَ إنْ أغْضَـــيْتَا

فأحْمَـــــدُ الله مُنِيـــــلَ الأرَبِ   مُـــصَلِياً عَلـــى الرّسُـــولِ العَرَبِـــي

وءالِـــه ذَوِي الـــنّوالِ الـــجمِّ   وصَـــحْبِهِ الغـــرّ بُـــدُورِ الـــتَّمِ[1]

(ت) كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم:

وهو نظم شعري يحوي في طياته لبّ منثور الآجرومية، ألّفه سنة 1157هـ، 1744م، يتكون من أربع ورقات فيها سبعة أوجه، يحتوى على 114 بيتا، قال في مطلعه ذاكرا تسمية النظم وسببه مع مقدمته من بحر الرجز:

لَـــكَ الحمْـــدُ يَـــا الله يَـــا مَـــنْ تَفَضَّـــلا   ومـــــنَّ عَليْنَـــــا بِالبَيـــــانِ وأجْمَـــــلاَ

1 - منظومة نزهة الحلوم، محمد بن أب، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار، وعندي نسخة منه ، وكان لهذه النـُّزْهة وقعها الطيب على التلاميذ فامتدحها تلميذه عبد الرحمن بن عمر، في أبيات كتبت على هامش المنظومة، قال في مطلعها:
إذا رُمْتَ نظماً يزرِي بالدُّرِ في سَلْكٍ   فلاَزِمْ ذرى الشيخ ابن أُبّ أخ النَّسْكِ

وأُهْـــدِي صَـــلاةً مَـــعْ كَـــرِيمِ تَحيّـــةٍ إلـــى مَـــنْ أتـــى بِـــالحقِّ للخَلْـــقِ مُـــرْسَلاَ

مُحـــــمّدٍ الـــــهَادِي الأمِـــينِ وآلِـــهِ وأصْـــحابِه والتّـــابِعِينَ علـــى الـــولاَ

وَبَعْـــدُ فَـــذَا نَظْـــمٌ يَـــرُوقُ فَمَـــنْ يَـــذُقْ جَنَـــاهُ إلَـــى الكُتُـــبِ الكِبَـــارِ تَوَصَّـــلاَ

أَتَـــى جَامِعًـــا لُـــبَّ المُقَدِّمَـــةِ الَّتِـــي حَـــوَتْ لِابْـــنِ آجـــرومِ نَثْـــرًا مُفَصَّـــلاَ

وَسَـــمَّيْتُهُ كَشْـــفَ الغُمُـــومِ لِكَشْـــفِهِ عَـــنِ المَـــرْءِ غَـــمَ اللحْـــنِ سَـــاعَةَ يُبْـــتَلاَ

فَدُوْنَكَـــــهُ فَـــــاعْرِفْ مَعَانِيـــــهِ وَلَا تَـــزَلْ مُعْمِـــلاً لِلْفِكْـــرِ فِيـــهِ لِتَنْـــبُلاَ

وختمه بالمخفوضات وسنة النظم، فقال:

وذا مُنْتهـــى الـــمَرْمَى وفـــي عـــامِ سَـــبْعةٍ وخمســـين بعْـــدَ الألـــفِ والمائـــةِ انـــجَلاَ[1]

(ث) اللؤلؤ المنظوم:

وللمحدثين من توات كذلك نظم على مقدمة ابن آجروم ويعلق الأمر هنا بالشيخ محمد بَايْ بلعالم (تـ 2009هـ) سمى منظومته "**اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم**"، نظمها رحمه الله تعالى سنة 1407هـ، والمنظومة تتكون من 203 أبيات، يقول في مطلعه:

الحَمْـــدُ لله الَّـــذِي قَـــدْ فَتَحَـــا أَبْـــوَابَ فَيْضِـــهِ لِمَـــنْ لَـــهُ نَحَـــا

صَـــلّى وسَـــلّمَ علَـــى مَـــنْ خَفَضَـــا بِـــالجَزْمِ مَـــنْ عَـــنْ رَبِّـــهِ قَـــدْ أَعْرَضَـــا

مُحَمَّـــدٍ مَـــنْ نُـــورُه قَـــدْ ارْتَفَـــعَ وَعَـــمَّ كُـــلَّ العَـــالَمِينَ إِذْ طَلَـــعَ

فَانْفَتَحَـــتْ بِـــهِ الأَذَانُ الصُـــمُّ ونَطَقَـــتْ بِـــهِ الشِّـــفَاهُ الـــبُكْمُ

1 - منظومة كشف الغموم، محمد بن أب، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار، وقد تقدم الشيخ بَايْ بشرح هذا النظم ، سماه بـ (عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم)، والكتاب تحت الطبع.

ويختمها بقوله:

قَــــدْ انْتَهَـــــى وَنَسْـــــأَلُ اللهَ العَظِـــــيمْ   أَنْ يَجْعَـــــلَ العَمَـــــلَ لِلْوَجْـــــهِ الكَـــــرِيمْ

سَـــــنَةَ أَلْـــــفٍ مَـــــعْ أرْبَـــــعِ مِيئَـــــينْ   وَسَـــــبْعَةٍ لِهِجْـــــرَةِ الهَـــــادِي الأَمِـــــينْ

فِـــي شَـــهْرِ مَوْلِـــدِ النَّبِـــي المُصْـــطَفَى   صَـــــلَّى عَلَيْـــــهِ رَبُّنَـــــا وَشَـــــرّفَا

وَالآلِ والصَّـــــحْبِ كَوَاكِـــــبِ الظَّـــــلَامْ   وَالحَمْـــــدُ للهِ بِهَـــــا مِسْـــــكُ الخِتَـــــامْ[1]

2 ـ ألفية ابن مالك:

الألفيـة هـي منظومـة نظمهـا ابـن مالـك الجيـاني (672هـ) وتسـمى الخلاصـة إلا أنهـا اشتهرت بالألفية لأنها احتوت على ألف بيت، جاء في مطلعها:

قَـــالَ مُحَمَّـــدُ هُـــوَ ابْـــنُ مَالِـــك   أَحْمَـــدُ رَبِّـــي اللهُ خَيْـــر مَالِـــك

والألفية من أشهر ما كتب في النحو العربي على الإطلاق من متون منظومة ولقيت شهرة علية فدرست للصغار والكبار وقامت عليها دراسات وشروح وحواشي ومختصرات[2]، ولم تكن توات لتشذ عن هذه القاعدة؛ فقد قامت على الألفية شروح كثيرة فلم تكن زاوية من زوايا توات إلا وتجد ألفية ابن مالك من بين برامجها ومناهجها التدريسية إلا أن تلك الشروح كانت في أغلبها شفوية؛ فإنني لم أعثر في الخزائن التواتية على شروح للألفية من علماء توات.

(أ) تلخيص أبواب الألفية:

إن الشيخ البكري بن عبد الرحمن (1339هـ)[3] قام بتلخيص أبواب الألفية في خمسين بيتا، يذكر فيها كل أبواب الألفية تسهيلا لحفظها، وهذه نتف منها، جاء في مطلعها:

---

[1] ـ المنظومة توجد مع شرحها الموسوم بـ: كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

[2] ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 222/1 ـ 257.

[3] ـ هو البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن معروف بن أحمد بن يوسف التينيلاني ولد سنة 1261هـ ـ 1845م، بزاوية البكري حفظ القرآن الكريم على يد والده، وتلقى الفقه واللغة والأدب على يد خاله الحسين بن سعيد، تقلد الإمامة والتدريس في أماكن عدة، كان شاعرا فحلا مفلقا، توفي سنة 1339هـ ـ 1921م بمسقط

الحَمْـــــدُ لله الَّـــــذِي قَـــــدْ أَعْرَبَـــا بِـــاللفْظِ عَـــنْ مَعْنًـــى شَـــرِيفٍ أَغْرَبَـــا

وَأَنْـــزَلَ الحِكْمَـــةَ فِـــي الإِعْـــرابِ عَلَـــى لِسَـــانِ العُـــرْبِ وَالأَعْـــرَابِ

ويختمها بقوله:

كَـــــذَاكَ الإِدْغَـــــامُ وَذَا الأَخِيـــــرِ مِـــــنَ التَّـــــرَاجِمِ عَـــــدَّاكَ الضّـــــيْرُ

فَهَاكَهَـــــا أُرْجُـــــوزَةً مُرَوْنَقَـــــة فَرِيـــــدَةً فِـــــي حُسْـــــنِهَا مُحَقَّقَـــــة

قَـــدْ حَاكَاهَـــا البَكْـــرِيُّ نَجْـــلُ مَـــنْ عَبَـــدَ رَحْمَانَنَـــــا سُـــــبْحَانَهُ وَمَـــــا جَحَـــــدَ

طَهَـــــــرَهُ الإِلَـــــــهُ بَالتَقْـــــــدِيسِ مِـــــنْ ظُلْمَـــــةِ النُّفُـــــوسِ وَالتَّلْبِـــــيسِ

وَالحَمْـــــــدُ للهِ عَلَـــــــى التَّمَـــــــامِ وَصَـــــلِّ يَـــــا رَبِّ عَلَـــــى التُّهَـــــامِي

وَآلِـــــهِ وِصَـــــحْبِهِ أُسْـــــدُ الـــــوَغَى مَـــنْ جَاهَـــدُوا فِـــي اللهِ حَقًّـــا مَـــنْ بَغَـــى

(ب) منظومة في تحقيق مسائل نحوية على طرق الحواشي:

وهي منظومة كذلك للشيخ البكري بن عبد الرحمن، والمنظومة يتحدث فيها عن الكلام والكلم وحقيقة كل منهما حسب ما جاء في ألفية ابن مالك، أو بمعنى آخر حاول شرح البيتين الأولبين من الألفية، وتتكون من أربعة وخمسين بيتا على بحر الرجز كذلك، جاء في مطلعها:

الحَمْـــــــــدُ للهِ وَصَـــــــــلَّى الله عَلَـــــــــى نَبِيِّـــــــهِ وَمُصْـــــــطَفَاهْ

وَقَـــوْلُ مَـــنْ شَـــاذَ لِـــدِيَّ ذِكْـــرُهْ أَيْ ابْـــنِ مَالِـــكٍ العَظِـــيمِ قَـــدْرُهْ

رأسه.(ينظر ترجمته كاملة في: قطف الزهرات من اخبار علماء توات، ص: 78، "بناء القصيدة الشعرية عند الشاعر البكري بن عبد الرحمن التينيلاني التواتي"، عبد القادر بقادر، مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، ع: 01، 2011م، ص: 160 – 170.)

لَـــدَى عَلاَمَـــةِ الأَسَـــامِي وَالفِعَـــالْ   فَبِكَـــذَا وَكَـــذَا عَلَـــى التَّـــوَالْ

فَـــذَاكَ مِـــنْ بَـــابِ القَضَـــاء بِـــالجَمِيعْ   وَلَـــيْسَ بِـــالمَجْمُوعِ قَـــدْ قَضَـــا الرَّفِيـــعْ

ويختمها بقوله:

إِذْ مِـــنْ وُجُودِهَـــا الوُجُـــودُ يَلْـــزَمْ   وَالعَـــدْمُ مِـــنْ عُلُومِهَـــا لا يَلْـــزَمْ

أَلْـــفٌ وَأَلْـــفٌ مَـــعَ أَلْـــفٍ وَأَلْـــف   صَـــلاَتُنَا مَضْـــرُوبَةٌ فِـــي أَلْـــف

عَلَـــى نَبِيِّنَـــا الكَـــرِيمِ المُصْـــطَفَى   وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ ذَوِي الوَفَـــا[1]

3 ـ شرح التصريح على التوضيح:

ويسمى "التصريح بمضمون التوضيح"[2] لخالد الأزهري (905هـ) [3]، هو في الأصل شرح لكتاب ابن هشام الأنصاري[4] "أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك" ويسمى كذلك "توضيح المسالك إلى ألفية ابن مالك"[5]، وقد نظم الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي[6] "فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الأزهري خالد في علم النحو" والمنظومة عبارة عن ألفية في النحو، يقول في مطلعها:

1 ـ منظومة مسائل نحوية على طرق الحواشي، البكري بن عبد الرحمن، مخطوط بالخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري، عندي نسخة منها.

2 ـ لقد وضع العديد من العلماء حواشي على هذا الكتاب النحوي. (ينظر: جامع الشروح والحواشي، 228/1 ـ 229.)

3 ـ هو زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري الشافعي، المعروف بالوقاد، ولد سنة 838هـ، درس القرآن الكريم في القاهرة توفي سنة 905هـ، له مؤلفات نحوية كثيرة منها إعراب ألفية ابن مالك، تمرين الطلاب في صناعة الإعراب، ...(ينظر ترجمته في: الأعلام، 297/2، معجم المؤلفين، 97/4.)

4 ـ هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، ولد بالقاهرة عام 708هـ، وتوفي عام 761هـ، له مصنفات نحوية كثير منها مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وقطر الندى وبل الصدى، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.(ينظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي، يوسف عبد الرحمن الضبع، دار الحديث، القاهر، ج م ع، ط: 01، 1418هـ ـ 1998م، ص: 17 ـ 20.)

5 ـ وقد وضعت عليه شروحا وحواشي كثيرة. (ينظر: جامع الشروح والحواشي، 227/1 ـ 228.)

6 ـ هو عبد الرحمن حفصي ولد سنة 1932م بأولف، تلقى العلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مدرسة سالي عند الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، برع في علوم كثيرة منه الفقه والنحو والحديث له قصائد شعرية كثيرة وكذلك مؤلفات في النحو والصرف وغيرهما من الفنون. (ينظر ترجمته كاملة في: فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الأزهري خالد في علم النحو تأليف: الحاج عبد الرحمن حفصي الأدراري (دراسة)، محمد بن عبو، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 1431هـ ـ 2009م، ص: 13 ـ15)

الحَمْـــــدُ للهِ الَّـــــذِي قَـــدْ سَـــــهَّلَا   نَظْــــمَ الَّــــذِي قَــدْ رُمْتُــــهُ وَأَهَّـــلَا

حَمْــدًا يُــوَافِي مَــا عَلَيْنَــا قَــدْ أَتَــمْ   بِـــهِ الجَزِيــلِ مِـــنْ سَـــوَابِغِ الــنِّعَمْ

إلى أن يقول:

وَبَعْــدُ: أَسْـــأَلُ مِـــنَ اللهِ المَجِيـــدْ   العَــوْنَ دَائِمًــا فَــي كُــلِّ مَــا أُرِيــدْ

مِنْــهُ عَلَــى نَظْمِــي لِتَــا المُقَدِّمَــهْ   لِخَالِــدِ الأزْهَــرِيِ وَهْــيَ سَــالِمَهْ

مِــنْ آفَــةِ النَّاقِــدِ نَفْعُهَــا كَثِيــرْ   رَغْمًــا لِأَنْــفِ كُــلِّ جَاحِــدٍ كَفُــورْ

وَهْــيَ عَلَــى جُــلِّ عُلُــومِ النَّحْــوِ   قَــدْ احْتَــوَتْ فَــازَ بِهَــا مَــنْ يَحْــوِى

ويختمها بقوله:

حَمْــدًا لَــهُ حَمْــدًا كَثِيــرًا دَائِمًــا   مِنِّـــي عَلَيْـــهِ قَاعِـــدًا وَقَائِمًـــا

ثُــمَّ صَــلَاتُهُ عَلَــى نَبِيِّنَــا   مُحَمَّـــدٍ خِـــاتِمِ رُسْـــلِ رَبِّنَـــا

وآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَالمُتَّبِـــعْ   لِنَهْجِـــهِ وَلَـــيْسِ ذَاكَ المُبْتَـــدِعْ

نَظَمَهَــا عَبْــدُ الــرَّحْمَنِ الأَوَلْفِــي   نَجْــلٌ لِإِبْــرَاهِيمَ حَفْصِــي يَــا وَفِــي

أَبْيَاتُهَــا جِــيمٌ وَشِــينٌ شَــكتا   شَــعْبَانَ أَرَّخَهَــا مَــنْ قَــدْ كَلتــا[1]

---

[1] ـ المنظومة لازالت مخطوطة في خزانة الشيخ حفصي الحاج عبد الرحمن بأولف ولاية أدرار، وقد قام الأستاذ محمد بن عبو بدراستها في رسالة ماجستير بجامعة ورقلة.

ثالثا: منظومات نحوية نظمت مسائل نحوية متفرقة:

ومن مظاهر اهتمام علماء توات بالنحو العربي هو محاولتهم لنظم مسائل نحوية تجلى لهم أنها في حاجة إلى تقريب وتسهيل ومنها:

1 ـ نظم على معاني بعض حروف الجر:

وهو نظم للشيخ محمد بن أب المزمري الذي تطرّق فيه لحروف الجر مع إعطاء معنى لكل حرف، ولم يُقيده بتاريخ، واستهله بقوله من بحر الرجز:

حَمْـــداً لِمَـــا مَـــنحَ أَسْـــرَار الكَـــلامْ   ثُـــمّ علـــى الـــرَّسُولِ أَفْضَـــلُ السّـــلامْ

وبَعْـــدُ فالقَصْـــدُ بِهَـــاذِي القِطْعـــة   نَظْـــمُ معَـــانٍ لِحـــرُوفٍ سَـــبْعة

أعْـــنِي بِهـــا يـــا ذَا الـــنُّهى مِـــنْ وإلـــى   وَعَـــنْ وَفِـــي والـــلاّمُ والبَـــا وَعَلَـــى[1]

2 ـ منظومة في إعراب تسبيح:

والتسبيح يتلى بعد صلاة التراويح في شهر رمضان المعظم بإقليم توات إلى يوم الناس هذا والأبيات أعرب فيها بعض الكلمات من التسبيح[2] وأبيات المنظومة من بحر الطويل:

إذا كُنْـــتَ يـــا ذا اللُّـــبِ فـــي الحَـــقِّ ترْغَـــبُ   وفـــي الحـــقِّ مـــا يُصْغـــى إليـــهِ ويُطْـــرَبُ

فَقُـــلْ يـــا قَـــرِيبُ وابْنِـــهِ فـــي ندائـــهِ   علـــى الضّـــمِّ واقْفِـــي نحـــوه فهْـــوَ أصْـــوَبُ

1 - مخطوط بخزانة الشيخ بَايْ ، أولف ، أدرار، ونسخة أخرى بخزانة كوسام، ادرار .

2 - هذا الدعاء هو إلى الآن يُقرأ بعد صلاة التراويح في منطقة توات ، ونصه ما يلي :

سُبْحانَكَ يا قَرِيبُ يا مُجِيبْ يا مُـــولاَنَا   سُبحَانَك يَا حَاضِراً لاَ يَغِيبْ يَا مُولانَا

سُبْحانَكَ يَا فَعَّالَ مَـا يُرِيدْ يَا مُـــولاَنَا   سُبْحَانَكَ يَا مُوصُوفاً بِالْكَمَالْ يَا مُولاَنَا

سُبْحَانَكَ يَا عظِيمُ ذا الجَلاَلْ يَا مُـــولاَنَا   سُبْحانَكَ يَا كَرِيمُ ذَا الإِحْسَانْ يَا مُولاَنَا

سُبْحانَكَ يَا مَعْرُوفُ بِالمَعْرُوفْ يَا مُـــولاَنَا   سُبْحانَكَ يَا إِلَهِي لَكَ الحَمدْ يَا مُولاَنَا

لكَ الحَمْدُ في السِّرِ لَكَ الحَمْدُ في الجَهْـرِ   لَكَ الحَمْدُ دائِمـاً لَكَ الشُّكـْرُ أبدا

ولا تسْتَبِــــــحْ تَنْوينَــــــهُ يـــــا أخَ الحــــــجَا فَتَصْــــحِي إذاً مِمّــــن إلـــــى الحَــــقِّ يُنْسَـــــبُ

ومهْمــــى أتـــى فـــي الشِّــعْرِ فَهْــوَ ضــرُورةٌ وَكَــمْ قَــدْ أبَــاحَ الحظْــرُ فــي الشِّــعْرِ مَــأْرَبُ

وقـــــولُهمْ يـــــا حَاضِــــراً لاَ يَغِيــــبْ جَــــا بِــــــوجْهين مَـــــرْويين والنصْـــــبُ أقْـــــرَبُ

كـــــذلِكَ يَـــا فَعّـــالُ حيــــثُ أتَــــى هُنَـــا مُضَــــافاً لِمَـــا يُـــرِيدُ بالنصْـــبِ يُعْـــرَبُ

كـــــذلِك مـــــوصُوفاً أتَــــى قَبْــــلُ بِالكَمَــــا لِ شِـــــبْهُ مضَــــافٍ دُونَ خَلْــــف فَيُنْصَــــبُ

وقُــــلْ يَـــا عَــظِيمُ ذَا الجـــلاَلِ بِنَصْـــبِ ذَ ... بِمـــــــــقَالِ ربـــــــــهِ لا يثْـــــــــرِبُ

فتَــــابِعُ ذَا الضَّــــمِ المضَـــــاف بِـــدُونِ الـــــ لَــــدَى كُـــلِّ نحـــوِي لَـــهُ النصْـــبُ يُوجَـــبُ

ومَـــنْ يَعْتَمِـــدْ عَكْــسَ الـــذي قَــدْ شَــرَحْتَهُ فَـــذَاكَ لَـــهُ عَـــنْ مـــذْهَبِ الحَـــقِّ مَـــذْهَبُ[1]

3 ـ منظومة في التوابع:

حيث يقول من (بسيط):

إنَّ التوابـــعَ حُكْمُهـــا إذا اجْتَمعَـــتْ كَــمَا تَــرَاهُ مِــنَ الترْتِيــبِ فــي المثَــلِ

قَـــوْلُ جَـــاءَ الغُـــلاَمُ الهاشِـــمِيُ أبـــُو مُحمّـــدُ نفْسُـــهُ أخُـــوكَ ثُـــمّ عَلِـــي[2]

1 - محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص62 – 63 .
2 - محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص63 .

4 ـ منظومة في أسماء الإشارة:

تتكون من أربع وعشرين بيتا على بحر الرجز، يتناول الشيخ البكري بن عبد الرحمن التينيلاني في منظومته هاته أحوال أسماء الإشارة، يقول في مطلعها:

ذَاكَ وَذَانِـــــــكَ أَوْلَئِـــــــكَ فَقُـــــــلْ   وَذَاكُمَـــا ذَالِكُمَـــا يَـــا مَـــنْ يَقُـــلْ

ثَمَّـــــــتَ أَوْلَئِكُمَـــــــا وَذَاكَـــــــمْ   وَذَاتِكُـــــــمْ أَوْلَـــــــئِكُمْ مُـــــــزَاحِمْ

وَذَلِـــــكَ أَوْلَئِـــــكَ ذَانِـــــكْ تَـــــلَا   وَذَاكُمَـــا ذَاتِكُمَـــا عَلَـــى الـــوِلَا

ويختمها بقوله:

وابْـــــدَأْ بِـــــأَوَّلِ وَاجْــــرُرْ آخِــــرَا   فَمَـــا سِـــوَى ضِـــلْعٍ بِـــأَعْلَى ظَهَـــرَا

وَصَـــــلِّ يَـــــا رَبِّ عَلَـــى مُحَمَّـــدْ   مَـــنْ جَـــاءَ فِـــي بَلَاغَـــةٍ لَـــمْ تُعْهَـــدْ

وآلِـــــهِ وَصَـــــحْبِهِ ذَوِي الهُـــــدَى   وَمَـــنْ تَلَاهُـــمْ بِحُسْـــنِ الاقْتِـــدَا[1]

5 ـ منظومات أخرى:

كان لبعض العلماء من توات منظومات نحوية متفرقة حيث جمعت أبوابا نحوية وحاولوا فيها جمع شتات النحو ومن بين تلك المنظومات ما يأتي:

(أ) أبواب نحوية متفرقة:

نظم الشيخ أمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد[2] منظومة نحوية جمع فيها أحد عشر بابا من أبواب النحو وهي: باب حروف الاسم والفعل، باب الخاص

[1] ــ منظومة أسماء الإشارة، البكري بن عبد الرحمن، مخطوط بالخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري، عندي نسخة منها.

[2] ــ هو أمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد الحبيب ولد بقصر كوسام سنة 1248هـ، ودرس بها، توفي سنة 1319هـ، تولى القضاء خلال القرن 14 الهجري، برع في مختلف العلوم، (ينظر: نبذة عن علماء كوسام، مخطوط، بخزانة كوسام، ص: 12، والتاريخ الثقافي لإقليم توات...، ص: 95.

بالاسم، باب حروف الفعل، الكتاب الثاني في الاسماء المباني، باب أسماء الشرط والاستفهام، باب في الموصولات، باب في أسماء الإشارة، باب أسماء الأفعال، باب الظروف المبنية، باب في خلطة، باب الأفعال الجامدة. وتتكون من خمس وثمانين بيتا، على بحر الرجز، يقول في مطلعها:

باب حروف الاسم والفعل

اسْتَفْتِحَنَّ بِألا يَا صَاحِ   وَأُخْتُهَا أَمَّا فِي الاسْتِفْتَاحِ
وَهَلْ وَهَمْزَةٍ بِهَا مُسْتَفْهِمِ   وَلَامِ الابْتِدَا وَلَامِ القَسَمِ
وَأَحْرُفِ العَطْفِ وَهيَ أَنْ تَسَلْ   وَاوٌ وفَا أَوْ ثُمَّ أَمْ وَلَا وَبَلْ

ويختمها بباب الأفعال الجامدة، وبعدها بالدعاء فيقول:

رَبِّ ابْنِ لِي عَلَى التُّقَى أَفْعَالِ   وَنَجْنِي مِنْهَا وَمِنْ أَقْوَالِ
وَصَلِّ بِالغُدُّوِ وَالآصَالِ   عَلَى النَّبِيِّ الهَادِي مِنَ الضَّلَالِ
وَارْزُقْ لَنَا حَلَاوَةَ العِبَادَهْ   وَالخَتْمَ بِالحُسْنَى وَبِالسَّعَادَهْ
وَثَابِتَ الإِيْمَانِ وَالشَّهَادَهْ   وَالفَوْزَ بِالحُسْنَى وَبِالزِّيَادَهْ[1]

[1] ــ منظومة في مسائل نحوية متفرقة، أمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد، مخطوط، بخزانة بني تامر، وعندي نسخة منها.

(ب) منظومة في بيان إعراب (الغياثَ الغياثَ):

لمحمد عبد الكريم بن محمد عبد الكريم البلبالي[1]، وهي متكونة من أربع عشرة بيتا وفي مناسبة النظم يقول: "وذلك لما سمعت أن بعض الناس ممن يدعي العربية كان يقرأه الغياث بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف"[2]، وجاء في المنظومة:

يَـــا مُرِيـــدًا إِعْـــرَابَ قَـــوْلِ الـــزُّوَّارِ   الغِيَّـــاثَ الغِيَّـــاثَ نَـــاسَ الأَحْـــرَارِ

هَـــذَا كَـــانَ مُنَادِيًّـــا لِلأَبْـــرَارِ   مُسْـــتَغِيثًا لَا كَاشِـــفًا لِلأَخْبَـــارِ

نَصْـــبُهُ بِـــالإِغْرَا أَتَـــى لَا تُمَـــارِ   قَـــدْ حَكَـــاهُ ابْـــنُ مَالِـــكٍ ذُو الأَبْـــرَارِ

فِـــي خُلَاصَـــتِهِ الَّتِـــي كَالأَمْطَـــارِ   خَيْرُهَـــا قَـــدْ فَاحَـــتْ لَنَـــا كَالقُمَـــارِ

الأَسُـــودَ الأَسُـــودَ يَـــا هَـــذَا السَـــارِ   أَوَّلَ الليْـــلِ سِـــرْتَ أَوْ فِـــي الأَفْجَـــارِ

وَأَخَـــاكَ أَخَـــاكَ مِثْـــلُ ذَا جَـــارِ   مِـــنْ جَمِيـــعِ النُّحَـــاةِ فَاصْـــغِ يَـــا قَـــارِ

النُّحَـــاةَ النُّحَـــاةَ ضَـــوْءِ الأَنْـــوَارِ   يَكْشِـــفُونَ الغِطَـــا عَـــنِ الأَسْـــرَارِ

النُّحَـــاةَ النُّحَـــاةَ دَانِـــيَّ الـــدَّارِ   إِنْ أَرَدْتَ الغِطَـــا وَسَـــتْرَ الأَكْـــدَارِ

فَاتَّخِـــذْهُمْ مِصْـــبَاحًا يَـــا ابْـــنَ الأَحْـــرَارِ   لِتَكُـــونَ فَصِـــيحًا عِنْـــدَ الإِخْبَـــارِ

أَيُّهَـــا السَّـــامِعُ لِهَـــذَا الأَشْـــطَارِ   فَـــاتْرُكَنْ وَهْمَـــكَ الَّـــذِي كَالغُبَـــارِ

وَاتَّبِـــعْ قَـــوْلَ عَـــائِمٍ فِـــي البِحَـــارِ   عُبَيْـــدَ الكَـــرِيمِ نَسْـــلَ الأَنْصَـــارِ

[1] ـ هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم البلبالي، ولد سنة 1288هـ بقصر بني تامر، بدأ دراسته بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى تمنطيط أين أكمل دراسته، اشتغل بالتدريس والافتاء تتلمذ عليه عدد من التلاميذ، توفي سنة 1375هـ.(التاريخ الثقافي لإقليم توات...، ص: 98 ـ 100، ومقابلة شفهية مع أحد أحفاده الحاج أمحمد مبدوبي، بني تامر، يوم: 2012/08/25م).

[2] ـ مقدمة منظومة في بيان إعراب الغياث الغياث، عبد الكريم البلبالي، مخطوطة بخزانة بني تامر، وعندي نسخة منها.

مِـــــنْ بِبِيْتِـــــهِ نَــــازِلٌ خَـــوْفَ العَــــارِ   يَرْتَجِـــي مِــــنْ مَـــوْلَاهُ حِفْـــظَ العُـــوَّارِ
خَاتِمًـــا بِالصَّـــلاةِ عَلَـــى خِـــدْنِ البَـــارِ   أَحْمَـــدَ المُصْـــطَفَى الكَبِيـــرِ المِقْـــدَارِ
هَــــيَ وِرْدِي عَشِــــيٍّ وَبَعْــــدَ النَّهَــــارِ   فِيهَا يَا سَعْدِي تَطِيبُ الأَثْمَارِ

(ت)   أبيات حول مواضع زيادة كان:

فَــإِنْ تُــزَدْ كَــانَ فَلَــيْسَ مِــنْ عَمَــلْ   لَهَــا وَزَيْــدُهَا بِشَــرْطَيْنِ اكْتَمَــلْ
الأَوَّلُ مِنْهُمَـــــا بِـــــأَنْ تَجِـــــيءْ   بِلَفْـــظِ فِعْـــلِ مَضِـــيٍّ مَجِيئَـــا
وَالثَّـــــانِي بِـــــيْنَ مُتَلازِمَـــــينِ   تَلازُمًـــــا يَــــدُومُ دَوْنَ مَــــينِ
فِـــي تِسْـــعَةٍ مِـــنَ المَوَاضِـــعِ تَلِـــي   تَقَـــعُ بَـــيْنَ الفِعْـــلِ ثُـــمَّ الفَاعِـــلِ
كَلَـــمْ يُصَـــلِّ كَـــانَ عَبْـــدُ القَـــادِرِ   وَبَـــيْنَ مُبْتَـــدَأ وَبَـــيْنَ الخَبَـــرِ
تَقُـــولُ عَمْـــرٌو كَـــانَ رَأسُ الرِّفْقَـــةِ   وَبَـــيْنَ مَوْصُـــولٍ وَبَـــيْنَ الصِّـــلَةِ
كَجَـــا الَّـــذِي كَـــانَ يُصَـــلِّي يَـــا فَتَّـــى   وَبَـــيْنَ مَوْصُـــوفٍ وَبَـــيْنَ الصِّـــفَةْ
نَحْـــوَ مَـــرَرْتُ آنِفًـــا بِرَجُـــلِ   كَـــانَ جَـــرِيحٍ مُخْبَـــتٍ مُبَجَـــلِ
وَبَـــيْنَ فِعْـــلٍ إِنْ تَقَـــعْ وَنَائِـــبِ   فَاعِلِـــهِ كَلَـــمْ يُـــرَى بِجَـــانِبِي
كَـــانَ سَـــعِيدٌ ثُـــمَّ بَـــيْنَ نِعْمَـــا   وَبَـــيْنَ فَاعِلِهَـــا نِلْـــتَ العِلْمَـــا
كَمِثْـــلِ نِعْـــمَ كَـــانَ زَيْـــدٌ رَجُـــلَا   وَبَـــيْنَ كَـــانَ خَالِـــدٌ بَـــيْنَ المَـــلَا
كَـــذاكَ بَـــيْنَ المُتَعَـــاطِفَينِ   تُـــزَادُ أَيْضًـــا وَبِـــدُونِ مَـــيْنِ

فَاعْرِبْـــــهُ مُبْتَــــدَأَ وَمَـــا جَـــا بَعْـــدُ   تَعْرِبْـــــهُ خَبَـــــرَهُ يَـــــا سَـــــعْدُ

وَإِنْ تَشَـــــأْ فَاعْرِبْـــــهُ مَفْعُـــولًا بِـــــهِ   فَسَّـــرَهُ الفِعْـــلُ الَّـــذِي مِـــنْ بَعْـــدِهِ

كَمِثْـــــلِ مَـــــا تَفْعَلُـــــهُ يَـــا سَـــعِيدُ   يَعْلَمْـــــهُ مَـــــنْ نَحْـــنُ لَـــــهُ عَبِيـــدُ

وِجْهَـــــانِ فِيـــــهِ غَالِبًـــــا لِلْقَاعِـــــدَهْ   لَـــــهُ وَلِلَّـــــذِي حَكَـــــاهُ عَائِـــــدَهْ[1]

خلاصة:

يمكننا القول بأن لعلماء توات دورا وفضلا في حفظ التراث العربي النحوي، كما يعد ذلك إسهاما واضحا منهم في جهود علماء العرب في الدرس النحوي، وهو بالتالي يكشف عن دور إقليم ظل علماؤه وإسهاماتهم يلفها رداء النسيان، إن لم نقل أن هذا الرداء قد لفّ علماء الجزائر والمغرب العربي عموما، وما جئت به لا يعد إلا قليل من كثير؛ لأن ما ضاع أكثر مما بقي منه.

[1] ـ منظومة في مواضع زياد كان، الحاج عبد الرحمن حفصي، مخطوطة في خزانة الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي بأولف، وعندي نسخة منها.

الفصل الثاني

جهود علماء توات النحوية من خلال الشروح

تمهيد:

اهتم علماء توات منذ قرون بعيدة بشرح المتون اللغوية وغير اللغوية، وما يهمنا في هذا الفصل هو اهتمامهم بشرح المتون النحوية، وهو الشيء الذي ظهر جليا في أعمالهم التعليمية؛ فالدافع الرئيسي للاهتمام بالمتون النحوية كان بالدرجة الأولى تعليميا مما يفسر حاجتهم إلى تعليم التلاميذ القواعد النحوية وكان من أبرز المتون التي لقيت قبولا لدى شيوخ زوايا ومدارس توات التعليمية أذكر على سبيل المثال لا الحصر ألفية ابن مالك في النحو والصرف، التي كان تحفظ للناشئة منذ الصغر، وكذا مقدمة ابن آجروم في النحو، ولامية ابن المجراد، ولامية ابن الوردي وغيرها كثير، وقد حظيت هذه المتون النحوية بمكانة مرموقة لدى علماء توات وشيوخها وبالتالي تلاميذهم وطلابهم، وهو الأمر الذي ظهر لنا في تلك الأعمال البارزة التي خلفوها حول تلك الأعمال؛ من بين ناظم وشارح ومعلق ومحشٍ ومختصر...، وسوف أتعرض لبعض مظاهر اهتمامات علماء توات بالمتون النحوية التي أحاول من خلالها إبراز جهودهم النحوية التي كان لها الدور البارز في حفظ التراث العربي النحوي.

أولا: شروح المتون النحوية في توات:

من المتون اللغوية التي اهتم بشرحها علماء توات المتون النحوية وبرز لدي من خلال بحثي أن الاهتمام بالشرح كان على نوعين؛ شفهي؛ وهو عبارة عن شروح يقدمها الشيوخ لطلابهم في المدارس القرآنية والزوايا، ولهذا كنا نسمع بالشراح ولا نرى لهم شروحا، وآخر كتابي؛ فالكتابي هو الذي وصل إلينا ووقعت عليه أنظارنا، ومن أشهر المتون التي شرحها التواتيون مقدمة الآجرومية وما نُظم عليها للشيخ ابن أب المزمري (1160هـ)، وكذا لامية ابن المجراد في الجمل للمجرادي، ملحة الإعراب للحريري.

1 ـ مقدمة ابن آجروم:

مقدمة ابن آجروم تلقاه التواتيون بالقبول الحسن ووجدوا فيها نوعا من الراحة العلمية (النحوية)، ومن ثم كان لها ذلك الذيع والصيت الذي سمعناه في توات؛ أو بمعنى آخر شاعت توات ألا تشذ عن قاعدة العالم العربي، فقد وضعت عليها شروح، ومنظومات؛ نظمها ابن أب في ثلاث منظومات، ونظمها الشيخ بَايْ كما عرفنا ذلك سابقا.

(أ) شروح مقدمة ابن آجروم:

- **شرح الآجرومية:**

وهو شرح وضعه الشيخ بَايْ بن سيدي عمر الكنتي الوافي (تـ: 1348هـ)[1] على مقدمة ابن آجروم، وقد ذكر هذا الشرح صاحب جامع الشروح والحواشي، إلا أنه ينسب الرجل إلى شنقيط[2]، بينما هو تواتي من قبيلة كنته التواتية، وشرحه لمقدمة ابن آجروم لم أتمكن من الحصول عليه رغم وجوده في إحدى الخزائن بولاية تمنراست كما أخبرني بذلك أحد الزملاء.

- **تفريج الغموم شرح على متن مقدمة ابن آجروم:**

وهو شرح وضعه محمد الحسن بن محمد بن أحمد القبلاوي (تـ: 1352هـ)[3] إلا أنني لم أعثر على هذا الشرح الذي ذكره الشيخ بَايْ بلعالم[4].

1 ـ هو بَايْ بن سيدي عمر بن محمد بن المختار الكبير الكنتي، ولد ما بين 1284هـ، أو 1285هـ، وتوفي سنة 1348هـ، له أشعار كثيرة مراسلات مع العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، وشرح على الآجرومية، وشرح عمل من طبّ لمن حبّ، وهو شرح لأحاديث في أصول الدين(ينظر: ترجمته وافية في: السَّنَنُ المبين في شرح أحاديث أصول الدين، بَايْ بن عمر الكنتي، تح: مالك كرشوش، وحيمد الكنتي، ركز الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، ط: 01، 1432هـ ـ 2011م، 39/1 ـ 61.

2 ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 1/ 46.

3 ـ هو من أعلام منطقة تيدكلت بتوات، ولد سنة 1283هـ بساهل قصر من قصور أقبلي الأربعة تنتمي إلى دائرة أولف من ولاية ادرار، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، لازم عمه الشيخ حمزة، خرج في طلب العلم إلى ليبيا ومالي وغيرها من الأقطار، له مصنفات عديدة في النحو والفقه وغيرهما توفي سنة 1352هـ (ينظر: الرحلة العلية، 249/1.)

4 ـ ذكر الشيخ بَايْ بلعالم أنه موجود بخزانة ساهل بأقبلي إلا أنني لم أعثر عليه عند زيارتي لها في عدة مناسبات(ينظر: الرحلة العلية...، 248/1.)

(ب) شروح منظومات على مقدمة ابن آجروم:

- **نظم على مقدمة ابن آجروم:**

فقد وضع عليها العديد من العلماء من توات وحتى من خارج الجزائر شروحا منها:

1) كتاب الدر المنظوم شرْح مقدمة ابن آجروم:

للشيخ مولاي أحمد الطاهري الحسني الإدريسي ت(1979م)، يقول في بدايته: "وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه أحمد المعروف بالطاهر الإدريسي الحسني، إني لما عثرت على نظم الإمام العلامة البحر الفهامة سيدي محمد بن أب الزموري...لابن آجروم في النحو ووجدته غاية الحسن والكمال ولم أطلع على شرح له، مع انتشار هذا النظم في كثير من البقاع فطلب مني بعض الطلبة أن أضع له عليه شرحا...وسميته (الدر المنظوم شرح على مقدمة ابن آجروم)"[1]، ويختمه بقوله: "تم بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي المين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين"[2]، وهذا الشرح للشيخ مولاي أحمد الطاهر الإدريسي الحسني يقع في 277 صفحة.

2) العي المصروم شرح نظم مقدمة ابن آجروم

للشيخ محمد بن بادي[3] جاء في بدايته: "يقول أفقر العبيد إلى رحمة ربه المشفق من سيء كسبه محمد بن المختار الملقب بادي بن محمد...إني حملني حمية الدين الذي ذهب على أن أضع شرحا على منظومة ابن أب وأن اجعله وسطا لا يمجه المنتهي الكامل ولا

---

[1] ـ كتاب الدر المنظوم شرح على مقدمة ابن آجروم، مولاي أحمد المعروف بالطاهر الإدريسي الحسني، مطبعة الواحات، غرداية، الجزائر، ط: 01، د ت، ص: 16.

[2] ـ كتاب الدر المنظوم شرح على مقدمة ابن آجروم، ص: 277.

[3] ـ ينظر ترجمته: من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، الصديق حاج أحمد، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 41 ـ 88.

يمله المتوسط الخامل ولا ينفك عنه المبتدئ الجاهل...نفع الله به كل طالب وكفاه شر كل حسود عائب وسميته: مقدم العي المصروم على نظم ابن آجروم"[1]، ويختمه بقوله: "وهذا آخر الكلام بما من الله به على هذه المنظومة مع جهلي وقلة اطلاعي وعدم شرح لها معي ولا لأصلها يبصرني وعدم نسخة صحيحة منها وإنما اعتمادي في النظم على حفظي له قبل البلوغ...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[2]، ويقع هذا الشرح في 91 صفحة، وقد حقق هذا الشرح الأستاذ حاج أحمد الصديق تحقيقا علميا أكاديميا في رسالة ماجستير بجامعة الجزائر.

3) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية

ومن خارج توات والجزائر كلها شرحها أحمد بن عمر الحازمي[3]، يقول في مقدمته: "أما بعد: فهذا شرح وجيز، وبيان عزيز، لألفاظ نظم الآجرومية، للعلامة محمد بن أب القلاوي التواتي، في علم النحو، يحل عباراتها، ويظهر معانيها، ويكشف أسرارها، ويوضح شواهدها"[4]، ويختمه بقوله: "هذا وقد أتينا على هذا النظم بحمد ربنا جل وعلا ونسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يحيينا وإياكم على الإسلام والسنة إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"[5]، ويقع هذا الشرح في 649 صفحة، إلا أن الشارح سمى الناظم بالقلاوي، ولست أدري من أين

[1] ـ مقدم العي المصروم على نظم ابن آجروم، بادي بن محمد، مخطوط مرقون، عندي نسخة منه، ص: 01.

[2] ـ مقدم العي المصروم على نظم ابن آجروم، ص: 91.

[3] ـ هو الشيخ أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي من مكة المكرمة، أتم شهادة البكالوريوس من جامعة أم القرى تخصص كتاب وسنة
بعد أن تخرج من جامعة أم القرى، لم يشغل أي وظيفة حكومية أو خاصة أبدا، إلا في الفترة الأخيرة عندما أصبح إماما، له شروحات على كثير من المتون العلمية، منها: السلم المنورق في المنطق ونظم الورقات للعمريطي والأصول الثلاثة وكشف الشبهات ونظم قواعد الإعراب وملحة الإعراب ونظم عبيد ربه والدرة اليتيمة وزاد المستقنع ومتن البناء للزنجاني والقواعد الأربع وألفية ابن مالك ونظم الزمزمي في التفسير وقواعد الأصول ومعاقد الفصول.(موقعه على الإنترنت: www.alhazme.net)

[4] ـ فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، أحمد بن عمر الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، د ط، د ت، ص:2.

[5] ـ فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، ص: 649.

جاء بهذا النسب، والنسب الذي نعرفه به هو المزمري كما يذكر هو بنفسه في كثير من كتاباته.

الرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم:

وهو شرح لمنظومة "نزهة الحلوم" التي وضعها الشيخ محمّد بن أُبّ المزمري، وهذا الشرح صغير حجمه يضم بين دفتيه مئة وست عشرة صفحة (116) فقط، مطبوع بمطبعة عمار قرفي بباتنة.

بدأ الشارح شرح المنظومة بحمد الله تعالى، ثم الصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم، ثم وضع مقدمة ضمنها التنويه بصاحب المنظومة الشيخ محمد بن أب المزمري، ومنظوماته النحوية، حيث قال: "قد اطلعت على عدة مؤلفات للعالم النحرير والقدوة الشهير الشيخ السيد محمد بن أب بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري خصوصا منها مؤلفاته النحوية ومنظوماته على مقدمة ابن آجروم..."[1]، ثم أسباب وضعه لهذا الشرح، حيث قال: "...فحملتني الغيرة الدينية والأدبية أن أضع شرحا على هاته المنظومة مستمدا العون من الله والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق، وسميته: "الرحيق المختوم لنزهة الحلوم على نظم مقدمة ابن آجروم"[2]، ثم ضمن المقدمة نبذة وجيزة عن حياة الشيخ ابن أب حيث رأى انها ضرورة وهو على حق في ذلك، حيث قال: "وقبل الشروع في المقصود نقدم نبذة وجيزة وقصيرة عن حياة الناظم رحمه الله أمين"[3]، وبعد هذه المقدمة التي وضعها الشارح شرع في شرح المنظومة على المنهج الذي سنبينه لاحقا في هذا البحث.

[1] ــ الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 03.
[2] ــ الرحيق المختوم، ص: 05.
[3] ــ الرحيق المختوم، ص: 05.

لقد سار الشارح على نفس التقسيم الذي وضعه الناظم؛ حيث أن ابن أب قسم المنظومة إلى أبواب، ثم قسم الأبواب إلى فصول، وعلى هذا التقسيم سار الشيخ بَايْ، إلا أن فهرس الشرح لم يكن مقسما لأبواب وفصول، بل كان مسردا لجميع محتويات الشرح.

ويختم الشيخ بَايْ شرحه للمنظومة بتاريخ الانتهاء من الشرح وبالدعاء لصاحب المنظومة والصلاة والتسليم على خير الخلق أجمعين، حيث قال: "وهذا ما تيسر جمعه في هذا الشرح والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...، وكان الفراغ منه يوم الثامن من ربيع الأول شهر مولد المصطفى الأمين صلى الله عليه وسلم سنة سبع من القرن الخامس عشر من هجرة سيد المرسلين صلى الله وسلّم على صاحبها وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[1]

- **كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم:**

وهو شرح للشيخ بَايْ على نظمه "اللؤلؤ المنظوم" على مقدمة ابن آجروم الذي وضعه سنة 1407هـ، وعاد ليشرحه بعد خمس سنوات من نظمه أي سنة 1412هـ، وهذا الشرح مطبوع بمطبعة عمار قرفي بباتنة وهو كتاب صغير الحجم يضم 115 صفحة.

يبدأ الكتاب بمقدمة الشارح التي يستهلها بالبسمة والصلاة والتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر في المقدمة أسباب الشرح، وما يتضمنه حيث يقول: "قد طلب مني بعض الأصدقاء وضع تعليق على منظومتنا "اللؤلؤ المنظوم في نظم ابن آجروم"، ولم نر بدا من النزول عند رغبته وتحقيق أمنيته سائلا من الله التوفيق والهداية إلى أقوم طريق هذا، وقد جمعت التعليق من شرحنا "الرحيق المختوم على نزهة الحلوم"، ومن شرحنا "عون القيوم على كشف الغموم"...وقد استخلصت من الشرحين ما حلّت به منظومتنا هاته، وسميته:

[1] ـ الرحيق المختوم، ص: 115، و116.

"كفاية المنهوم على اللؤلؤ المنظوم" جعله الله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم. استعنت بالله وعليه توكلت وبه اعتصمت"[1]

ومن ثم يشرع في الشرح مبتدئا بالبيت الأول من منظومته، ويختم الشرح بقوله: "والحمد لله كما بدأنا بها فهي في النهاية (مسك الختام) وهذا ما تيسر جمعه في هذا الشرح والحمد لله الذ بنعمته تتم الصالحات، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب إليك"[2].

- **عون القوم شرح على نظم كشف الغموم**[3]

2 . لامية ابن المجراد في توات:

لامية ابن المجراد منظومة على كتاب الجمل للزجاجي في النحو، عل البحر الطويل تقع في 71 بيتا، نظمها أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفَزَاري السَّلاوِيُّ، الشهير بِالْمِجْرَادِيِّ، المتوفى سنة (787هـ)[4]، في قواعد الإعراب وسَمَّاهَا "لامية الْجُمَل"، قال في مطلعها:

حمــــدتُ إلهــــي ثــــم صـــلَّيْتُ أولا   علــــى سَــــيِّد الرســـلِ الكـــرامِ ذوي العــــلا

1 ــ كفاية المنهوم، ص: 03.

2 ــ كفاية المنهوم، ص: 115.

3 ــ مازال الكتاب مخطوطا في خزانة الشيخ بَايْ، وأخبرني ابنه بأن الكتاب تحت الطبع.

4 ــ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزاري السلاوي الشهير بابن المجراد ، من أهل سلا مدينة قرب الرباط عاصمة المملكة المغربية، من مؤلفاته: لامية في إعراب الجمل، و ايضاح الأسرار والبدائع، وشرح الدرر، توفي بسلا سنة 778هـ ، ويعرفه أهل المغرب الآن بسيد الإمام السلاوي . (ينظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، 397/2، والأعلام 44/7 ، ومعجم المؤلفين 684/3 .)

وقد طُبِعَتْ المنظومة عدة مرات، وعليها عدة شروح وحواشي من علماء في العالم العربي[1]، ومنهم اثنان من شيوخ توات في القرن الحادي عشر، والقرن الثاني عشر الهجريين، ومن تلك الشروح.

- **نيل المراد من لامية ابن المجراد**

وهو كتاب للشيخ محمد بن أب المزمري، قام بدراسته وتحقيقه الأستاذ مختار بوعناني[2]، وكما حققه ودرسه مجموعة من الأساتذة بجامعة ادرار[3].

وجاء في مطلع الشرح قوله بعد البسملة: "تحْمدُك يا من منحنا من علم العربية جُملة كُبرى، ونصلي على سيدنا محمد الذي نصّبته ظرفاً لِكُلِّ عارفة دُنيا وأخرى، وعلى آله وأصحابه ومن أخذ أخذهم من كل جارٍ ومجرور إلى المحجة الغرّاة، وبعد...هذه ورقات قصدتُ بها نيل المراد من لامية ابن المجراد..."[4]، وختم هذا النيل بقوله:"... وكذا قولهم والله أعلم عند التمام. قال جامعه وفقه الله وسدده هذا آخر ما قصدت إملاءه مما يليق بهذا التعليق، حامدا الرب القوي المعين ومصليا على الرسول إلى العالمين أجمعين، ومستغفرا من جرأتي على ما لست له أهلا واستسهالي ما لا يعده الجهابذة سهلا لكني أحببت التشبه بالقوم، فآثرت إبرام عقده على مجرد...وأقول كما قال بعضهم:

يَـــا نَـــاظِرًا فِيـــهِ إِنْ أَلْفَيْـــتَ فَائِـــدَةً فَاشْـــكُرْ عَلَيهَـــا وَلا تَجْـــنَحْ إِلَـــى الحَسَـــدِ

وَإِنْ عَثَـــرْتَ لَنَـــا فِيـــهِ عَلَـــى خَطَـــأ فَاعْـــذُرْ فَلَسْـــتَ مَجْبُـــولًا عَلَـــى الرُّشْـــدِ

---

1 ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 777/2 – 778.

2 ـ الكتاب مطبوع إلا أنني لم أعثر على نسخة منه.

3 ـ والأساتذة هم: الدكتور الطاهر مشري، والدكتور أحمد جعفري، والدكتور محمد الأمين خلادي، والأستاذ العربي عبد الرحمن، وذلك في فرقة بحث.

4 ـ نيل المراد من لامية ابن المجراد، محمد بن أب المزمري، مخطوط بخزانة الأستاذ ابن الوليد بباعبد الله ادرار، ص:1.

كمل هذا الشرح بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما"[1].

- **غاية الأمل في إعراب الجمل**

وهو كتاب وضعه الشيخ عبد الكريم بن أمحمد البكري، شرح فيه لامية ابن المجراد، إلا أن هذا الكتاب لازال مخطوطا؛ لأنه مفقود فلم نعثر له على أثر إلى حد الساعة في خزائن تمنطيط خاصة وتوات عامة.

وهناك شروح أخرى للشيخ محمد بَايْ بلعالم لمتون نحوية أخرى هي ملحة الإعراب، والدرة اليتيمة، وغيرهما وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

ثانيا: دراسة في شرح "نيل المراد من لامية ابن المجراد" للشيخ ابن أب:

1 ـ وصف الكتاب المخطوط:

العنوان: نيل المراد من لامية ابن المجراد

المؤلف: محمد بن أب المزمري

الناسخ: مجهول

مصدر المخطوط: خزانة ابن الوليد عبد القادر با عبد الله أدرار

حالة المخطوط: نسخة سليمة إلا في بعض أطرافها، وتامة

عدد أوراق المخطوط: 15 ورقة، 29 وجه (صفحة)

المسطرة: 25 x 25

[1] ـ نيل المراد، ص: 29.

عدد الأسطر: ما بين 22 و21 سطرا في الصفحة

عدد كلمات السطر: ما بين 13 إلى 15 كلمة

نوعية الخط: مغربي رقيق مقروء وواضح

بداية المخطوط: بدأت بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، ثم قال: " قال الأديب المحقق اللغوي العروضي النحوي أبو عبد الله سيدي محمد بن أب المزمري رحمه الله آمين"[1]

نهاية المخطوط: "كمل هذا الشرح بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما."[2]

2 ـ قراءة في العنوان "نيل المراد من لامية ابن المجراد":

لقد بدا للشيخ ابن أب أن يُقرّب هذه المنظومة "لاميّة الجمل" بشرحها وتبسيط كل ما ورد فيها قصد تعميم الفائدة، ووسم مقاربته هذه بالعنوان التالي: "نيل المراد من لامية ابن المجراد"، وكأنه بهذا العنوان يرد أن ينال منها ما يريد، أو بمعنى آخر يريد أن يناولها إلى غيره من الطلاب، فـ"نيل المراد" دلالة على الإصابة بعد جهد جهيد، وعمل مضن "النيل" إصابة الشيء، و"المراد" هو البغية أو ما يريده الطالب، ومن هنا ندرك أن هذه اللامية كانت بغثة الشيخ وطلابه للنيل منها، فأراد الشيخ أن يقربها منهم ويناولها إليهم، أما الشطر الثاني من العنوان فهو إعادة لاسم المنظومة لامية ابن المجراد.

إن الشيخ ابن أب سار على نهج الناظم في ترتيب المادة النحوية التي احتوتها المنظومة فلم يبدل ولم يغير.

[1] ـ نيل المراد، الصفحة الأولى.

[2] ـ الصفحة الأخيرة.

3 ـ منهج ابن أب في "نيل المراد":

كان الشيخ ابن أب يعتمد على نهج المزج بحيث يمزج كلامه بكلام الناظم؛ حتى أن القارئ أحياناً لا يُفرّق بين كلام الناظم وكلام الشارح لولا كتابة كلمات الناظم بخط غليظ، ومن أمثلة ذلك قوله: " ...كما أن جملة أخوه عالم صغرى لا غير **بالذي**؛ متعلق بعالم، **تلا**؛ أي تبع أو قرأ "[1]، فللناظم في هذا الكلام كلمتين هما: **(الذي)**، و**(تلا)**.

والشارح في شرحه يشير إلى الناظم في كثير من الأحيان بقوله: "قال الناظم"[2]، أو "وهو ظاهر كلام الناظم"[3]، أو "وإليها أشار بقوله"[4]، أو "أمثلة ذلك في قوله"[5].

وإيضاحا منه لضبط الكلمات تجده يكتب الضبط بالحروف ومن أمثلة ذلك قوله: "الدرجات العُلى بالضمِّ، جمع عليا بوزن حبلى مقابلة سفلى"[6]، وقوله: "ودرهمٌ ذا في الكيس بكسر الكاف، وعاء بالكسر وعاء الدراهم"[7]، أو في قوله "ذو الوَلا بالفتح أي صاحب النُّصرة، أو بالكسر أي المتابعة والموافقة"[8].

4 ـ مصادر ابن أب في الكتاب:

إن الشيخ ابن أب تعددت مصادره في هذا الشرح؛ فإلى جانب المنظومة المشروحة فهو لم يستغن عن الكتب اللغوية والنحوية وكذا الفقهية، لدعم فكرته وشرحه فهو يعتمد على تثبيت رأيه بأقوال العلماء؛ فتراه أحياناً ينصُّ على اسم الكتاب متبوعاً بذكر اسم صاحبه، كما في قوله: "ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرحه على ألفية العراقي"[9]، وتارة يذكر

[1] - نيل المراد، ص: 7.
[2] - نفسه ، ص: 1 .
[3] - نفسه ، ص: 24 .
[4] - نفسه ، ص: 13– 15.
[5] - نفسه ، ص18 .
[6] - نيل المراد، ص: 1 .
[7] - نفسه، ص: 7 .
[8] - نيل المراد، ص: 6 .
[9] ـ نيل المراد، ص: 2.

يذكر المؤلَف دون ذكر مؤلفه، كما في قوله: "قال في هداية المريد: قال بعض المتأخرين"، وفي قوله: "قال في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم"[1]، وسلم"[1]، وتارة يذكر أقوال العلماء مع ذكر أسمائهم من غير أن ينصَّ على اسم الكتاب، كما في قوله: "قال السيوطي رحمه الله"، وفي قوله: "قال عياض رحمه الله"[2]، وفي قوله: "قال أبو إسحاق الزجاج ونحوه لابن درستويه"[3] وتارة يُومئ للعلماء دون أن يُحدد الأشخاص الأشخاص ولا المصنفات، بل يُشير إليهم إشارة عامة، أفراداً وجماعات، كما في قوله: " أو على رأي يونس والبغداديين من إجازتهم تعريف الحال مطلقا"[4].

من الكتب التي جاء ذكرها صراحة باسمها، مايلي: شرح ألفية العراقي للمناوي، خلاصة ابن مالك (الألفية)، القاموس المحيط للفيروز أبادي.

أما العلماء الذين نقل عنهم وذكر أسماءهم دون النّص على مصنفاتهم، فهم: سيبويه (ت180هـ)، الفراء (ت207هـ)، الأخفش(ت215هـ)، أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ)، ابن درستويه (ت347هـ)، الشلوبين (ت645هـ)، ابن عصفور (ت663هـ)، أبو علي الفارسي...

5 ـ شواهد ابن أب في نيل المراد:

إن شواهد ابن أب تنوعت بين نوعين من الشواهد فقد اعتمد على الشاهد القرآني، وكذا الشاهد الشعري، ولكن ألا يجدر بنا أن نسأل هذا السؤال: لم كان يستشهد بالقرآن وبالشعر في شرحه؟

[1] ـ نيل المراد، ص: 2.
[2] ـ نيل المراد، ص: 4.
[3] ـ نيل المراد، ص: 8.
[4] ـ نيل المراد، ص: 13.

- **الشاهد القرآني:**

كان الشاهد القرآني في هذا الشرح له حظ وافر فقد استشهد به الشيخ ابن أب لإثبات اللغة عند الشرح اللغوي الذي كان قليلا في هذا الشرح، كما في شرحه لكلمة المبعوث حيث قال: "(المبعوث) أي المرسل والبعث التوجيه...قال تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء، 107]"[1].

لإثبات حكم نحوي في الجملة الواقعة جوابا لشرط جازم بعد (إذا الفجائية) واستشهد لها بالآية:﴿وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ أَيْدِيْهُمُ إذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم، الآية 36] .[2]، والحكم النحوي هنا أن جمله (هم يقنطون) في محل جزم.

ومن أمثلته كذلك استشهاده بالآية القرآنية للحكم النحو على أن الجملة الواقعة خبراً لمبتدأ أو (إن) تكون في محل رفع، إن كانت خبرا لناسخ (كان، كاد) فهي في محل نصب؛ كقوله عز وجل:﴿وَاللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب، الآية: 04]، أو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة، الآية 04]، أو كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة، الآية 71] [3].

ومن أمثلة ذلك أيضا الحكم النحوي كون الجملة لا محل لها من الإعراب؛ كما هو الشأن مع الجملة الواقعة جواباً لشرط غير الجازم مطلقاً، أو الجازم ولم تقترن بـ(الفاء)، ولا (إذا) الفجائية؛ فقد استشهد للشرط غير الجازم بقوله تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران، الآية: 119]، وقوله أيضاً: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح، الآية 07]، واستشهد للشرط

1 ـ نيل المراد، ص: 2.

2 - نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص: 16 .

3 - ينظر: نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص: 14 .

الجازم غير المقترن بـ(الفاء)، ولا (إذا)، بقوله تعالى:﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ﴾[الإسراء ، الآية 08]، وقال أنه لا محل لجملة الشرط هنا لأن المحكوم لموضعه بالجزم إنما هو الفعل الماضي وحده لا الجملة بأسرها[1].

يأتي الشيخ بالشاهد القرآني لتأييد الرأي من الآراء النحوية وهو ما ذهب إليه البصريون من أن الجملة تأخذ على الأصل ولا عبرة بما تقدمها مما حقه التأخير؛ فالجملة الاسمية صدرها المسند إليه، والجملة الفعلية صدرها المسند؛ حيث يقول: "يعني أن ما كان صدرا لجملة في أصل الكلام وتقدم عليه ما حقه التأخير فإن المعتبر في كونها فعلية أو اسمية بعد الصدر من غير خلاف ولا عبرة بما تقدم عليه"[2]، وقد استشهد الشيخ في هذه النسخة لما ذهب إليه بقوله تعالى:﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ﴾ [البقرة، الآية: 87]، وقوله تعالى:﴿وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ اَلْمُشْرِكِينَ اَسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة، الآية: 6][3].

ومن أمثلته كذلك تأييده لرأي ابن هشام الأنصاري في أن الجملة التفسيرية لا محل لها من الإعراب واستشهد بقوله تعالى:﴿وَأَسَرُّواْ اُ۬لنَّجْوَى اَلذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمُۥٓ﴾ [الأنبياء، الآية: 3]، فجملة ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمُۥٓ﴾ جملة مفسرة لـ ﴿اُ۬لنَّجْوَى﴾ وهل للنفي[4]

[1] - ينظر: نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص: 12- 13 .
[2] ـ نيل المراد، ص: 4.
[3] ـ ينظر: نيل المراد، ص: 4.
[4] ـ ينظر: نيل المراد، ص: 10.

ويستشهد بالشاهد القرآني لإثبات القاعدة النحوية كما هو الحال مع الجملة التفسيرية التي تأتي مقترنة بـ(أي)، أو بـ(أن) كما في قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص، الآية 07] [1].

ومن أمثلته كذلك إثبات قاعدة الجملة النعتية لمفرد حيث قال:" وإن اسم مفرد يُنعتُ بها، أي الجملة فهي مثله لدى الرفع ثم النصب والجر"[2]؛ أي أن محل الجملة بحسب المتبوع، فإذا كان مرفوعاً فالجملة في محل رفع، وإذا كان منصوباً فالجملة في محل نصب، وإذا كان المتبوع مجروراً فالجملة في محل جر،كقوله تعالى:﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ﴾ [النساء، الآية 11].

- **الشاهد الشعري:**

ما كان الشيخ ابن أب ليخرج عن جمهور النحاة في الاستشهاد بالشعر؛ فقد استشهد به كما استشهد به النحاة السابقون وكان يأتي به لنفس الغايات التي استشهد فيها بالقرآن الكريم، بل تراه يتبع الشاهد القرآني بالشاهد الشعري، أو العكس؛ بمعنى أنه يدعم أحدهما بالآخر.

ومن الشواهد الشعرية التي استشهد بها ابن أب المزمري لإثبات حالة وحكم نحوي، قول الشاعر:

وقَـــدْ أدْرَكَتْنِـــي والحَـــوَادِثُ جَمَّـــةٌ أسِـــنَّةُ قَـــوْمٍ لاَ ضِـــعَافٍ ولا عُـــزلُ

1 - ينظر: نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص: 09- 10 .
2 - نيل المراد لامية ابن المجراد ، ص 16 .

وهو وقوع جملة معترضة بين شيئين مُتلازمين؛ كالمبتدأ والخبر، والفعل والمفعول، والشرط وجوابه، والصفة والموصوف، والفعل والفاعل [1].

ومن أمثلة الشواهد الشعرية التي أثبت بها أحكاما نحوية البيت الشعري:

لَا نَسَـــــــبٌ اليَـــــــوْمَ وَلَا خُلَّــــــــةٌ أَتَسْــــمَعُ الخَــــرْقَ عَلَـــى الرَّاقِـــعِ[2]

والحكم النحوي أن جملة (أتسمع الحرق على الراقع) ليس لها محل من الإعراب لأنها جملة ابتدائية، أو استئنافية[3]، يقول الشيخ عن الجملة الابتدائية والجملة الاستئنافية: "...الابتدائية وتسمى أيضا المستأنفة وهي أبين لأن الابتدائية تطلق على المستأنفة ولا إشكال، وتطلق أيضا على الجملة المصدرية بالابتداء ولو كان لها محل"[4]

من الشوهد الشعرية التي أثبت بها القواعد النحوية استشهاده على وقوع الاعتراض بالجملة بين الفعل ومفعوله بقول الشاعر:

وَبَـدّلَتْ .وَالـدَّهْرُ ذُو تَبَـدُّلٌ . هَيْفَــــاءُ دَائِرُهَـــا بِالصَّـــبَا وَالشَـــمَائِلِ

فجملة (والدهر ذو تبديل) اعترضت بين الفعل (بدلت) ومفعوله (دائرها)[5]

6 ـ موقفه من الاختلافات النحوية:

إن الشيخ ابن أب يقف عند اختلاف النحاة موقفا يتبع فيه الجمهور ومن تلك المواقف ما اختلف فيه النحاة حول الجملة الواقعة بعد حتى أهي استئنافية لا محلا لها، أم هي في محل جر؟ وكونها في محل جر هو ما ذهب إليه أبو إسحاق الزجاجي وتبعه في ابن

1 ـ ينظر: نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .
2 ـ البيت من شواهد سيبويه، وهو لأنس بن العباس بن أنس بن عامر السلمي.(ينظر: فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، الأسود الغندجاني، تح: محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط: 01، 1433هـ ـ 2012م، ص: 126، وشرح أبيات سيبويه، 583/1.)
3 ـ ينظر: نيل المراد، ص: 8.
4 ـ نيل المراد، ص: 8.
5 ـ ينظر: نيل المراد، ص: 11.

درستويه، يقول ابن أب حول ذلك: "...بناء على أن حتى الداخلة على الجمل عنده [الزجاجي] حرف جر الابتدائية، وخالفه الجمهور في ذلك وأبطل قوله بأن القاعدة عندهم أن حروف الجر إذا دخلت على (إن) فتحت همزتها نحو قولك: (بأن الله هو الحق) فلو كانت جارة لوجب فتح همزة (إن) بعدها في نحو قولهم: (مرض زيد حتى أنهم لا يرجونه) لكنهم لم يحفظوا في (إن) إذا وقعت بعد (حتى) إلا الكسر، والله الموفق للصواب"[1]

ومن تلك المواقف التي اتبع فيه الجمهور كذلك الجملة الاعتراضية حيث أجاز ما أجازه الجمهور من جواز الاعتراض بأكثر من جملة[2]، وأعطى شواهد شعرية وقرآنية مدعما بها رأيه[3]

1 ــ نيل المراد، ص: 9.
2 ــ من النحاة من منع الاعتراض بأكثر من جملة ومنهم: أبو علي الفارسي.
3 ــ ينظر: نيل المراد، ص: 11.

ثالثا: جهود الشيخ بَايْ بلعالم النحوية:

1 ـ حياته:

هو محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم الفلاني، المعروف بالشيخ بَايْ، من مواليد 1348هـ الموافق لـ1930م بقصر ساهل بأولف، من بين خمسة ذكور لوالده عبد القادر الذي كان فقيها[1].

تربى ونشأ في أحضان أسرته بقصر ساهل، وبها تعلم مبادئ الفقه واللغة، على يد والده، ثم الشيخ محمّد بن عبد الرحمن بن مكي بلعالم، لينتقل بعدها ليتتلمذ على يد الشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي بقصر العلوشية بسالي، الذي جعل منه منارةً في العلم والعمل بين الناس، وبطلب من أهالي مدينة أولف انتقل إليها بعد إجازته من قِبل شيخه مولاي أحمد الطاهري، كما كانت للشيخ إجازات كثيرة من علماء وشيوخ في توات وفي العالم الإسلامي[2]، كما كان كثير التنقل والتجوال نشرا للعلم والمعرفة وطلبا لهما.

مؤلفات الشيخ محمد بَايْ وجهوده النحوية:

إن الشيخ محمد بَايْ بلعالم كانت له جهود كبيرة في مجالات عديدة فقد أثرى المكتبة العربية بكتب كثيرة في تخصصات كثيرة؛ فقهية ولغوية وغيرهما وفي هذا الموقف سأقتصر على جهوده النحوية فقط وقبل الدراسة أعرض كتبه النحوية، وهي كالآتي مرتبة بحسب سنة التأليف:

(أ) اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن لآجروم.

(ب) كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.

1- من مقابلة شفهية مع الشيخ باي رحمه الله تعالى في شهر أوت من عام 2008م.

2 ـ ينظر تلك الإجازات في: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، محمد باي بلعالم، مطبعة دار هومة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 259 ـ 267، والرحلة العلية إلى منطقة توات، 365/1.

(ت) الرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم.

(ث) التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة.

(ج) منحة الأتراب على ملحة الإعراب.

2 ـ الدراسة الوصفية لبعض مؤلفاته:

يعد الشيخ بَايْ بلعالم أحد أبرز علماء توات في مجال الدرس النحوي خاصة وذلك لما خلفه من جهود في هذا المجال وكما رأينا فقد ترك خلفه أرثا كبيرا وبشكل خاص في مجال الشروح النحوية فهو لم يؤلف مؤلفا خاصا بالنحو العربي إلا أنه شرح الكثير من المنظومات النحوية خاصة، كما نظم منظومة نحوية، ونظرا لتعرضنا لوصف بعض شروحه فسوف نتركها في هذا المقام ونحيل عليها في موضعها السابق.

- **اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم:**

وضعه رحمه الله تعالى سنة 1407هـ، يقول في مطلعه:

الحَمْـــــدُ لله الَّـــــذِي قَـــــدْ فَتَحَـــــا   أَبْـــــوَابَ فَيْضِـــــهِ لِمَـــــنْ لَـــــهُ نَحَـــــا

صَـــلّى وسَـــلّم عَلَـــى مَـــنْ خَفَضَـــا   بِـــالجَزْمِ مَـــنْ عَـــنْ رَبِّـــهِ قَـــدْ أَعْرَضَـــا

مُحَمَّـــدٍ مَـــنْ نُـــورُهُ قَـــدْ ارْتَفَـــعْ   وَعَـــمَّ كُـــلَّ العَـــالَمِينَ إِذْ طَلَـــعْ

فَانْفَتَحَـــتْ بِـــهِ الأَذَانُ الصُّـــمُّ   وَنَطَقَـــتْ بِـــهِ الشِّـــفَاهُ الـــبُكْمُ

والمنظومة مطبوعة ضمن شرحه؛ وهو يحتوي على 203 أبيات، ويبدو من المقدمة أن الناظم أراد الحديث عن النحو بذكره للعلامات الإعرابية الأصلية؛ الفتح، والخفض، والجزم، والرفع في الأبيات الأربعة الأولى ويسمي الشيخ ذلك من براعة الاستهلال إذ يقول: "وقد اشتملت الأبيات الأربعة عل براعة الاستهلال التي يقال لها براعة المطلع وهي أن تكون في

الكلام إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله حتى يفهم السامع الحاذق ما سيق إليه الكلام من غير أن يصرح له بأنه في الموضوع كذا لا كذا وهي من برع الرجل إذا فاق أقرانه"[1]، ويختم المنظومة بقوله:

قَـــدِ انْتَهَــــى وَنَسْــــأَلُ الله العَظِـــيمْ أَنْ يَجْعَـــلَ العَمَـــلَ لِلْوَجْــــهِ الكَـــرِيمْ

سَــــنَةَ أَلْــــفٍ مَـــــعْ أَرْبَـــعِ مِيئَـــينْ وَسِـــبْعةٍ لِهِجْـــرَةِ الهَـــادِي الأَمِـــينْ

فِـــي شَـــهْرِ مَوْلِـــدِ النَّبِـــيِّ المُصْــطَفَى صَـــــلَّى عَلَيـــــهِ رَبُّنَـــــا وَشَـــــرَّفَا

وَالآلِ وَالصَّـــــحْبِ كَوَاكِــــبِ الظَّــــلَامْ وَالحَمْـــــدُ لله بِهَــــا مِسْـــــكُ الخِتَـــامْ

وبهذا يختم الناظم نظمه كما بدأه بالحمد لله تعالى، كما لاحظنا أن النظم هو عبارة عن نظم مقدمة ابن آجروم هذه المقدمة التي حظيت بالقبول في كثير من الأقطار العربية.

إن منظومة اللؤلؤ المنظوم التي نظمها الشيخ بَايْ تعد أطول المنظومات التي نظمت على نثر ابن آجروم في توات، وقد احتوت جميع أبواب النحو التي ذكرها ابن آجروم في نثره، إلا أن الشيخ بَايْ كان له بعض التصرف في صناعة أبواب المنظوم لكنه تصرف طفيف لم يكن ليؤثر على النظم؛ فمن تصرفه ان جمع بين بابين في باب واحد فابن آجروم فصل بين "باب الإعراب" و"باب معرفة علامات الإعراب" وجعل كلا منهما في باب على حده، أما الشيخ باب فقد جعلهما بابا واحدا سماه "باب الإعراب ومعرفة علاماته"، كما غير من تسمية باب آخر وهو "باب المفعول الذي لم يسم فاعله" وسماه الشيخ بَايْ بـ"باب النائب عن الفاعل"، كما غيّر من تسمية "باب العوال الداخلة على المبتدأ والخبر" بـ"باب نواسخ الابتداء"، وبعد أن كان المنثور يحتوي على أربع وعشرين (24) بابا، فقد صار المنظوم

[1] ـ كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، ص: 5.

يحوي ثلاثا وعشرين (23) بابا فقط أي بنقصان باب واحد، إن هذه التغييرات التي أدخلها الشيخ بَايْ على أبواب الآجرومية ما كانت لتؤثر على المضمون في شيء.

- **التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة:**

هو شرح لأرجوزة في النحو يقول الشارح أنه لا يعرف ناظمها كما صرح بذلك في المقدمة حيث يقول: "ولقد حاولت أن نتعرف على ناظمها فلم نعثر عليه"[1]، وهي منظومة للشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي (1354هـ)[2]، وقد ذكر الأستاذ بدوي منير أنها من نظم الشيخ محمد سعيد نبهان الحضري[3]، وللمنظومة شرح للشيخ محمد بن علي بن حسين المالكي المكي[4] (تـ 1367هـ) سماه "فوائد النحو الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة"[5]، والدرة اليتيمة هي في الأصل نظم لـ "مقدمة الآجرومية" لابن آجروم[6]، إلا أن ناظم الدرة اليتيمة قد زاد بعض المسائل النحوية التي أهملها ابن آجروم مثل مسألة باب إعمال اسم الفاعل، وباب إعمال المصدر، وباب النكرة والمعرفة، وغيرها من الأبواب، ويبدو لي أن الناظم تصرف في المقدمة وأعاد ترتيب أبوابها ترتيبا خاصا فقط مع زيادات طفيفة[7].

وهذا عن منظومة "الدرة اليتيمة" أما عن "التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة" فهو أصغر شروح الشيخ بَايْ حيث يبلغ عدد صفحاته ثلاث وخمسون صفحة فقط، وهو بحجم صغير.

1 ــ التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد بَايْ بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 03.

2 ــ هو سعيد، بن سعد، بن محمد، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، بن محمد بن عبد الله، بن نبهان، التريمي الحضرمي الشافعي، ولد سنة 1259هـ، نشأ محبا للعلم برع في النحو والفقه وعلوم العربية، حفظ القرآن الكريم وأتقن تجويده، له مؤلفات عديدة في علمي التجويد والنحو، توفي سنة 1354هـ عن عمر يناهز 95 سنة رحمه الله.(الترجمة مقتبسة عن موقع أهل الحديث الإلكتروني: www.ahlallhadeet.com/vb/showthread.، وعن موقع الشحر:www.vb.alsheher.com/5120)

3 ــ وهو تصحيف وتحريف ظاهر. ينظر: الجهود النحوية عند محمد بَايْ بلعام، منير بدوي، رسالة ماجستير جامعة ورقلة، 2009م/2010م، ص:57.

4 ــ ترجمته في الأعلام، 305/6.

5 ــ الشرح مطبوع بمصر سنة 1353هـ (ينظر: جامع الشروح والحواشي، 54/1.)

6 ــ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 54/1.

7 ــ ينظر: فهرس التحفة الوسيمة، ص:54.

وسأحاول الحديث عن المنظومة والشرح معا من خلال الشرح فالمنظومة حسب ما جاء في الشرح تتكون من خمس وتسعين (95) بيتا على بحر الرجز فهي أرجوزة إذن، وجاءت أبوابها مرتبة على الشكل الآتي:

مقدمة: عدد أبياتها 05 أبيات.

باب حد الكلام والكلمة وأقسامها: عدد أبياته 05 أبيات.

باب أقسام الإعراب: عدد أبياته 06 أبيات.

باب الاسم المفرد وجمع التكسير: عدد أبياته 07 أبيات.

باب الأسماء الخمسة: عدد أبياته 04 أبيات.

باب المثنى: عدد أبياته 03 أبيات.

باب جمع المذكر السالم: عدد أبياته 03 أبيات.

باب جمع المؤنث السالم: عدد أبياته 03 أبيات.

باب الأفعال الخمسة: عدد أبياته بيتان

باب قسمة الأفعال: عدد أبياته 08 أبيات.

باب النواصب: عدد أبياته 12 بيتا.

باب الجوازم: 07 أبيات.

باب النكرة والمعرفة: عدد أبياته 05 أبيات.

باب مرفوعات الأسماء: عدد أبياته 03 أبيات.

باب المنصوبات: عدد أبياته 12 بيتا.

باب إعمال اسم الفاعل: عدد أبياته بيتان.

باب إعمال المصدر: عدد أبياته بيتان.

باب الجر: عدد أبياته 06 أبيات.

فالمنظومة تفتقد إلى المنهجية في الطرح فالناظم لم يقسم أبوابها على أحسن تقسيم فجعلها أبوابا فقط، وكان الجدير به أن يقسم الأبواب إلى فصول إلخ، وقد افتتح الشارح شرحه بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول الكريم، ثم ذكر سبب وضعه لهذا الشرح، وتسمية شرحه، حيث قال: "حمدا لمن فتح ألسن العرب بالإعراب وشرح صدورهم للإعراب، والصلاة والسلام على من بعثه الله رسولا لأهل الحاضرة والأعراب...، وبعد فيقول العبد الفقير القاصر محمد بَايْ بن محمد عبد القادر قد طلب مني بعض الإخوان أن أضع شرحا على الدرة اليتيمة في النحو لظنه أني أهل لذلك والله أعلم...، وسميته "التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة"[1]

لم يكن للشيخ بَايْ أن يخرج عن تقسيم الناظم لأبواب المنظومة، فجاء الشرح مرتبة أبوابه على نفس الترتيب الذي عرضته آنفا، وقد كان الشيخ يقوم بشرح الباب دفعة واحدة إلا في الحالات النادرة فقد كان يشرح بيتا أو بيتين، وختم الشيخ بَايْ شرحه ذاكرا تاريخ الانتهاء منه ومكانه حيث قال: "قد فرغت من تبيضه ضحى الاثنين الموافق ليوم 13 من جمادى الأولى عام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف في المدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير بالركينة أولف"[2]

---

1 ــ التحفة الوسيمة، ص: 03.

2 ــ التحفة الوسيمة، ص: 53.

- **منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب:**

وهو شرح على "ملحة الإعراب" لأبي محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري، المتوفى سنة 516 هـ، صاحب المقامات[1]، وهي منظومة من بحر الرجز سَمَّاها «ملحة الإعراب» بلغت أبياتها 377 بيتا، وَتُعَدُّ هذه المنظومة بحقٍّ من أُوْلَى المنظومات النحوية التعليمية، كما يُعَدُّ الحريري من أوائل العلماء الذين تمكنوا من توظيف مقدرتهم العملية والشعرية في سبيل تسهيل النحو وتعليمه، فقد اتبع الحريري فيها طرقا تعليمية جيدة ساعدت على تعلمها وحفظها، وللحريري شرح عليها طبع مرات متعددة.

ولم يكن الحريري الوحيد الذي قام بشرح منظومته النحوية التي حظيت بمختصرات وشروح كثيرة في العالم العربي[2]

أما عن شرح الشيخ بَايْ لملحة الإعراب "منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب" فهو شرح من أكبر شروحه النحوية يضم بين دفتيه 162 صفحة فقط، يبدأه بمقدمة قصيرة ثم يشرع في الشرح، ويحتوى على 42 بابا ويختمه بخاتمة تحوي تاريخ الانتهاء من تبيضه والدعاء، وضع الشيخ هذا الشرح سنة 1414هـ؛ يبدأ الشيخ شرحه بقوله بعد البسملة والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين: "يقول العبد الضعيف القاصر بَايْ بن محمد عبد القادر: الحمد لله الملك الوهاب، أنزل على عبده الكتاب، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب والصلاة والسلام على النبي الأواب وآله والأصحاب. وبعد:

فإنه لا سبيل لفهم معاني السنة والكتاب إلا بمعرفة الإعراب..."[3]، ويختمه بالدعاء قائلا: "إنك سميع قريب مجيب الدعوات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

1 ـ هو جمال الدين أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري المتوفى سنة 516هـ بصري أحد أئمة الأدب واللغة فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة وتنميق العبارة وتحسينها، توفي سنة 516هـ.(ينظر ترجمته في: إنباه الرواة 23/3 ، ونزهة الألباء، ص: 278 ـ 281، وفيات الأعيان، 419/1، وطبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت، 295/4.

2 ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 1746/3 ـ 1751.

3 ـ منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص: 03.

تسليما والحمد لله رب العالمين. انتهى بحمد الله وحسن عونه"[1]، وأول أبواب الشرح في المنظومة هو باب الكلام، وهذا بطبيعة الحال بعد مقدمة الناظم، وآخر أبوابه كان باب البناء.

3 ـ الدراسة التحليلية:

(أ) المنهج المتبع في الشروح:

لم يكن الشيخ بَايْ في شرحه للمتون النحوية بدعا في الطريقة أو المنهج فهو قد سار على نهج السلف في الشرح، ولما كانت شروح الشيخ بَايْ كلها لمنظومات في النحو فهو يكاد لا يشرح إلا المنظومات النحوية.

فقد كان يورد البيت أو البيتين أو مجموعة من الأبيات ثم يشرع في الشرح فكانت له ثلاثة طرق في التناول فهو قد يشرح باللفظ، أو بالعبارة، أو بالمضمون؛ فمن أمثلة شرحه للألفاظ، يقول في شرح البيت الثالث عشر من منظومة ملحة الإعراب: "

وَالحَــرْفُ مَـا لَيْسَــتْ لَــهُ عَلَامَــهْ فَقِــسْ عَلَــى قَــوْلِي تَكُــنْ عَلّامَــهْ

مِثَالُـــــهُ: حَتَّـــــى وَلَا وَثُمَّـــــا وَهَـــــلْ وَبَـــــلْ وَلَـــــوْ وَلَمَّـــــا

(والحرف) وهو لغة: يطلق على طرف الشيء وعلى شفيره وعلى كل حرف من حروف التهجي، واصطلاحا: هو كل كلمة لم تدل على معنى في نفسها أصلا بل معناها في الداخلة عليه زائدة على أصله، واشتقاقه من الحرف الذي هو الطرف لأنه لم يقصد بالذات، (ما ليست له علامه) أي لا علامة يعرف بها، وعلامته ترك العلامة له"[2]

ومثله قوله في البيت التالي:"

1 ـ منحة الأتراب، ص: 159.

2 ـ منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد بَايْ بلعالم، ص: 10.

وَقَـــدْ تَقَضَّـــتْ مُلْحَـــةُ الإعْـــرَابِ   مُودَعَـــــــةً بَـــــــدَائِعَ الإِعْـــــــرَابِ

قوله: (وقد تقضت) أي انفضت وانتهت، (ملحة) من الملح بضم الميم وهو ما يستملح من الكلام أي يثير الإعجاب، (الإعراب) أي المنسوبة إلى الإعراب بكسر الهمزة، والمراد به علم النحو، وقوله: (مودعة) أي محل الوديعة أو أن ناظمها لما فرغ منها كأنه ودّعها كما يودّع الغائب أهله عند الفراغ، (بدائع الإعراب) أودع فيها الأشياء الأنيقة البديعة التي لم يسبق لها مثيل"[1]

ومن أمثلة شرح المضمون قوله في شرح البيت التالي: "

وَنَائِـــبٌ عَنْـــهُ كَبِيـــعَ الـــذَّهَبُ   وَقُضِـــيَ الأَمْـــرُ وَيُعْطَـــى الأَرَبُ

يعني من الأسماء المرفوعة النائب عن الفاعل وهو المفعول الذي لم يسم فاعله أي لم يذكر معه فاعله بأن حذف لغرض من الأغراض المذكورة في علم البيان كالعلم به كما في قوله تعالى: وخلق الإنسان ضعيفا. والأصل وخلق الله الإنسان برفع لفظ الجلالة على الفاعلية ونصب الإنسان على المفعولية فحذف الفاعل الذي هو الله للعلم به فبقي الفعل محتاجا إلى ما يسند إليه فأقيم المفعول به مقام الفاعل في الإسناد إليه فأعطي جميع أحكام الفاعل فصار مرفوعا بعد أن كان منصوبا فالتبست صورته بصورة الفاعل فأحتيج إلى تمييز أحدهما على الآخر فبقي الفعل مع الفاعل على صيغته الأصلية وغير مع نائبه."[2]

ومن أمثلته كذلك قوله في باب (كم) الاستفهامية: " باب (كم) الاستفهامية: يعني أن (كم) الاستفهامية تُميز بمثل ما مُيز به العدد، فتقول: كم كوكبا تحوي السماء؟ وكم درهما عندك؟ فيجوز أن تنصب وأن يضاف لها ما بعدها كما تقدم في (كم) الخبرية إذا دخل عليها حرف جر ظاهر، نحو: بكم درهم اشتريت؟ أي بكم من درهم؟ فحذفت (من) وبقي عملها،

---

[1] ــ منحة الأتراب، ص: 156.
[2] ــ التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، ص: 40.

وشمل قوله حرف جر سائر حروف الجر نحو: على كم فرس ركبت؟ ...وإلى كم مذهب انتميت؟ وفي كم دار جلت؟ ونحوها، وهذا الجر غير لازم، ويجوز: بكم درهما اشتريت؟ بالنصب، ويجوز إظهار (من) فتقول: بكم من درهم اشتريت؟"[1]

يتناول الشيخ بَايْ بلعالم شروح منظوماته بطرق عدة فهو قد يتناولها بالبيت الواحد[2]، أو بالبيتين[3]، أو بالخمسة أبيات في باب نواسخ الابتداء في شرحه كفاية المنهوم، أو باب النواصب في شرحه التحفة الوسيمة[4]، وقد يتناول بابا بأكمله كما هو الشأن في باب العطف من منظومة "اللؤلؤ المنظوم" الذي يحوي ثمانية أبيات[5]، يصل إلى أكثر من عشرة أبيات[6].

وقد يشير الشيخ بَايْ في كثير من الأحيان إلى ألفية ابن مالك وهذا تداول كثيرا في كل الشروح[7]، وكذلك يشير إلى غيره من النحاة إلا أنه قد يذكر اسمه وقد لا يذكر ويشير إليه بقوله: "كما قيل"[8]، أو بقوله: "قال بعضهم"[9].

تراه في الكثير من المرات يدخل الشروح في بعضها البعض فهو أثناء شرحه لمتن معين في باب معين يدخل منظومة أخرى ويشرع في شرح المنظومة الدخيلة ويدع الأصلية حتى يفرغ من التي أدخلها عليها، كما هو الحال في شرحه "منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب" عند تعرضه لمعاني حروف الجر جاء بمنظومة الشيخ ابن أب في معاني حروف

1 ـ منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، ص: 76، 77.
2 ـ ينظر: الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، ص: 08.
3 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 06، والتحفة الوسيمة، ص: 06.
4 ـ ينظر: كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، ص: 64، والتحفة الوسيمة، ص: 27.
5 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 81.
6 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 27، منحة الأتراب، ص: 77، و80، والتحفة الوسيمة، ص: 27
7 ـ ينظر: الرحيق المختوم، ص:76، 79، 87، ومنحة الأتراب، ص: 83، 89، 155.
8 ـ ينظر: الرحيق المختوم، ص: 55.
9 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 69.

الجر(حرف الجر الباء) ثم شرع في شرحها حتى أكملها ثم عاد إلى منظومة "ملحة الإعراب"[1]

وقد يشير الشيخ بَايْ في شروحه إلى بعض أعماله وبشكل خاص كتابه "كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم"، بقوله: "وقلت في شرحنا..."[2]، أو قد يشير إلى منظومته "اللؤلؤ المنظوم" فيقول: "وقد قلت في اللؤلؤ المنظوم"[3]، ويقول: "وقد أشرت إلى ذلك بقولي في اللؤلؤ المنظوم"[4]، وقد يقول: "وإلى هذا أشرت في اللؤلؤ المنظوم بقولي"[5]، وقد يشير إلى ذات المنظومة بقوله: "وقد ذكرت من هذه الأفعال في نظمنا اللؤلؤ المنظوم عشرة تبعا للأصل فقلت"[6]، وغير ذلك من الإشارات. ولعله أكثر من الإشارة إلى تلك المنظومة في شرحه لملحة الإعراب لقرب المدة بينهما؛ فقد شرح منظومته "اللؤلؤ المنظوم" سنة 1412هـ، وكان شرح "ملحة الإعراب" سنة 1414هـ، وقد يشير إلى شروحه الأخرى[7]، حيث أشار إلى شرحه "الرحيق المختوم لنزهة الحلوم".

وتراه يترك الكلام عن مسألة أفاض فيها القول في أحد شروحه مكتفيا بالإشارة إلى ذلك الشرح دون الإحالة على الصفحة، كما هو الشأن في باب الأسماء الخمسة في كتاب "التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة"، حيث تحدث عن علامات إعراب الأسماء الخمسة واكتفى بهذا، وأحال إلى كتابه "الرحيق المختوم لنزهة الحلوم" حيث قال: " بقية المباحث ذكرناها في شرحنا الرحيق المختوم"[8]

1 ـ منحة الأتراب، ص: 39.
2 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 10.
3 ـ منحة الأتراب، ص: 116.
4 ـ منحة الأتراب، ص: 95.
5 ـ منحة الأتراب، ص: 76.
6 ـ منحة الأتراب، 62.
7 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 69.
8 ـ التحفة الوسيمة، ص: 19.

ويشير الشيخ بَايْ في شروحه إلى نحاة من توات وبشكل خاص الشيخ محمد بن أب المزمري الذي شرح له الشيخ بَايْ جل منظوماته النحوية وذلك في كل شروحه ويتم ذلك حتى أثناء شرح منظومات ابن أب نفسه[1]، أو محمد بن بادي الكنتي[2].

قد يترك الشيخ بَايْ الخوض في بعض الأمور التي يراها واضحة لا تحتاج إلى شرح كما فعل مع منظومة "نزهة الحلوم" للشيخ ابن أب في البيتين الآتيين من فصل الفاعل:

هَـــذَا وَإِنَّ الفَاعِـــلَ اسْـــمٌ وَقَعَـــا   مِـــنْ قَبْلِـــهِ فِعْـــلٌ لَـــهُ قَـــدْرٌ رُفِعَـــا

وَظَـــاهِرًا يَـــأْتِي وَيَـــأْتِي مُضْـــمَرًا   كَطَـــرَقَ الضَّـــيْفُ فَجُـــدْتُ بِـــالقِرَا

فالشيخ بَايْ شرح البيت الأول لكنه لما جاء إلى البيت الثاني وإلى قول الناظم: "ظاهر يأتي"، قال: "وظاهرا يأتي" وهو ما لا يحتاج إلى تفسير ولا إلى شيء يعود إليه"[3].

في كثير من الأحيان تجد الشيخ يقوم بأعراب كلمات المنظومات كما هو الحال في "منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب" إذ يقول: " "لَمْ تَسْمَعْ كَلاَمَ مَنْ عَذَلْ" لم: حرف جزم وجزم وقلب، تسمع: فعل مضارع مجزوم بلم، و(كلام) مفعول به مضاف، مَنْ: مضاف إليه، عَذَلْ: فعل ماض..."[4]

أما عن الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فقد تعددت وتنوعت طريقته في الإشارة إليهم فهو قد يذكر اسم الشاعر[5]، وقد يشير إليهم بقوله: "قال بعضهم...، أو لله در القائل...، أو أو لبعضهم...، أو كقول الشاعر...، أو قال آخر..."[6]، وتشمل هذه الإشارات كل الشعراء المعروف منهم وغير المعروف وإن كان من أصحاب المعلقات.

---

1 ـ ينظر: الرحيق المختوم، ص: 10، وكفاية المنهوم، ص: 69.
2 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 66.
3 ـ الرحيق المختوم، ص: 62.
4 ـ منحة الأتراب، ص: 142.
5 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 68.
6 ـ كفاية المنهوم، ص: 07، و08، والرحيق المختوم، ص: 09، و13، و15، والتحفة الوسيمة، ص:10، و17.

وتجد الشواهد ذاتها تتكرر معك في الكثير من المرات في شروحه، فهو رحمه الله لا ينوع فيها، كما يستشهد بالآيات القرآنية دون تخريج لها والشيء ذاته مع الأحاديث النبوية الشريفة.

ومن منهج الشيخ بَايْ المتبع في الشروح هو تدعيم الحكم النحوي بالشاهد القرآني ثم يدعم الشاهد القرآني بالشعر[1]، وقد يفعل بخلاف ذلك؛ كأن يدعم الشاهد الشعري بالشاهد القرآني[2]

لا ينسب أقوال النحاة إلى أصحابها فقد يشير إليهم "قال بعضهم"، قسم بعضهم"[3]، أو "قال أحدهم"، أو "ذهب قوم"[4]...، وقد يذكر أسماءهم في مواطن أخرى كسيبويه والكسائي والمبرد[5]، وقد أكثر الشيخ بَايْ من الرجوع إلى ابن مالك في الألفية(الخلاصة) وفي الشافية الشافية كذلك، كما قد يخالف بعض آرائهم النحوية[6].

(ب) الشواهد المعتمدة في الشروح:

إن الشيخ لم يخرج عن أجماع النحاة في ضرورة الاستشهاد فهو لم يغفل هذا الأصل من أصول النحو العربي، وفي الوقت ذاته لم يلتزم بالحدود الزمانية والمكانية التي حددها النحاة وبشكل خاص نحاة البصرة؛ فتجد الشيخ بَايْ يأتي بالشاهد الشعري الذي يدعم به مذهبه النحوي الذي ذهب إليه، كما تجده يعتمد في القراءات القرآنية على قراءة نافع برواية ورش ويشير إلى بقية القراءات الأخرى، أما الحديث النبوي الشريف فلم يحفل به كثيرا في الاستشهاد ولم يعطيه المكانة التي أعطاها له ابن مالك وبقية النحاة المتأخرين، فقد استشهد بالحديث الشريف لإثبات المعاني فقط ولم يستشهد به على قاعدة نحوية، ومن هنا يمكننا أن

1 ـ ينظر: الرحيق المختوم، ص: 107، و108، ومنحة الأتراب، ص: 82.
2 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 85، و86.
3 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 13.
4 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 62.
5 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 72، 105، والرحيق المختوم، ص: 90.
6 ـ ينظر: الرحيق المختوم، ص: 90.

نقول بأن مصادر الاستشهاد عند الشيخ بَايْ مرتبة على النحو الآتي: القرآن الكريم، الشعر العربي، الحديث النبوي الشريف(على قلته)، وفيما يأتي نتناول بشيء من التفصيل منهج الشيخ بَايْ في الاستشهاد بالقرآن الكريم، وبالشعر، ثم بالحديث النبوي الشريف.

1) القرآن الكريم:

لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وكان هو الأفصح في لغات العرب جعله الشيخ بَايْ أول مصادره النحوية فلا يكاد يخلو باب من الأبواب النحوية التي شرحها الشيخ في كتبه من الاستشهاد بالقرآن الكريم، معتمدا على قراءة نافع في تأصيله للقواعد النحوية، إن الشيخ بَايْ اعتمد الآيات القرآنية مستشهدا بها في شروحه على:

- ✓ **إثبات المعاني:**

إن الاستشهاد بالقرآن الكريم على معاني الألفاظ شيء اعتمده اللغويون منذ العهود الأولى للدين الإسلامي، والشيخ بَايْ لم بدعا في هذا فهو يسير على نهج القدامى في هذا الأمر؛ فهو إذا أراد تأصيل معنى لفظة ما لجأ إلى القرآن الكريم كيف لا والقرآن هو أفصح الكلامي العربي إطلاقا لأنه كلام الله عز وجل.

ومن أمثلة استشهاده بالقرآن الكريم على المعاني اللغوية شرحه للفظة "الإعراب"، إذ يقول: "الإعراب في اللغة: يطلق عل خمسة معان جمعها بعضهم بقوله:

بَيَـــانٌ وَحُسُـــنٌ وانْتِقَـــالٌ تَغَيّـــر وَعِرْفَـــان أَيْ الإِعْـــرَابُ فِـــي اللّغَـــةِ أَعْقِـــلا

...وحسن ومنه قوله تعالى:﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة، 37] أي حسانا"[1]

---

[1] ـ منحة الأتراب، ص: 20.

ومن أمثلته كذلك استشهاده على معنى كلمتي "معرفة، وعلامة" إذ يقول: "والمعرفة لغة: العلم، قال تعالى:﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة، 273]. أي تعلمهم... والعلامة لغة: أمارة، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل، 16]."[1]

ومن أمثلته كذلك شرحه لكلمة "الحال" حيث يقول: " ومن منصوبات الأسماء الحال وهو لغة: البال، قال تعالى:﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد، 2]، أي حالهم"[2].

ومن أمثلته كذلك معنى كلمة "البدل" حيث يقول: "البدل...لغة: العوض قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَنْ يُّبَدِّلَنَا﴾[القلم، 32]، أي يعوضنا"[3]

✓ **إثبات الدلالات المجازية:**

والدلالات الهامشية أقصد المعاني غير الأصلية فالألفاظ قد تدل على معنى لغوي أصلي وقد تدل على معانى أخرى في سياقات غير السياق الأصلي.

ومن أمثلتها من معاني "صار" ارتد، يقول الشيخ: "...ارتد نحو قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيراًۖ﴾ [يوسف، 96] "[4].

ومن أمثلة ذلك أيضا معاني حرف الجر "من"، حيث يقول: " وقد عد لها الشيخ محمد بن أب عشرا من المعاني، فقال:

مِــنْ قَــدْ حَــوَتْ مِــنَ المَعَــانِي عَشْــرَهْ   دُوْنَكَهَــــا مَجْمُوعَــــةً مُحَــــرَّرَهْ

بَعْــضُ وَبَــيْنَ وَابْتَــدَى فِــي الأَمْكِنَــةِ   بِهَــا وَقَــدْ تَــأْتِي لِبَــدْءِ الأَزْمِنَــةِ

---

1 ـ الرحيق المختوم، ص: 27.

2 ـ التحفة الوسيمة، ص: 45.

3 ـ كفاية المنهوم، ص: 89.

4 ـ كفاية المنهوم، ص: 70.

ونصصـــــن وعللـــــن وأبـــــدلا ورادفـــت بـــاء وفـــي عـــن علـــى

قوله: (بعض) ... وقوله تعالى:﴿فَاجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلاَوْثَـٰنِ﴾ [الحج، 30]، أي الذي هو جنس الأوثان،...وقد تأتي لبدء الأزمنة كقوله:﴿مِنَ اَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة، 108] ..."[1]

✓ **إثبات القاعدة النحوية:**

وترى الشيخ بَايْ في شروحه يستشهد بالقرآن الكريم لإثبات حكم قاعدة نحوية، وهذا الأمر سار عليه النحاة منذ بدايتهم للتقيعد النحوي، ومن الآيات القرآنية التي أثبت بها حكما نحويا قوله تعالى:﴿فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنَ اَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلاَرْضِ ذَهَباً﴾[آل عمران، 91] والحكم النحوي هو وجوب نصب التمييز، حيث يقول: " فيجوز جر التمييز بعد هذه الإضافة إلى غيره فإن أضيف الدال على المقدار إلى غير التمييز وجب نصب التمييز"[2]، والشاهد في الآية هو (ذهبا) حيث وجب نصبها لأنها لم تأت مضافة.

ومن أمثلة الأحكام النحوية التي أثبتها بالآيات القرآنية حكم تابع المنادى المبني إذا كان معرفا بأل، حيث يقول: "اعلم أن توابع المبني من التأكيد والنعت والمعطوف الذي فيه الألف واللام أعني في عطف النسق، والمعطوف عطف بيان إذا كانت مفردة، كلها ترفع على اللفظ، ويجوز نصبها عل المحل مثل: يا تميم أجمعون وأجمعين، ويا زيد الظريفُ أو الظريفَ، قال تعالى:﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَالطَّيْرَ﴾[سبأ، 10] بالنصب والرفع"[3]، والشاهد هو (الطير) حيث قرئت بالرفع كما قرئت بالنصب على المحل.

---

[1] ـ منحة الأتراب، ص: 36.
[2] ـ منحة الأتراب، ص: 75.
[3] ـ الرحيق المختوم، ص:107، و108.

ومن الأحكام النحوية التي أثبتها بالآيات القرآنية نجد حكم نصب الفعل المضارع بعد كي حيث يقول: "ويشترط في النصب بها من غير تقدير أن بعدها أن تكون مصدرية وهي التي تتقدم عليها اللام إما لفظا نحو:﴿لِّكَيْلاَ تَاسَوْاْ﴾ [الحديد، 23] وإعرابه...وإما تقديرا نحو قوله تعالى: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القصص، 13، وطه، 40] إذ قدرت اللام قبل كي"[1]

✓ **تأييد رأي ذهب إليه وتوكيده وتقويته:**

وقد يذهب الشيخ بَايْ إلى تأييد رأي نحوي أو موقف ويلجأ إلى تأييده بالنص القرآني إلا أن هذا الأمر ورد عنده قليلا، ومنه ما سبقت الإشارة إليه في هذا البحث حيث أيد بالآية: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ، 10]، بنصب أو رفع (الطير)، فالشيخ يجيز النصب والرفع معا ولم يمل إلى جهة معينة وأغفل الحديث عن الخلاف فيها كذلك [2]

ومن أمثلته جواز إبدال النكرة من المعرفة واستشهد بالآية القرآنية حيث قال: "ويجوز إبدال النكرة من المعرفة نحو قوله تعالى:﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ﴾[العلق، 16، 17]، ويجوز بدل المعرفة من النكرة من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اِ۬للَّهِ﴾[الشورى، 52، 53] ...ويبدل الظاهر من المضمر... ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهِ إِلاَّ اَ۬لشَّيْطَٰنُ أَنَ اَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف، 63] وهو بدل اشتمال"[3]

---

[1] ـ التحفة الوسيمة، ص: 27، و28.
[2] ـ ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1421هـ ـ 2001م، 327/2.
[3] ـ كفاية المنهوم، ص: 91.

2) الشعر وكلام العرب:

الشعر ديوان العرب وقد اهتم به النحاة كثيرا واعتمدوا عليه في استنباط القواعد النحوية والصرفية وغيرهما ولا يمكننا أن نَدرس أو نُدرس النحو العربي بمعزل عن الشعر العربي، إلا أن النحاة صنفوا الشعر العربي إلى طبقات، كما حددوا حدودا زمانية وأخرى مكانية أخذوا بشعر أصحابها، وشددوا في ذلك كثيرا إلى درجة أنهم لم يأخذوا بالشعر المجهول قائله[1]، وهناك فريق آخر لم يحترم تلك الحدود واخذ بأقوال العرب حيثما وجدت وممن قيلت[2]. فإلى أي الفريق ينمتي الشيخ بَايْ؟ هل احترم الشيخ مقاييس نحاة البصرة والتزم بها أم ضاق بها ذرعا وتمرد عليها وكان كوفيا؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال تناولنا بالدراسة لشروحه.

إن الشيخ بَايْ في تعامله مع الشعر في شروحه للمنظومات النحوية كان على النحو الآتي: فهو قد يذكر اسم الشاعر وفي كثير من الأحيان لا يذكر اسمه وإن كان الشاعر معروفا لدى العام والخاص كامرئ القيس أو زهير بن أبي سلمى أو المتنبي.

ومن أمثلة الأشعار التي لم يسندها لقائلها جهلا بذلك أم تجاهلا محاولته لشرح لفظة "الكلام" يقول: " وقد يطلق الكلام على خمسة معان يسمونها محترزات اللفظ، كما قال القائل:

وَاحْتَـــرَزُوا بِــــالَّلَفْظِ فِــــي الكَـــلامِ مِـــــنْ خَمْسَــــةٍ تُـــدْرَى لَــــدَى الأَفْهَــــامِ

الخَـــــطِّ وَالإِشَـــــارَةِ المَفْهُـــــومِ ثُـــــمَّ حَــــــدِيثِ الـــــنَّفْسِ وَالتَّكْلِـــــيمِ

الخط كقولهم القلم أحد اللسانين وكقول عائشة ما بين دفتي المصحف كلام، والإشارة كقول الشاعر:

أَشَـــارَتْ بِطَـــرَفِ العَـــيْنِ خِيْفَـــةَ أَهْلِهَـــا إِشَـــــارَةَ مَحْـــزُونٍ وَلَـــمْ تَـــتَكَلَّمِ

[1] ـ إشارة إلى مدرسة البصرة النحوية واللغوية.
[2] ـ إشارة إلى مدرسة الكوفة النحوية واللغوية.

والمفهوم يسمى كلاما في اللغة أيضا كما قالوا:

امْـــتَلأَ الحَـــوْضُ وَقَـــالَ قَطْنِـــي   مَهْـــلًا رَوِيـــدًا قَـــدْ مَـــلأْتَ بَطْنِـــي

وحديث النفس كقول الشاعر:

إنَّ الكَـــلَامَ لَفِـــي الفُـــؤَادِ وَإِنَّمَـــا   جُعِـــلَ اللسَـــانُ عَلَـــى الفُـــؤَادِ دَلِـــيلًا

وكقول آخر:

إذَا حَـــدَّثَتْكَ الـــنَّفْسُ أَنَّـــكَ قَـــادِرُ   عَلَـــى مَـــا حَـــوَتْ أَيْـــدِي الرِّجَـــالِ فَكَـــذِّبِ

والتكليم يسمى كلاما عند أهل اللغة لا عند النحاة"[1].

فكما لاحظنا إن الشيخ جاء بست أبيات شعرية لم ينسب واحدا منها إلى قائله وهذا ما يخالف نهج النحاة الأوائل ومما قد يكون سببا في قدح الرجل، فنسبة القول لصاحبه مما يؤدي إلى تبرئة ذمة الشارح من جهة وزيادة الثقة في معلوماته ومعارفه.

إما تجاهله لقائل البيت عمدا ـ ولا أحسبه إلا كذلك لأن قائله أشهر من نار على علَم ـ تجاهله لزهير بن أبي سلمى في أحد أبيات معلقته المشهورة "مَنْ ومَنْ" الميمية، إذ يقول: "ومنه قول الشاعر:

وَمَهْمَـــا تَكُـــنْ عِنْـــدَ امْـــرِئٍ مِـــنْ خَلِيقَـــةٍ   وَإِنْ خَالَهَـــا تُخْفَـــى عَلَـــى النَّـــاسِ تُعْلَـــمِ"[2]

وكذلك الأمر مع بيت المتنبي المشهور، فهو يقول: "وقد جمعها بعضهم في قوله:

الخَيْـــلُ وَاللَّيْـــلُ وَالبَيْـــدَاءُ تَعْرِفُنِـــي   وَالـــرُّمْحُ وَالسَّـــيْفُ وَالقِرْطَـــاسُ وَالقَلَـــمُ"[1]

[1] ـ كفاية المنهوم، ص: 09، 10.
[2] ـ التحفة الوسيمة، ص: 35. البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته.

فنلاحظ الشيخ تجاهله للشاعرين وهما من هما في اللغة، وزيادة على ذلك فالشيخ لم يكتف بتجاهل الشاعر (القائل) فهو يستشهد على اللغة بشاعر من خارج عصر الاحتجاج والأمر يتعلق بالمتنبي.

ولم يقف الأمر عند هذا فحسب فالشيخ رحمه الله تعالى يأتي بالأبيات التي لا يعرف قائلها قال الشيخ عند حديثه عن معاني حرف الجر "إلى": "ورادفت عند نحو قول الشاعر:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرِهِ   أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسِلِ"[2]

فمثل هذا لا يستشهد به في اللغة وإن كان قائله من يكون فالشعر الذي يستشهد به هو ذلك الذي ينتمي إلى عصر الفصاحة وأماكنها؛ لأن الأمر يتعلق بتأصيل اللغة فلا نستشهد بِأيٍّ كان، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لم كان الشيخ بَايْ يستشهد بالشعر في شروحه؟

إن الشيخ بَايْ في شروحه كان يستشهد بالشعر لـ:

- ✓ **إثبات القاعدة النحوية:**

فمن الأشعار التي أثبت بها قاعدة نحوية بيت جرير إذ يقول الشيخ بَايْ: "ومن العرب من يعامل المنقوص في حالي الرفع والجر كما يعامله في حالة النصب فيظهر الضمة والكسرة على الياء كما يظهر الفتحة عليها، وقد ورد في ذلك قول جرير:

فَيَوْمًا يُوَافِينَا الهَوَى غَيْرَ مَاضِي   وَيَوْمًا تَرَى مِنْهُنَّ غُولًا تَغُولُ

[1] ـ كفاية المنهوم، ص: 14. البيت للمتنبي (ينظر: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1403هـ ـ 1983م، ص: 332.)
[2] ـ نفسه، ص: 15.

وقول آخر:

لَعُمْـــرُكَ مَـــا تَـــدْرِي مَتَـــى أَنْـــتَ جَـــائِيٌّ   وَلَكِـــن أَقْصَـــى مُـــدَّةَ الـــدَّهْرِ عَاجِـــلُ"[1]

ومن أمثلته كذلك جواز إبدال النكرة من النكرة حيث يقول: "يجوز إبدال النكرة من النكرة نحو قوله تعالى: إن للمتقين مفازا حدائق، ومنه قول الشاعر:

وَكُنْـــتُ كَـــذِي رِجْلَـــينِ؛ رِجْـــلٌ صَـــحِيحَةٌ   وَرِجْـــلٌ رَمَـــى فِيهَـــا الزَّمَـــانُ فَشُـــلَّتِ"[2]

ومن كلام العرب دون الشعر ما استشهد به على إثبات قاعدة نحوية هذا المثل، الذي أراد به إثبات حذف كان وبقاء اسمها وخبرها، حيث يقول: "تختص "كان" بجواز حذفها وحدها ويبقى اسمها وخبرها معوضا عنها، وذلك إذا وقعت بعد "إن" و"لو" الشرطيتين في مثل قولهم: (النَّاسُ مُجَازُونَ بِأَفْعَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ) التقدير إن كان عملهم خيرا فجزاؤهم خير، بحذف كان واسمها من الأولى، وحذف المبتدأ من الثاني، ومثله إن شرا فشر، وكذلك قولهم: (المَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ إِنْ سَيْفًا فَسَيْفٌ، وَإِنْ خِنْجَرًا فَخِنْجَرٌ)"[3]

- ✓ **إثبات المعاني:**

أما الأشعار التي استشهد بها لإثبات المعاني فهي كثير وبشكل خاص عند حديثه عن المعاني اللغوية، وليس معنى ذلك أنه استعملها في المعنى اللغوي فقط، ولكن غلب عليه ذلك فهو يقول عن لفظ "صال": "صال من الصولة وهي الهجوم يقال: صال على قرنه صولا سطا واستطال، قال الشاعر:

---

1 ـ منحة الأتراب، ص: 28.
2 ـ كفاية المنهوم، ص: 91.
3 ـ كفاية المنهوم، ص:68، و69.

فَصَـــــالُوا صَـــوْلَةً فِـــيمَنْ يَلَـــيْهِمْ   وَصُـــلْنَا صَـــوْلَةً فِـــيمَنْ يَلِينَـــا[1]

وكما نلاحظ فإن الشيخ بَايْ بلعالم يستشهد بالشعر الجاهلي لشعراء يعرفهم العام قبل الخاص وهم أصحاب المعلقات لكن الشيخ يستشهد بأشعارهم دون ذكر أسمائهم.

ومن أمثلة الأشعار التي يستشهد بها لإثبات المعاني اللغوية بيت للخنساء في معنى كلمة الفيض، يقول الشيخ بَايْ: "والفيض الشيء الكثير الغزير قالت الخنساء:

كَـــأَنَّ دَمْعِـــي لِـــذِكْرَاهُ إِذَا خَطَـــرَتْ   فَـــيْضٌ يَسِـــيلُ مِـــنَ الخَـــدَينِ مِـــدْرَارُ

ويقال: أعطانا غيضا من فيض أي قليلا من كثير"[2]

ومن أمثلة ذلك كذلك تعرضه لمعنى لفظتي (اللحن، وتئن) حيث يقول: " (ان اللحن) واللحن الخطأ في الإعراب قال المعلي:

كَلَّمْـــتُ بِـــاللَّحْنِ أَهْـــلَ الحَـــيِّ أَنْفُسَـــهُمْ   لِأَنَّ عَيْبِـــي عِنْـــدَ القَـــوْمِ إِعْرَابِـــي

(داء) أي مرض (مزمن) أي عضال (تئن) من الأنين يقال: أن يئن تأوه وتوجع قال بعضهم:

كُلَّمَـــــا أَنَّ بِـــــالعِرَاقِ جَـــــرِيحٌ   لَامَـــسَ الشَّـــرْقُ جَنْبَـــهُ فِـــي عَمْآئِـــهِ"[3]

ومن أمثلته كذلك استشهاده بالشعر على معنى الإعراب حيث قال: "...وحسن ومنه... ومنه قول الشاعر:

عَـــرُوبٌ فَمَـــا تَلْقَـــاكَ إِلَّا تَبَسَّـــمَتْ   وَأَبْـــدَتْ عَقِيقَـــا فِـــي جُمَـــانٍ مُـــنَظَّمِ"[1]

---

[1] ــ الرحيق المختوم، ص: 89، البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته.(ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 01، 1411هـ ــ 1991م، ص: 83.

[2] ــ كفاية المنهوم، ص: 04.

[3] ــ كفاية المنهوم، ص: 06، و07.

واستشهد بكلام العرب من غير الشعر لإثبات المعاني ومن أمثلته ما استشهد به على معنى كلمة "العطف" حيث يقول: والعطف والنسق بمعنى واحد وهو لغة: الرجوع، تقول العرب: عطف الفارس على قرينه إذا رجع، وعطف حاشية الثوب إذا ردها عليه."[2]

✓ **إثبات الدلالات المجازية (الهامشية):**

وتراه يستشهد بالشعر للدلالة على معاني الكلمات الهامشية، ومن أمثلة ذلك استشهاده بيت شعري على دلالة حرف الجر (إلى) على معنى (عند) حيث يقول: "وبمعنى عند كقول الشاعر:

أَمْ لا سَـــبِيلَ إِلَـــى الشَّـــبَابِ وَذِكْـــرِهِ   أَشْـــهَى إِلَـــيَّ مِـــنَ الرَّحِيـــقِ السَّلْسِـــلِ

أي أشهى عندي"[3]

ومن أمثلته كذلك استشهاده بأشعار لم ينسبها إلى أصحابها على معاني الفعل "صار" حيث يقول: "وهناك أفعال تأتي بمعنى صار وقد نظمها الشيخ محمد بن أب في بيتين فقال:

عَشْـــرَةٌ تَعْمَـــلُ مِثْـــلَ صَـــارَ   آضَ تَحَـــوَّلَ وَآلَ حَـــارَ

وَرَاحَ وَاسْـــتَحَالَ ثُـــمَّ قَعَـــدَا   رَجَـــعَ وَارْتَـــدَّ كَـــذِلِكَ غَـــدَا

وقوله آض ومنه قول الشاعر:

وَبِـــالمَحْضِ حَتَّـــى آضَ جَعْـــدًا عَنْطَنطـــا   إذا قـــام ســـاوى غـــارب الفحـــل غاربـــه[4]

---

[1] ـ منحة الأتراب، ص: 20.

[2] ـ كفاية المنهوم، ص: 81.

[3] ـ الرحيق المختوم، ص: 16.

[4] ـ العنط: طول العنق وحسنه، وقيل: هو الطول عامة.(لسان العرب، مادة (عنط)، 303/10.

تحول كقوله:

وَبُـــدِّلْتُ قَرْحًـــا دَامِيًـــا بَعْـــدَ صِـــحَّةٍ   لَعَـــلَّ مَنَايَانَـــا تَحَـــوَّلْن أبْأسًـــا[1]

آل:

وَعَـــــــرُوبٌ غَيْــــــرُ فَاحِشَــــــةٍ   مَـــــا كننــــــي وُدُّهَـــــا حِقَبًـــــا

ثُـــــمَّ آلَـــــتْ مَـــــا تُكَلِمُنِــــــي   كُـــــلَّ حَـــــيٍّ مُعَقَّـــــبٍ عُقُبًـــــا

حار، ومنه قول الشاعر:

وَمَـــا المَـــرْءُ إلَّا كَالشِّـــهَابِ وَضَـــوْئِهِ   يَحُـــورُ رَمَـــادًا بَعْـــدَ إذْ هُـــوَ سَـــاطِعُ"[2]

✓ **تأييد رأي ذهب إليه وتوكيده وتقويته:**

ومن الأشعار التي دعم بها الرأي النحوي الذي يذهب إليه، فقد ذهب إلى أن القياس أن لا يرخم الاسم غير المنتهي بهاء إلا ما جاء شاذا ومن ذلك اسم "صاحب" فيقول: " (وقولهم) أي العرب (في صاحب: يا صاح) بالترخيم (شذ) لأنه ليس علما، فالقياس أن لا يرخم كما لا يرخم راكب وفارس، فلا يقال: يا راك، ويا فار.. ومن الترخيم قول الشاعر وهو محمد بن أب التواتي [1160هـ]:

صَـــاحِ سَـــلِّمْ عَلَـــى النُّحَـــاةِ وَسَـــلْهُمْ   حَبَّـــــذَا حَبَّـــــذَا هُـــــمْ إنْ أَجَـــــابُوا

ومنه قول الآخر:

صَـــاحِ شَـــمِّرْ وَلَا تَـــزَلْ ذَاكِـــرَ المَـــوْتِ   فَنِسْـــــــيَانُهُ ضَـــــــلَالٌ مُبِـــــــينُ

---

[1] ـ البيت لمرئ القيس وفي الديوان (فَيَا لَكَ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا) ينظر: ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 05، 1425هـ ـ 2004م، ص: 87.)

[2] ـ كفاية المنهوم، ص: 69، و70. والبيت الأخير للبيد بن ربيعة في قصيدة يرثي بها أخاه أربد (ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 88.

والحاصل أن الثلاثي المقرون بـ(الهاء) يجوز ترخيمه بدون شروط"[1]

وهنا نتساءل هل يجوز الاستشهاد بنحوي في القرن الثاني عشر وهو بعيد كل البعد عن عصر استشهاد؟

ومن أمثلته كذلك جواز كسر وفتح همزة "إن" حيث يقول: "ويجوز الكسر والفتح في أربعة مواضع بعد إذا الفجائية، ومنه قول الشاعر:

وَكُنْـــتُ أَرَى زَيْـــدًا كَمَـــا قِيـــلَ سَـــيِّدًا   وَإِذَا أَنَّــــهُ عَبْـــدُ القَفَـــا وَاللَّهَـــازِمِ

فيجوز أن يقال: (أَنَّهُ) و(إِنَّهُ).. وكذلك يجوز الوجهان بعد القسم غير المقرون باللام نحو قول الشاعر:

أَوْ تَحْلِفِــــــي بِرَبِّــــــكِ العَلِّــــــي   إِنِّــــي أَبُـــــو ذَيالِــــكَ الصَّــــبِّي

فمَنْ كسر جعلها جواب القسم، ومَنْ فتح فعلى نية حرف الجر"[2]

3) الحديث النبوي الشريف:

الحديث النبوي الشريف هو ثاني مصادر التشريع الإسلامي الذي لم يعوِّل عليه النحاة القدامى كثيرا في التقعيد النحوي، إلا أن المتأخرين منهم أولوه أهمية كبرى، وعلى رأس هؤلاء ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة ومن ورائه نحاة مدرسة الأندلس في النحو، فهل كان الشيخ بَايْ معولا على الحديث النبوي الشريف في شروحه لتلك المتون النحوية؟

لم يعط الشيخ بَايْ أهمية كبرى للحديث النبوي؛ بمعنى أنه لم يعتمد عليه في الاستشهاد النحوي كثيرا، وإنما استشهد به لإثبات المعاني، وإثبات بعض القواعد النحوية، وذلك لأن

[1] ـ منحة الأتراب، ص: 105، و106.
[2] ـ منحة الأتراب، ص: 92، و93.

الاستشهاد به كان قليلا مقارنة بالشعر العربي، والقرآن الكريم، ومع ذلك فهو لم يقم بتخريج تلك الأحاديث التي استشهد بها.

ومن الأحاديث التي استشهد بها لإثبات المعاني قوله صلى الله عليه وسلم: (لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1] والشاهد في الحديث الفعل (تروح) بمعنى (صار) أي تصير بطانا[2].

ومن أمثلته كذلك استشهاده بالحديث النبوي الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الثَّيْبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا)[3] والشاهد في الحديث هو لفظة (تعرب) أي بمعنى (تبين) لأن من معاني الإعراب البيان[4].

واستشهد بالحديث النبوي الشريف لإثبات المعاني المجازية كما هو الحال مع حرف الجر (من) حيث تأتي بمعنى الابتداء حيث قال الشيخ بَايْ: "وتأتي لابتداء الغاية من غير الزمان والمكان...وكما قال في الحديث: (إِنَّهُ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ...)[5]

ومن أمثلته أيضا لإثبات معنى القبول لحرف الجر (الباء) حيث قال: "وقبلوا نحو: اشتريته بألف، ومنه الحديث: (لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ)[6]، أي بقبول عمله[7].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي استشهد بها لإثبات القواعد النحوية قوله صل الله عليه وسلم: (التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ)[8]، أثبت بها الشيخ قاعدة التي تجيز حذف كان

---

1 ـ الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم: 4164، كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين.(سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تح: بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: 01، 1418هـ ـ 1998م، 590/5.)
2 ـ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 70.
3 ـ أخرج الحديث ابن ماجه فيسننه تحت رقم: 1872، كتب: النكاح، باب استئمار البكر...،319/3.
4 ـ ينظر: منحة الأتراب، ص: 20.
5 ـ منحة الأتراب، ص: 08.والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، تحت رقم: 6، كتاب بدء الوحي، باب: بدء الوحي، والحديث طويل.(ينظر: الجامع الصحيح، البخاري، 16/1 ـ 18.)
6 ـ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صفة القيامة والجنة...، باب لن يدخ الجنة....، (صحيح مسلم، 141/8.)
77 ـ منحة الأتراب، ص: 39.
8 ـ أخرج الحديث أبو داود في سننه تحت رقم: 2111، كتاب: النكاح، باب: في التزويج على العمل يعمل، (سنن أبي داود، أبو داود، تح: عزت عبيد الدعاس، وعدل السيد، دار ابن حزم، ط: 01، 1418هـ ـ 1997م، 405/2.)

وبقاء خبرها بعد (إن) و(لو) الشرطيتين، وتقدير الحديث (ولو كان الملتَمَس خاتما من حديد)[1]

كما دعم بالحديث النبوي الشريف آراء غير نحوية في شروحه مثل: حلاوة الإيمان[2]، أو المحبة بسبب التزاور، أو إكرام الضيف[3]...

(ت) موقفه من أقوال العلماء (النحاة) وطريقة التعامل معها:

يتعامل الشيخ بَايْ مع علماء النحو كما يتعامل مع غيرهم من العلماء؛ فهو كما أشرنا سابقا في المنهج لا يذكر أسماءهم وهذا هو الغالب عليه ويكتفي بالإشارة إليهم تارة بالقوم، وأخرى ببعضهم وهكذا، أما أقوالهم فهو يذكرها دون الإشارة إلى المصدر الأصلي للمعلومة، وسنحاول أن نتتبعه في هذه المواقف ومنهجه فيها.

فمن المواقف التي لا ينسب فيها الأقوال إلى نحوي ويكتفي بالإشارة إليه فقط، كما هو الشأن في أقسام التنوين يقول: "وقد قسّم بعضهم التنوين إلى ستة أقسام، وبعضهم قسّمه إلى عشرة أقسام"[4]، فنلاحظ أنه لم يفصل القول في ذلك مَنْ هم الذين قسّموا التنوين إلى ستة، ومن هم الذين قسّموه إلى عشرة؟ ويبقى على الباحث والمتعلم أن يبحث عن القضية، فمن الأحسن أن يشير إلى تلك الأقسام ومقسميها. وهو لم يتحدث إلا عن الأنواع الأربعة المعروفة؛ تنوين التمكين، وتنوين العوض، وتنوين المقابلة، وتنوين التنكير[5]، وأحسب الشيخ الشيخ يقصد بالأنواع الستة زيادة تنوين الترنم وهو الذي يلحق القوافي المطلقة، والتنوين الغالي وهو الذي يلحق القوافي المقيدة[6]، وقد اختلف في إدراجهما تحت باب التنوين بين

---

1 ــ ينظر: كفاية المنهوم، ص: 69.
2 ــ منحة الأتراب، ص: 137.
3 ــ ينظر: منحة الأتراب، ص: 138.
4 ــ كفاية المنهوم، ص: 13.
5 ــ ينظر: نفسه.
6 ــ ينظر: شرح قواعد البُصروية في النحو، علاء الدين البصروي، تح: عزام عمر الشجراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بيروت، لبنان، ط: 01، 1421هـ ــ 2000م، 61 ــ 62، وشرح التسهيل، 10/1 ــ 11.

النحاة[1]، أما تتمة العشرة فهي تنوين الضرورة في ما لا ينصرف، وفي المنادى المضموم، وتنوين الشذوذ، وتنوين الحكاية[2]

أما عن ابن مالك فقد أكثَر الشيخ من الإشارة إليه والرجوع إلى الألفية تارة وإلى الشافية تارة أخرى، وذلك في كل شروحه فقد يشرح كلام السابق باللاحق، وقد يخالف ذلك فيشرح كلام اللاحق بالسابق، وهنا نتساءل أي المنهجين جائز؛ أن نشرح كلام اللاحق بالسابق، أم أن نشرح كلام اللاحق بالسابق؟ وأيُّهما أقوى حجة؟

ومنها ما وضّحه بأقوال علماء من منطقة إقليم توات؛ ونبدأ بالشارح نفسه حيث أشار في مواقف نحوية كثيرة إلى كُتُبِه وبشكل خاص منظومته على "مقدمة الآجرومية" التي سماها "اللؤلؤ المنظوم" ففي باب الإعراب من "ملحة الإعراب" متحدثا عن أنواع الإعراب، يقول: "ولقد قُلْتُ في نظمنا "اللؤلؤ المنظوم" في أنواع الإعراب ما يلي:

رَفْــــعٌ وَنَصْـــبٌ ثُـــمَّ خَفْـــضٌ جَـــزْمٌ   أَقْسَـــــــــامُهُ أَرْبَعَـــــــــــةٌ فَالاسْـــــــــــمُ

قَــدْ خُــصَّ بِـــالثَّلَاثِ وَالجَـــزْمُ امْتَنَـــعْ   فِـــي الاسْـــمِ والخَفْــضُ مِـــنَ الفِعْـــلِ انْقَطَـــعْ"[3]

وغير هذا كثير في شروحه، فهل يمكن هذا؟ وكان من اللائق أن يقول: وقد نظمتها في قولي كذا وكذا.

ومن المواقف النحوية التي يصرّح فيها باسم صاحب الرأي نجد امتناع الجزم عن الاسم وتخصيصه بالفعل، وكذلك الجر الممتنع عن الفعل والمتخصص بالاسم، حيث يأتي الشيخ بَايْ بكلام الزّجاج مصرحا بكتابه "الجمل"، فيقول الشيخ بَايْ: "يقول الزجاج في الجمل: إنما

---

[1] ـ ينظر: شرح التصريح على التوضيح، 30/1.
[2] ـ ينظر: نفسه،30/1 ـ 31.
[3] ـ منحة الأتراب، ص: 21.

لم تجزم الاسماء لأنها متمكنة بلزومها، ولم تخفض الأفعال لأن الخفض لا يكون إلا بالإضافة والتبعية وبحرف الجر"[1]

كما يستدل بأقوال النحاة ومن بينهم الحرير في غير كتاب "منحة الأتراب" إلا أنه قد يصرح باسمه وقد يكني عنه بـ: قال في الملحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء به مستدلا على تقديم خبر الحروف، حيث يقول الشيخ بَايْ: "يعني إلا إذا كان الخبر ظرفا أو مجرورا نحو: (إن في الدار زيدا) أو إن عندك عمرا)، قال في الملحة:

وَلا تُقَـــــدِّمْ خَبَـــــرَ الحُـــــرُوف إِلَّا مَـــــعَ المَجْـــــرُورِ وَالظُّـــــرُوفِ"[2]

ومن أمثلته كذلك

ومن المواطن التي لا يذكر فيها اسم النحوي ويكتفي بقوله فقط، حديثه عن (ما الحجازية) حيث يقول: "وأما بنو تميم فإنها لا تعمل عندهم شيئا، فيقولون: "ما زيد قائم" فـ(زيد) مرفوع بالابتداء، وقائم خبره، ولا عمل لها في شيء منهما، ولهذا أشار بعضهم بقوله:

أَهْـــلُ الحِجَـــازِ يُعْمِلُـــونَ حَـــرْفَ مَـــا عَمَـــلَ لَـــيْسَ عَمَـــلًا لَـــنْ يَلْزِمَـــا

وَمَـــا لَهَـــا عَنْـــدَ تَمِـــيمٍ عَمَـــلُ لِأَنَّهَـــا حَـــرْفٌ لَـــدَيْهُمْ مُهْمَـــلُ"[3]

وكثيرا ما تجد الشيخ بَايْ يختم كلام الباب أو المسألة بكلام ابن مالك خاصة في شرحه "منحة الأتراب".

(ث) آراؤه النحوية:

لم يتفرد الشيخ برأي نحوي مستقل، كما أنه لم يأتِ برأي جديد؛ فهو يأتي بآراء النحاة مختارا من بينها الرأي الذي يختاره، ومن هنا فهو عند سرده للآراء قد يشير إلى ما شذ منها

---

1 ـ كفاية المنهوم، ص: 26.
2 ـ الرحيق المختوم، ص: 76.
3 ـ منحة الأتراب، ص: 99.

دون الإشارة إلى شذوذه؛ كنصب (إن) المبتدأ والخبر، وهو رأي بعض الكوفيين، حيث قال: " إن هذا هو المشهور، وقد جاء نصب الجزأين في قول الشاعر:

إِذَا اسْـــوَدَّ جُـــنْحُ اللَيْــلِ فَلْتَــأتِ وَلْــتَكُنْ   خُطَـــاكَ خِفَافًـــا إِنَّ حُرَّاسَـــنَا أُسْـــدًا

ومنها الحديث: (إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّم لَسَبْعِينَ خَرِيفًا)، وكقوله:

كَـــــأَنَّ أُذُنَيْــــــهِ إِذَا تَشَـــــوَّفَا   قَادِمَـــــــةً أَوْ قَلَّمَـــــــا مُحَرَّفَـــــــا

بنصب أذنيه وقدميه بعد (كأن) وكقول الآخر: يا ليت أيام الصبا رواجعا"[1]

والشاهد في البيت الأول هو: (إن حراسنا أسدا) بنصب المبتدأ (حراسنا)، ونصب الخبر (أسدا)، أما الشاهد في الحديث فهو: (إن قعر جهنم لسبعين خريفا) بنصب المبتدأ (قعر جهنم)، ونصب الخبر (لسبعين خريفا).

إن هذا الرأي الذي جاء به الشيخ بَايْ هو رأي بعض الكوفيين وهو كلام شاذ[2] وذهب إليه ابن مالك في توجيه الحديث السابق الذي أورده الشيخ، حيث قال ابن مالك: "وأجاز الفراء نصب الاسم والخبر معا بليت، ومن حجته على ذلك قول الشاعر:

لَيْـــتَ الشَّـــبَابَ هُـــوَ الرَّجِيـــعَ عَلَـــى الفَتَـــى   وَالشَّـــيْبُ كَـــانَ هُـــوَ البِـــدى الأول

وأجاز بعض الكوفيين ذلك في واحد من الخمسة، ومن حجج صاحب هذا المذهب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن قعر جهنم لسبعين خريفا)"[3]، ولم يقر ابن مالك هذا الرأي[4]، وأضاف الأشموني إلى الكوفيين ابن سيده الذي زعم أنها لغة قوم[5]، وقد وجه

---

1 ـ الرحيق المختوم، ص: 78.
2 ـ ينظر: الاقتراح، ص: 180 ـ 181.
3 ـ شرح التسهيل، ابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 01، 1410هـ ـ 1990م، 9/2.
4 ـ ينظر: نفس المرجع، 9/2 ـ 10.
5 ـ ينظر: شرح الأشموني، 402/1 ـ 404.

السيوطي الحديث التوجيه الآتي: "إما على مذهب من يحذف المضاف ويبقي المضاف إليه على جره فيكون التقدير: سير سبعين خريفا.

وإما على أن قعر جهنم مصدر، يقال: قعرت الشيء إذا بلغت قعره، ويكون سبعين ظرف زمان وفيه خبر (إن).

والتقدير إن بلوغ قعر جهنم الكائن في سبعين خريفا.

وقال الرضي: المروي: إن قعر جهنم لسبعون خريفا، أو إن في قعر جهنم لسبعين خريفا.

وقال القرطبي: الأجود رفع (لسبعون) على الخبر، وبعضهم يروونه (لسبعين) يتأول فيه الظرف وفيه بُعد.

وقال الشلوبين في شرح الجزولية: واستدل الكوفيون على أن (إن) تنصب الجزأين بقوله صلى الله عليه وسلم: (إن قعر جهنم لسبعين خريفا).

والجواب: إن تقديره: لعميق أولها، و(سبعين خريفا) ظرف زمان نائب مناب عميق أولها، وللدلالة عليه من جهة المعنى"[1].

وبناء على ما سبق يتبين أن جمهور النحاة لم يقروا بهذا الرأي، ولم يقبلوا به، وكما رأينا فمن قبل بالحديث والأبيات الشعرية أوَّلوها ووجهوها توجيها غير ما ذهب إليه الكوفيون، وما أورده الشيخ باي عن هذا فهو من قبيل الإشارة إلى الاختلاف الكائن في المسألة، وليس على سبيل الاعتداد به.

[1] ـ عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، تح: سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، د ط، 1414هـ ـ 1994م، 105/3.

(ج) مصادره في الشروح:

إن الحديث عن مصادر الشيخ محمد بَايْ بلعالم في شروحه النحوية لمن الصعوبة بمكان وذلك لأن الشيخ لا يصرّح بمصادره إلا نادرا؛ فهو يتحدث في انسيابية، إلا أنه يترك وراءه أثرا يدل على مصدره الذي استوحى منه معارفه النحوية؛ فهو إلى جانب مصدره الأصلي الذي يتمثل في المتن الذي يتولى شرحه مثل منظومة "كشف الغموم" أو "الدرة اليتيمة" أو "نزهة الحلوم" أو "اللؤلؤ المنظوم" أو "ملحة الإعراب"، فإنه يعتمد على منظومات ابن مالك الأندلسي (الألفية، الشافية، الكافية)، ويعوّل على آراء المتقدمين من النحاة أمثال سيبويه، الزجاج، الحريري من البصريين، والكسائي، الفراء من الكوفيين، كما تراه يعوّل على آراء نحاة من إقليم توات وعلى رأسهم الشيخ ابن أب (ت: 1160هـ)، والشيخ محمد بن بادي.

إن هذا التنوع في المصادر المعوّل عليها في الشروح لدليل على موسوعية الرجل من جهة، وعلى تتبع الصواب من الآراء النحوية من جهة أخرى، فكما رأينا فالشيخ بَايْ يأخذ من كل المدارس النحوية البصرة والكوفة ومدرسة الأندلس.

(ح) التعليل عند الشيخ بَايْ:

إن التعليل هو وسيلة تعليمية يتخذها المعلم لإقناع المتعلم بقضية ما، حيث نرى أن التعليل قد رافق العملية التعلمية والتعليمية مذ خلق الله الإنسان على وجه هذه البسيطة، ومن هنا فإن التعليل كان ملازما للدرس النحوي خاصة واللغوي عموما.

وما دام الأمر كذلك فإن كل معلم يحتاج إلى تعليل موقفه والرأي الذي يذهب إليه، فكيف كان يعلل الشيخ بَايْ تلك القضايا النحوية التي جاء بها في شروحه؟

لم يكن الشيخ بَايْ ميالا نحو بسط المسائل النحوية المعقّدة التي تحتاج من المتعلم جهدا ذهنيا كبيرا، إنما كانت عنايته منصبّة نحو المسائل التعليمية البسيطة؛ لذلك لم نجد عنده ميلا كبيرا لحشد أدوات التعليل للإقناع وتأكيد الرأي، فهو يستعمل التعليل عَرَضًا أثناء حديثه

عن قضية نحوية؛ كأن يستخدم "لام التعليل" أو "لأن" أو "لكي"، وهذه الأدوات هي ما قصدنا إليه في بداية حديثنا عن التعليل عند الشيخ، ومن المواقف النحوية التي احتاج فيها إلى تعليل بما ذكرنا:

تعليله لامتناع الجزم عن الأسماء يقول: "منع وجوده [الجزم] في الأسماء؛ لأن الأسماء خفيفة والجزم خفيف، والتخفيف حاصل في الأسماء وتحصيل الحاصل لا ينبغي"[1]، فالملاحظ هنا أن الشيخ أعطى كلاما فضفاضا قد لا يستطيع طالب العلم المبتدئ فهمه ولهذا فهو يزيد التوضيح بسوق الآراء، فيتابع قوله: "وقال بعضهم: انفرد الاسم بالخفض لكون عامله لا يفيد معنى إلا فيه، ويفهم من هذا انفراد الفعل بالجزم لأن عامل الجزم أيضا لا يفيد معنى إلا فيه، وعليه فإن الفعل له الرفع والنصب والجزم ولا خفض فيه"[2]، كما أن الشيخ قد لا يكتفي بهذا فيسوق لك آراء النحاة في القضية، ففي هذه القضية دعّم رأيه بقول ابن مالك وقول الزجاج في كتاب الجمل[3].

ومنه كذلك عند توضيح تسمية "لام الجحود" بهذا الاسم؛ فهو لا يذهب بعيدا، إذ يقول: "وتسميته بلام الجحود اصطلاحا والمراد بالجحود مطلق الإنكار وهو من إطلاق الخاص على العام لا الجحود الذي هو إنكار الحق..."[4]، إلا أن ابن الشجري يقول عنها: " لام الجحد وأصلها لام الإضافة، والفعل بعدها نصبٌ بإضمار (أنْ)، ولا تظهر بعدها (أنْ)"[5]، فكلام الشيخ محمد بَايْ أوضح بالنسبة للمتعلم المبتدئ في علم النحو.

1 ـ كفاية المنهوم...، ص: 25.
2 ـ كفاية المنهوم...، ص: 25 ـ 26.
3 ـ ينظر: كفاية المنهوم...، ص: 26.
4 ـ الرحيق المختوم...، ص: 50.
5 ـ أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة الحسني العلوي، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج م ع، ط: 01، 1413هـ ـ 1992م، 149/2 ـ 150.

(خ) الزيادات والإضافات:

إن الشرّاح كان من عادتهم الزيادة والإضافة في الكتب المشروحة، والسبب في ذلك قد يرجع إلى عدة أسباب منها، صرامة نظام النظم وعدم شعور الناظم فيه بالحرية المطلقة، حيث لا يمكنه قول كل ما يريد، وهذا ما لاحظناه عند الشيخ حيث دائما تجده يبدأ إضافاته وزياداته بقوله: "تنبيه"، وهي متكررة في كتبه وذلك عندما يريد إضافة وزيادة معلومة أغفلها الناظم أو تعمّد عدم ذكرها.

فمن أمثلة ذلك حديثه عن الترخيم عندما أهمل الحريري الحديث عن ترخيم الاسم المركب فيقول الشيخ: " وقد تقدم لنا أن المركب تركيب إسناد لا يرخم، وأما المركب تركيب مزج فإنه يرخم، وترخيمه يكون بحذف عجزه..فتقول في (معد يكرب): يا معد."[1]، هكذا دون تقديم شروح موسعة وإضافات كافية.

وأحيانا أخرى تجده يقدم معلومة قد لا تفيد المتعلم كثيرا كما هو الشأن عند إضافة معلومة بسيطة عن التصغير، حيث قال: "وأول من تكلم عن التصغير هو الخليل بن أحمد رحمه الله"[2].

ومنه أيضا عند حديثه عن حذف النون من الأفعال الخمسة دون دخول الجوازم عليها، فقال: "قد تحذف النون من هذه الأفعال من غير دخول جازم عليها نحو: (كما تكونوا يولى عليكم)، ومنه قول الشاعر أيضا:

أَبِيـــتُ أَسْــرِي وَتَبِيتِـــي تَـــدْلِكِي   رَأْسَـــكِ بِـــالعَنْبِرِ وَالمِسْـــكِ الـــذَّكِي

فحذفت النون من (تبيتي) و(تدلكي) من غير دخول جازم على الفعل المضارع، ومنه الحديث: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)، أي (لا تدخلون) و(لا

---

1 ـ منحة الأتراب...، ص: 104.
2 ـ منة الأتراب...، ص: 107.

تؤمنون)"[1]، وقد تحدث الصبان في حاشيته على شرح الأشموني، والبغدادي في خزانة الأدب حول هذه المسألة وأفاض فيها[2]، وعدّ ابن عصفور حذف النون في الشعر من باب الضرورة الشعرية[3]

وأضاف الشيخ بَايْ كذلك إلى حذفها إثباتها مع وجود الجازم، فقال: "وقد جاء إثباتها مع الجازم، في قول الشاعر:[البسيط]

لَـــوْلَا فَـــوَارِسُ مِـــنْ دُهْـــلٍ وَأُسْـــرَتُهمْ يَـــوْمَ الصُّـــلَيْفَاءُ لَـــمْ يُوفُـــونَ بِالجَـــارِ

وقيل أن (لم) زائدة هنا والله أعلم"[4]

(د)ملاحظات عامة على الشروح:

ما يلاحظ بصفة عامة على شروح الشيخ بَايْ بلعالم هو:

عدم وضع علامات الترقيم فأنت تقرأ لا تلاحظها إلا في الحالات النادرة فقط باستثناء شرحه "منحة الأتراب".

أخطاء مطبعية كثيرة تعيق القارئ كثيرا.

---

[1] ــ الرحيق المختوم...، ص: 44، روي البيت وجهك بالعنبر والمسك الذكي.

[2] ــ ينظر: أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، السهيلي، تح: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج م ع، د ط، 2002م، ص: 83 ــ 86، وخزانة الأدب، 425/8 ــ 426.

[3] ــ ينظر: ضرائر الشعر، ابن عصفور، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، 1980م، 109 ــ 110.

[4] ــ الرحيق المختوم...، ص: 44. وهذا القول هو من الأقوال الشاذة، أي إثبات نون المضارع مع أداة الجزم.(ينظر: حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د ط، د ت، 8/4 ــ 9.

خلاصة:

استطاع علماء توات أن يملؤوا الفراغ الذي أوجدته الظروف الطبيعية من حيث بعد المسافة بين الإقليم والمراكز العلمية المتطورة آنذاك، بحيث قاموا بشرح متون علمية نحوية أشبعت نهم بعض المتعلمين، ومن تطلعت نفوسهم إلى المزيد من العلم والمعرفة اتخذوا من القول: "الحكمة ضالة المؤمن" فبحثوا عن ضالتهم في مختلف الحواضر الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وحتى جنوبا.

إن الشروح التي تركها علماء توات لدليل قاطع على إسهامهم في بناء الصرح الحضاري العلمي النحوي العربي.

البـــاب الثـــانـي:

الدرس الصرفي

بإقليم توات

توطئة

علم الصرف في العربية

علم الصرف أحد علوم اللغة العربية، ويهتم بدراسة الكلمات من حيث بنيتُها وصيغتُها لا برتبتها في الجملة والكلام، وقد كانت مسائله متداخلةً مدمجةً في النحو واللغة والأدب تحت اسم (علم العربية)، لكنه ما أنِ انشق عن علم العربية، عاش في كنف النحو وأطلق عليهما معا(علم النحو)، وقد ظهر ذلك جلياً في كتب القدامى ككتاب سيبويه، ومقتضب المبرد... وقيل بأنهما "علم تعرف به أحوال الكلم العربية إفراداً وتركيباً"[1]، وقيل:"النحو علم بأقيسة تغيير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب"[2].

وفي مرحلة أخرى أصبح الشق الأول من التعريفين يعني علم الصرف، والآخر حدا لعلم النحو، ولا شك في أن وجود النحو والصرف معاً في كتاب سيبويه يدل على أنهما كما يقول الشيخ عبد الحميد عنتر: "صنوان نبتا في أصل واحد وأطلق عليهما اسم واحد وجمعهما التأليف في كتاب واحد"[3].

مراحل نشأة علم الصرف:

علم الصرف لم يولد على ما هو عليه من استقلالية، ولم يصل إلى هذه الدرجة من النضج حتى مر بمراحل عديدة، يمكن تلخيصها في أربع مراحل كبرى هي:

---

1 ـ غاية الإحسان في علم اللسان، أبو حيان الأندلسي، مخطوط، دار الكتب المصرية، الورقة:1/ب.(عن الموقع الإلكتروني: www.darelkotob.org.eg)

2 ـ الاقتراح في علم أصول النحو، ص: 22. والحد للخضراوي الأندلسي.

3 ـ كتاب تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، عبد الحميد عنتر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، م ع س، ط: 02، 1409هـ ـ 1999م، ص: 15.

1 ـ المرحلة الأولى:

وهي مرحلة الاندماج والتداخل حيث كان علم الصرف مندمجا في جملة من علوم اللغة العربية والأدب، يقول أحمد أمين: "وفي الواقع جاء علماء النحو وكانوا أيضا علماء لغة وأدب، لأن هذه الفروع لم تنفصل وتحدد ويتميز كل عالم بعلم منها إلا بعد العصر الأول"[(1)] إن كتاب سيبويه ضم كل مباحث (علم العربية)؛ سواء في ذلك الدراسات النحوية بمباحثها المتعددة أو الدراسات التصريفية بمفهوميها: المفهوم الضيق الأول لدى الأقدمين، أو المفهوم الواسع لدى من تبعهم عندما استقلوا بهذا العلم وتوسعوا في موضوعاته وانتهت بهم إلى ما هي عليه اليوم تحت اسم علم الصرف وكذا علم الأصوات... [(2)].

2 ـ المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي انشق فيها علم الصرف عن بقية علوم العربية إلا أنه ظل مرتبطا بعلم النحو، وجاء تعريف النحو عندهم كالآتي: "علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين: أحدهما: تغييرٌ يلحق أواخر الكلم، والآخر: تغييرٌ يلحق ذوات الكلم وأنفسها"[(3)]؛ فما لحق أواخر الكلمة يتعلق بالنحو وحركاته الإعرابية، وما تعلق بذوات الكلم فهو التصريف.

3 ـ المرحلة الثالثة:

هذه المرحلة مَهّدت لظهور هذا العلم، واستقلاله بالتأليف عن النحو، مع أنه لا يبدو أن الصرف أصبح قسيمًا للنحو في هذه المرحلة؛ فقد فرق ابن جنيّ بين علمي النحو والتصريف تفريقا جليا؛ حيث قال في مقدمة شرحه للمنصف: "فالتصريف إنما لمعرفة أنفس الكلم،

---

[1] ـ ضحى الإسلام، 277/2.

[2] ـ ينظر: مقدمة المحقق: العمد كتاب في التصريف، عبد القاهر الجرجاني، تح: البدراوي زهران، دار الآفاق العربية، القاهرة، ج م ع، ط: 01، 1429هـ ـ 2008م، ص: 16.

[3] ـ كتاب التكملة، الفارسي، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 02، 141هـ ـ 1999م، ص: 181 ـ182.

والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة"[1]، ويوضح أكثر مميزا التصريف: "التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتّى؛ مثال ذلك: أن تأتي إلى (ضَرَبَ) فتبني منه مثل (جعفرٍ) فتقول: (ضَرْبَب)، ومثل (قِمَطْرٍ): (ضِرَب)، ومثل (دِرْهَم): (ضِرْبَبٌ)..."[2]، وما يميز هذه المرحلة عن سابقتيها هو محاولة الاستقلال والانفصال عن النحو والانفراد بمؤلفات خاصة به.

4 ـ المرحلة الرابعة:

في هذه المرحلة اكتمل نضج علم التصريف ليكون علمًا مستقلاً، وأصبح قسيمًا للنحو لا قسمًا منه؛ ولعلّ الجرجانيّ أول من ألف كتابًا وصل إلينا باسم "الصرف"، إذ يقول: "اعلم أن التصريف تفعيلٌ من الصرف، وهو أن تُصرِّف الكلمة المفردة فتولّد منها ألفاظا مختلفة، ومعانٍ متفاوتة"[3]، وما يميز هذه المرحلة عن المراحل السابقة هو اتساع مسائل الصرف حيث دخل فيها ما كان خارجًا عنها في المرحلتين السابقتين من مباحث تغيير البنية نحو: الإبدال، والحذف، والزيادة، ومعرفة الأبنية، والتصغير، والجمع، والنسب، والإدغام، وغيرها.

ميادين وموضوعات علم الصرف وقضاياه:

جمعت مسائل وقضايا علم الصرف في بيتين:

يَـا سَـائِلًا عَـنْ مَـا حَـوَى التَّصْـرِيف   سِـتٌّ مَسَـائِل لَهَـا تَعْرِيـف

حَـذْفٌ زِيَـادَةٌ وَإِبْـدَالٌ كَـذَا   قَلْـبٌ وَنَـقْلٌ وَإِدْغَـامٌ أُخِـذَا[4]

---

[1] ـ المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني، ابن جني، تح: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، إدارة الثقافة العامة، ط: 01، 1373هـ ـ 1954م، 4/1.

[2] ـ المنصف، ابن جني، 3/1 ـ 4.

[3] ـ كتاب المفتاح في الصرف، الجرجاني، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 01، 1407هـ ـ 1987م، ص: 26.

[4] ـ منظومة هدية المجيب، عبد الكريم بن أحمد النحوي، مخطوط، خزانة تيدماين، ادرار.

- **فائدة علم الصرف:**

✓ صون اللسان والقلم عن الخطأ في صوغ المفردات وفي النطق بها طبقاً لما نطقت به العرب.
✓ معرفة قواعد هذا العلم الكلية وضوابطه الجامعة التي تؤلف بين أشتات اللغة، وتلم شعثها وتقرّب الشقة على الدارس وتغنيه بعض الغنى عن البحث في المعاجم.
✓ الاستعانة بهذا العلم على تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لاختلاف المعاني كالتصغير، والنسب، والتكسير، واسمي الفاعل والمفعول، والتثنية، والجمع، وإسناد الأفعال إلى الضمائر.
✓ التوسع في الأساليب العربية كاستعمال (يُحبب ويحبّ) و(يَردُد ويَرُدّ) خاصة في الشعر لمناسبة الأوزان المختلفة.

- **طريقة عرض موضوعات علم الصرف:**

لمّا كان علم الصرف مرتبطا بعلم النحو فقد أخذ علماء تلك المراحل عدة طرائق لعرض المادة العلمية لعلم الصرف في كتبهم، حاولت أن أرتبها على النحو الآتي:

(أ) طريقة الفصل بين علم الصرف وعلم النحو، وقد انتهج هذه الطريقة ابن السراج؛ حيث كان رائدا في ترتيب المادة الصرفية، في كتابه "الأصول في النحو" ليصل بعرض المادة الصرفية إلى عرض وترتيب بديعين.

(ب) طريقة يتم فيها عرض المادة الصرفية بالنظر إلى أحوال الأبنية.

(ت) طريقة تعرض فيها مقدمات تُذكر فيها أصول ومبادئ علم التصريف، ثم تُرتب الأبواب بحسب ظواهر التغيير الطارئ عليها وأنواعه.

ولمّا استقل علم الصرف عن علم النحو انتهج العلماء طرائق أخرى في ترتيب وعرض المادة العلمية لهذا العلم، وتلخصت في الآتي:

(أ) عرض أصول التصريف ومبادئه، وما يتعلق بجعل الكلمة على صيغ مختلفة من غير أن تدلّ على معنًى جديد.

(ب) عرض أصول التصريف، والمباحث المتعلقة بجعل الكلمة على صيغ مختلفة من غير أن تدل على معنًى جديد، وكذا ما تدل على ضروبٍ من المعاني.

فما هي مكانة علم الصرف عند علماء توات؟ وهل استطاعوا أن يألفوا فيه وأن يهتموا به في كتب مستقلة؟ وما هو نمط التأليف الذي ألفوا وفقه مؤلفاتهم الصرفية؟

الفصل الأول

جهود علماء توات في الصرف

تمهيد:

إن علم الصرف كما عرفنا كان جزء من علم النحو حيث نما وترعرع معا في بوتقة واحدة، ولم يستقل أحدهما عن الآخر ويعلن انشقاقه عنه إلا في مراحل متأخرة، وفي إقليم توات كان الأمر كذلك حيث درس علماء الإقليم هذا العلم في معزل عن علم النحو، وهكذا كان لنا ذلك التراث الصرفي إلا أنه لم يكن بنفس الكثافة التي وجدنا عليها علم النحو، وقد تمثلت جهود علما توات في هذا العلم في نظم منظومات وكذا شرح بعض المتون من منظومات وغيرها، كما كانت لهم بعض الإبداعات في هذا المضمار.

أولا: اهتمام علماء توات بعلم الصرف:

إن المتصفح للتراث اللغوي بصفة عامة بتوات فإنه سيصاب بالذهول لأول وهلة وذلك نظرا لما سوف يتعرف عليه من فنون في هذا الجانب العلمي والمعرفي؛ فقد خلف لنا التواتيون تراثا علميا لغويا وفقهيا ثريا أسهموا به في حفظ التراث اللغوي العربي والفقهي بحظ وافر مما جعلهم يتبوؤن مكانة محترمة في تلك العلوم، وبشكل خاص ما بعد القرن الحادي عشر الهجري حيث تفتقت العبقريات التواتية ونشطت معها الحركة الفكرية والثقافية، فازدهرت معها حركة النسخ والتأليف، وبرز مع كل ذلك علماء وأئمة في مختلف العلوم(1)، ومن العلوم التي ازدهرت ونمت في هذا الجو العلمي والمعرفي علم الصرف الذي وإن لم يكن له ذلك الحضور المميز والموازي لعلوم أخرى لغوية كعلم النحو، إلا أنه حضر وأخذ هو الآخر بدوره في الحركة اللغوية؛ فظهرت لنا منظومات محترمة في هذا وشروح على متون صرفية سوف نتناولها في السطور القادمة إن شاء الله تعالى.

1 ـ ينظر: محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص: 32، ونوازل الزجلوي، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، ص: 69.

1 ـ مظاهر اهتمام علماء توات بعلم الصرف:

إن المتتبع لحركة علم الصرف في توات من خلال الحلقات العلمية(فقهية أم لغوية) سيجد حضورها محتشما بمقارنة علم النحو أو غيره كما أشرنا إلى ذلك آنفا، وقد تتجلى لنا مظاهر ذلك الحضور (المحتشم) في الآتي:

- حضور الدرس الصرفي في حلقات الدروس بالمساجد والمدارس والزوايا.
- اشتغال شيوخ الزوايا بعلم الصرف.
- حضور المؤلفات الصرفية في خزائن توات.
- النظم والتأليف في الصرف من قبل علماء توات.
- شرح علماء توات لبعض متون علم الصرف.

إن علماء توات اهتموا بعلم الصرف انطلاقا من إيمانهم بدوره في تيسير وتسهيل فهم القرآن والسنة وهو الأمر ذاته الذي وجدناه في اهتمامهم بعلم النحو وغيره، فكثيرا ما نجد الشيخ وهو يفسر قولا يتعرض إلى جميع جوانبه نحوا وصرفا وصوتا وهذا الشيخ محمد الزجلوي وهو يبدأ في شرح متن ابن عاشر يقول: " يقول: فعل مضارع، وأصله يقْوُل نقلت ضمة عينه إلى فاعله"[1]، هذا مما يدل على حضور الدرس الصرفي في كل المجالس التي كانت تعقد فيها حلقات الدروس.

ثانيا: منظومات في علم الصرف بتوات:

إن النظم في العلوم اللغوية بصفة خاصة بدأ منذ عصور بعيدة قد ترجع إلى القرن الأول الهجري وما بعده، وقد لجأ العلماء إلى هذا اللون من الطرق التعليمية قصد تيسير

[1] ـ تسهيل الإرشاد، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة الحاج سالم سالم بعباني ادرار، 2/1.

المادة اللغوية وحفظها على الناشئة؛ فظهرت بذلك منظومات في علم النحو، وفي علم الصرف، وفي علم القراءات وغيرها.

وتوات بعلمائها كان لهم من الحظ القسط الوافر في حفظ تراثنا اللغوي عموما والصرفي خصوصا بإسهامات وإن كانت قليلة بالنظر إلى عديله النحو، وعلى مر العصور فقد كتب علماء توات بعض المنظومات الصرفية على غرار المنظومات النحوية، إلا أن الملاحظ على علماء توات أنهم لم يدخلوا علم الصرف في علم النحو في منظوماتهم، وربما يرجع ذلك إلى إدراكهم لضرورة الفصل بينهما، وعموما سوف أعرض بعض المنظومات التي أسهم بها علماء توات في التراث اللغوي الصرفي حسب تواريخ وفيات ناظميها:

1 ـ محمد بن أب المزمري (1160هـ):

إن محمد بن أب[1] يعدّ بحق عبقري توات ويحق لي أن أسميه بـ"خليل توات"؛ لما قدمه من إسهامات جليلة في علوم اللغة (نحو، صرف، عروض) وفقه، ويكاد يكون الوحيد الذي خاض في علم العروض بتوات حتى أبدع فيه، ولا نذهب بعيدا فإن للرجل إسهامات في علم الصرف أذكر منها:

[1] ـ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمري ولد سنة 1094هـ بقصر أولاد الحاج بأولف، من أبرز رواد الحركة اللغوية والأدبية بإقليم توات، وهو نحوي ولغوي وعروضي وشاعر، له العديد من المنظومات العلمية، والمؤلفات، والشروح في النحو والعروض والفقه وغيرها، عُرِف بكثرة التنقل والترحال، توفي سنة 1160هـ. (ينظر: جوهرة المعاني، ص: 30، ومحمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص: 59، والذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية، دراسة وتحقيق: أمحمد مزايني، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، سنة 2007م ـ 2008م، ص: 12 ـ 17، ومحمد بن أب الجزائري التواتي وجهوده في النحو، عماري عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010م، ص: 18 ـ 53.)

- **روضة النَّسْرِين في مسائل التمرين:**

وهي منظومة عرض فيها مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب[1]، حيث اسْتهلها بقوله:[رجز]

الحمـــــــدُ لله الخَبِيـــــرِ الــــــمُلْهِمِ   مَـــــنْ شَـــــاءَ للتَّعْــــلِيمِ والـــــتَّعلُمِ

ثـــــمّ علـــــى نبيِّيـــــهِ أُصَلِّـــــي   والآلِ والأصْـــحابِ أهْــــلِ الفضْــــلِ

وبعْـــــد فـــــاعْلَمْ أنّ هَــــذَا نَظْـــمُ   يَــــرُوقُ كُـــلُّ مَــــنْ لَــــدَيهِ فَهْــــمُ

سَــــــميتُهُ بِــــــرَوضَةِ النَّسْـــــرِينِ   لِجَـــــمْعِهِ مَسَائـــــلَ التمـــــرِينِ

مِمَّـــا حَـــوَتْ شـــافِيةُ ابْـــنِ الحاجِـــبْ   العَـــــالِمِ الــــنَّحريرِ ذي المـــــواهِبْ

وختمها بقوله:

وأدِمِ الصّـــــــــلاَةَ والتسْلِيــــــــما   علــــى النّبـــي الحـــائِزِ الـــتَّعْظِيما

مُحمّـــــــدٍ وآلِــــــهِ وصَحْبِــــــهِ   وكُــــــلِّ بَـــــرٍ قَانِـــــتٍ لِربــــــهِ

ونــــوِّرَنْ قَلْبـــــي بِنُـــــورِ العِلْـــــمِ   وارْزُقْنِـــيَ الفَــوزَ بِحُسْـــنِ الخَـــتْمِ[2]

- **أرجوزة في شافية ابن الحاجب:**

وهي أرجوزة وضعها على شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط، وأبطأ عن تجريدها ثم بدا له، فمزّقها بعد أن جرّد منها نحو كُراسين[1].

---

[1] ـ هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي ، الدوين الأصل الإسناني المولد بسنة 570 هـ، أخذ اسم ابن الحاجب لأن أباه كان جندياً كردياً حاجباً للأمير عز الدين الصلاحي، كان فقيها نحوياً لغوياً ، ومن مؤلفاتة الشافية وشرحها ، والكافية وشرحها ، توفي عام (646هـ بالأسكندرية ، (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2/ 134 – 135.).

[2] ـ روضة النسرين في مسائل التمرين، محمد بن أب المزمري، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار ، وهو مطبوع كاملاً داخل كتاب محمد بن أبّ المزمري ، ص171 وما بعدها .

- **منظومة في الأفعال المتعدية واللازمة من الرباعي:**

وله منظومة أخرى في نظم أمثلة من الأفعال المتعدية واللازمة من الرباعي المجرد، تتألف من اثني عشر بيتا فقط، يقول فيها: [الرجز]

أَمْثِلَةٌ مِنْ فَعْلَلَ المُتَعَدِّي   عَشَرَةٌ غُرٌّ تُعَدُّ عَدًّا
قَرْطَبَهُ بِالطَّاءِ أَيْ صَرَعَهُ   قَرْضَبَهُ بِالضَّادِ أَيْ قَطَعَهُ
زَبْرَجَهُ حَسَّنَهُ وَفَلْطَحَهُ   وَسَّعَهُ وَمِثْلُ ذَاكَ فَرْطَحَهُ
وَشَرْجَعَ الشَّيْءَ إِذَا طَوَّلَهُ   وَغَرْبَلَ الدَّقِيقَ أَيْ نَخَلَهُ
وَقَرْمَطَ الخَطَّ إِذَا أَدَقَّهُ   وَنَحْثَلَ الشَّيْءَ إِذَا فَرَّقَهُ
وَذَغْفَقَ المَاءَ إِذَا مَا صَبَّهُ   صَبًّا كَثِيرًا مِنْ يَرُومُ شُرْبَهُ
وَهَذِهِ عَشَرَةٌ لِغَيْرِ مَا   عُدِيَ بَرْشَمَ بِمَعْنَى وَجَمَا
لَعْثَمَ فِي كَلامِهِ تَأَنَّى   جَضْرَمَ أَيْ لَحَنَ فِيهِ لَحْنَا
حَشْرَجَ عِنْدَ مَوْتِهِ أَيْ غَرْغَرَا   خَذْرَقَ أَيْ أَسْرَعَ عِنْدَمَا جَرَى
هَيْتَمَ أَخْفَى صَوْتَهُ وَهَيْمَنَا   عَلَى دُعَائِهِ بِمَعْنَى أَمَّنَا
هَذْرَمَ أَيْ أَسْرَعَ فِي التَّكَلُّمِ   بَهْذَلَ خَفَّ فِي المَسِيرِ فَاعْلَمِ
عَرْبَدَ أَيْ أَسَاءَ خُلُقَهُ عَلَى   نَدِيمِهِ وَيَيَسَ مَا قَدْ فَعَلا[2]

---

[1] ـ ينظر: تراجم شيوخ عبد الرحمن بن عمر، دراسة وتحقيق: باعثمان عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة بشار، سنة 2009م، ص: 41، ومحاضرة حول التعريف بحياة المزمري، الشيخ محمد باي بلعالم، ص06، نسخة من المحاضرة تحت يدي، ومحمد بن أب المزمري، ص: 91.

[2] ـ المنظومة مخطوطة من ورقة واحدة، بخزانة ابن الوليد بباعبد الله أدرار، وعندي نسخة منها.

وهذه المنظومة هي الأخرى تدخل ضمن المنظومات التي يعدها الشيوخ لطلابهم حتى تكون لهم زادا وعونا على استحضار النماذج والأمثلة عند الحاجة، وقد تستعمل للتسلية والتعجيز في أوقات الفراغ.

2 ــ عبد الكريم بن أحمد النحوي[1]:

عاش الشيخ عبد الكريم بن أحمد في الفترة الاستعمارية، قال عنه الشيخ مولاي أحمد الإدريسي أنه صاحب منظومات كثيرة في الفقه والتوحيد[2] لم يقتصر نشاطه على الفقه والتوحيد وإنما كانت له منظومات أخرى في النحو والعروض والقوافي، ومن منظوماته في علم الصرف التي سماها "هدية المجيب" وهذه المنظومة تتكون من مئة وستة وستين بيتا (166) والتي نظمها سنة 1324هـ، وهي تتكون من ثمانية عشر فصلا (18)، جاء في مطلعها: [الرجز]

يَــا سَــائِلًا عَــنْ مَــا حَـوَى التَّصْـرِيفُ   سِــــتٌّ مَسَائِــــلَ لَهَــــا تَعْرِيــــفُ

حَـــــذْفٌ زِيَـــــادَةٌ وَإِبْــــدَالٌ كَـــــذَا   قَلْـــبٌ وَنَقْـــلٌ وَإِدْغَـــامٌ أُخِـــذَا

تَقُـــولُ فِـــي رَدَّ وَقَـــالَ فَعَـــلا   وَفِـــي مَـــرَدَّ وَمَقَـــالَ مَفْعَـــلا

وَالمِـــيمُ خُـــصَّ بِالأَسَـــامِي فَاعْلَمَـــا   فَعْلَـــلَ فِـــي مَـــدْيَنَ ثُـــمَّ مَـــرْيَمَ

فِـــي آصُـــعْ أعْفُـــل، قَـــاضٍ فَـــاعٍ   فِـــي عِـــدَّةٍ عِلَـــةِ، نَـــآءٍ فَلَـــعِ

---

[1] ــ هو عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي علي الأبلالي أصلا بن عبد الله بن أبي القاسم، أصل عائلته من اليمن وأول أجداده الذي حل بتوات وجاء من اليمن هو الحاج بلقاسم، نشأ عبد الكريم في كنف والده حيث كان معه أينما حل وارتحل مما سمح له بالنبوغ في العلم والدراسة، فأخذ عنه القرآن الكريم والفقه، ثم انتقل إلى قصر انزجمير ليواصل دراسته فأخذ النحو والصرف وعلمي الكلام والميراث عن الشيخ عبد الرحمن بن العالم الأنزجميري، ليعود إلى أظوى مدرسا، ثم بعدها إلى تيدماين من قصور زاوية كنتة في آخر عمره، وكان عبد الكريم يلقب بالنحوي حيث كان مرجعا في المسائل النحوية والصرفية، ومن المرجح أنه توفي ما بين سنتي 1918م، و1920م، بعد مرض عضال. (ينظر: ترجمته "سيدي عبد الكريم بن أحمد التواتي (النحوي) وجهوده اللغوية في الحقبة الاستعمارية"، مداخلة في الملتقى الوطني الخامس إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ادرار يومي: 06 ــ 07 مارس 2012م)

[2] ــ ينظر: نسيم النفحات، ص: 90.

وَزْنُ نَيَــــــائِفَ فَيَاعِـــــــلَ وَفِـــــــي نَحْــــوِ أَوَائِـــــلَ فَعَاعِـــــلَ قُفِـــــي
وَفِــــــي زَوَايَــــــا وَزْنُـــــــهُ فَوَاعِـــــلَ هَــــذَا وَجَــــاءَ وَزْنُـــــهُ فَعَاعِـــــلَ[1]

إن منظومة هدية المجيب احتوت ثمانية عشر فصلا، ولم تكن كل تلك الفصول في علم الصرف وحده بل ضمت كذلك بعض الفصول من علم النحو، ومع أننا لم نجد المنظومة بأكملها فسوف أذكر الفصول التي وجدتها في المخطوطة وهي:

(أ) مسائل من التصريف

(ب) فصل في صيغ اسم الفاعل

(ت) فصل في الأمور التي يكتسبها الاسم بالإضافة

(ث) فصل في تقارض الألفاظ

(ج) فصل على ما تطلق همزة الاستفهام

3 ـ محمد بن بادي(1388هـ):

لقد تحدث الأستاذ حاج أحمد الصديق المترجم الوحيد للشيخ محمد بن بادي أن له مؤلفات عديدة منها منظومة تتضمن العديد من الفنون والعلوم سماها "زينة الفتيان" وهي تتكون من ألف بيت، جاء مقدمتها في هذه الأبيات:

الحَمْــــــــدُ لله الَّـــــــــذِي عَلَّمَنَــــــــا عُلُـــــومَ مَـــــا لِدِيْنِنَـــــا بِـــــهِ بِنَــــا
ثُــــمَّ صَـــلَاتُهُ عَلَـــى مُبْـــدِي العُلُـــومَ أَحْمَـــــــدَ وَالآلِ وَصَحْبِـــــهِ النُّجُـــــومَ
وَبَعْـــدُ قَـــالَ الرَاجِـــي نَيْـــلَ اللِّقَـــا مُحَمَّـــــدُ بـــــنُ بَـــادِ بـــــنُ بَــــا

1 ـ هدية المجيب، عبد الكريم بن أحمد، مخطوطة بخزانة تيدماين.

رَحِمَهُـــــم وَمَـــــنْ هَـــــدَى وَالوَالِـــــدِينْ   وَالأَصْـــــل وَالفَـــــرْع الرَّحِيــــم آمِــــين

عَنَيْـــــتُ أَنْ أَنْظِــــمَ فِــــي خُيُــــوطِي   نِقَايَـــــــةِ العُلُـــــــومِ لِلْشُّيُوخِــــــــي

تَوْحِيـــــدُ تَفْسِــــيرٌ حَـــــدِيثٌ فَأُصُـــولْ   فَـــــرَائِضٌ نَحْـــوٌ وَتَصْـــرِيفُ المَفْعُـــولْ

خَـــــطٌّ مَعَــــانٍ فَالبَيَــــانُ فَالبَدِيـــــعْ   تَشْرِيــــحُ كُـــــتُبِ التَّصَـــوُّفِ الرَّفِيـــعْ

وَزِدْتُ سِــــــيَرَةً وَتَنْجِيمًــــــا حِسَــــــابْ   وَذِكْــــرَ مَـــا مِـــنَ العُلُـــومِ قَـــدْ تُعَـــابْ

وَزِدْتُ الأَصْـــــلِ فِـــــي نِظَـــامٍ دَوْنَ يـــطْ   لِلاسْتِعَانَــــــةِ وَمَـــــا تُرْجِــــــمَ قَـــــطْ

عُــــــدَّةَ أَلْــــــفٍ لا إِخَــــالُ أَلْفًـــــا   تَحْـــوِي الَّـــذِي حَوَتْـــهُ مِـــنْ ذَا تُلْفَـــى[1]

هذا عن مقدمة المنظومة، وقد بين فيها الناظم العلوم التي ضمنها إياها وهي: التوحيد، والتفسير، والحديث، وأصول علم الفرائض، والنحو، والتصريف، والخط، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، والتصوف، والسيرة النبوية، وعلم التنجيم، وعلم الحساب.

وما يهمنا في هذه المنظومة الطويلة هو جزء التصريف الذي اشتمل سبعا وخمسين بيتا، جاء في بدايتها تحت عنوان "باب في فن التصريف":

العِلْـــمُ بِالتَّصْـــرِيفِ عِلْـــمٌ عَـــنْ   أَبْنِيَـــــةِ الكَلِـــــمِ يَبْحَـــــثُ وَعَـــــنْ

صِـــحَتِهَا إِعْلَالِـــهَا الاسْـــمُ فِعْـــلْ   مُرَبَـــــعُ العَيْـــــنِ مُثَلَّـــــثُ الفَاحِـــــلْ

وَجَعْفَـــرٌ سَـــفَرْ جَـــلٌ غَيْـــرُ المَزِيـــدْ   مِـــنَ السُّدَاسِـــي وَالسُّـــبَاعِي لَا يَزِيـــدْ[2]

[1] ـ زينة الفتيان المسماة بألفية الفنون، محمد بن بادي، مخطوط بخزانة الشيخ الركب سيدي بونعامة، أقبلي، أولف أدرار، ص: 1 ـ 5. عندي نسخة منها.

[2] ـ ينظر: زينة الفتيان المسماة بألفية الفنون، ص:225 ـ 325.

4 ـ الحاج عبد الرحمن حفصي[1]:

مازال عطاء الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي متواصلا في شتى علوم الدين واللغة، ومن تلك العطاءات منظومات في علم الصرف وهي ثلاث منظومات هي:

- **أبيات في أفعال ثلاثية:**

يقول في مطلع المنظومة:

فَهَـــــــاكَ أَفْعَـــــــالًا ثُلَاثِيَّـــــــاتْ مُعْتَّلَـــــــــــــــــةً وَمُتَتَالِيَّـــــــــــــــاتْ

فَتَـــــــارَةً إِنْ شِـــــــئْتَهَا فَوَاوِيـــــــهْ وَتَـــــــارَةً إِنْ شِـــــــئْتَ تَـــــــأْتِي يَائِيـــــــهْ

مِثْـــــلُ: طَهَـــوْتُ اللَّحْـــمَ أَوْ طَهَيْتُـــهُ وَقَـــــدْ قَلَـــوْتُ الكُفْـــرَ أَوْ قَلَيْتُـــــهُ

كَـــذَا غَـــزَا، كَنَـــى، طَغَـــى، رَثَـــا، خَـــلَا جَثَـــا، أَثَـــا، شَـــأَ، صَـــفَا، سَـــحَا، حَـــلَا

ويختمها بقوله:

ثُـــــمَّ عَـــــرَا وَبِهَـــــا تَـــــمَّ العَـــــدَدْ وَإِنْ يُبْحَـــــثْ غَيْـــــرَ هَـــــذِي تَجِـــــدْ[2]

- **منظومة العلي القادر في نظم الأسماء المشتقة والمصادر:**

يقول في مطلع المنظومة:

الحَمْـــــــــــدُ للهِ وَصَـــــــــــلَّى اللهُ عَلَـــــــى رَسُـــــولِهِ وَمَـــــنْ تَـــــلَاهُ

إِلَهَنَـــــا صَـــــلِّ وَسَـــــلِّمْ أَبَـــــدًا عَلَيْـــهِ ثُـــمَّ مَـــنْ بِهَدْيِـــهِ اهْتَـــدَى

---

[1] ـ مازال على قيد الحياة أطال الله في عمره. ينظر ترجمته في: فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الأزهري خالد في علم النحو (دراسة) رسالة ماجستير مرجع سابق، ص: 13 ـ 18.

[2] ـ منظومة في الأفعال الثلاثية، عبد الرحمن حفصي، مخطوطة عند الشيخ بأولف، وعندي نسخة منها، وهي بالمرجع السابق، ص: 17.

وَبَعْـــدُ إِنَّ الاسْـــمَ قَـــدْ يَنْقَسِـــمْ قِسْـــمَينِ خُـــذْهُمَا وَعِ يَـــا فَـــاهِمْ

فَإِمَـــا مُشْـــتَّقٌ وَإِمَـــا جَامِـــدْ فَهُمَـــا قِسْـــمَانِ كَمَـــا تُشَـــاهِدْ

فَجَامِـــدٌ وَهْـــوِ مَـــا لَـــمْ يُؤْخَـــذْ مِـــنْ غَيْـــرِهِ يُؤْخَـــذُ مِـــنَ الأَحْـــوَذْ

ويختمها بقوله:

وَإِنَّنِـــي بِحَمْـــدِ رَبِّـــي العَـــالِي خَتَمْـــتُ مَـــا يُسِّـــرَ فِـــي المَقَـــالِ

مِـــنْ نَظْـــمِ أَوْزَانِ المَصَـــادِرِ وَمِـــنْ نَظْـــمٍ لِمُشْـــتَّقَاتِ الأَسْـــمَاءِ قَمِـــنْ

فَالحَمْـــدُ للهِ عَلَـــى مَـــا أَنْعَمَـــا وَمَـــا إِلَيْـــهِ قَـــدْ هَـــدَى وَأَلْهَمَـــا

وَصَـــلِّ يَـــا رَبّ وَسَـــلِّمْ أَبَـــدًا عَلَـــى الرَّسُـــولِ الهَاشِـــمِيّ أَحْمَـــدَا

وَآلِـــهِ وَزَوْجِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَتَابِعِيـــهِ وَمَـــنْ آمَـــنَ بِـــهِ

عِـــدَّةُ الأَبْيَـــاتِ بِهَـــا صَـــادٌ وَسِـــينْ لِـــتَشْ تَارِيخُهَـــا هِجْـــرَةُ الأَمِـــينْ

نَظَمْتُهَـــا لِلْحِفْـــظِ مِـــنْ قَوَاعِـــدِ لُغَتِنَـــا وَذَاكَ أَقْـــوَى شَـــاهِدِ

تَـــأْلِيفُ شَـــيخِنَا فُـــؤَاد نِعْمَـــهْ مُفِيـــدَةُ مُهِمَّـــةٌ وَحِكْمَـــهْ[1]

---

[1] ــ منظومة العلي القادر في نظم الأسماء المشتقة والمصادر، عبد الرحمن حفصي، مخطوطة عند الشيخ بأولف ادرار، وعندي نسخة منها.

ثالثا: دراسة في بعض الجهود المنظومة في علم الصرف

إن جهود علماء توات في نظم علم الصرف لم تكن بنفس الأهمية التي رأيناها في علم النحو، ومن خلال ما هو بين أيدينا من أعمال وجهود نستطيع أن نتبين مدى أهمية هذا العلم لدى علماء توات؛ فعلى الرغم من قلة الإنتاج فإن علم الصرف قد أولي عناية مهمة في الدراسات اللغوية، وقد انصبت جهودهم في هذا العلم في مسائل التمرين إلا أن لكل عالم من العلماء منهجه وطريقته في العرض، وذلك لأن الغرض الأول من النظم هو الجانب التعليمي، وسوف أشرع في شرح منهج كل عالم من العلماء السابق ذكرهم من خلال القراءة في أعمالهم التي بين أيدينا.

1 ـ روضة النسرين في مسائل التمرين لابن أب:

إن مسائل التمرين كانت شاغلا لعلماء العربية منذ القديم، كما كانت محط سؤال وجواب بين العلماء وتلاميذهم، ومجالا لإظهار القدرات في مجالس العلماء والخلفاء ومناظرات العلماء، وقد جاءت مسائل التمرين مبثوثة في كتب علماء النحو والصرف على حد سواء من أمثال سيبويه (تـ 185هـ)، والمازني (تـ 246هـ)، والمبرد (تـ 285هـ)، وابن جني (تـ 296هـ)، وابن الحاجب (تـ 646هـ)...

وهكذا فلم يشذ علماء توات عن القاعدة العامة للنحاة وعلماء الصرف فتناولوا مسائل التمرين وكانت شغلهم الشاغل ونجدها في كل مَنْ تحدث أو نظم في هذا العلم، ولعل أبرز من يمثل هذا هو ما جاء به الشيخ محمد ابن أب المزمري في منظومته "روضة النسرين في مسائل التمرين"، المتكونة من تسع وستين بيتا على بحر الرجز، وهي في الأصل نظم لما جاء في شافية ابن الحاجب من مسائل التمرين، وكان الغرض من هذا النظم هو التعليم دون شك[1]، وقد سار ابن أب في نظمة على نفس منهج ابن الحاجب في شافيته؛ حيث حافظ

[1] ـ ينظر: محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص: 255 ـ 257.

على ترتيب ونهج ابن الحاجب دون أدنى تغيير يذكر إلا ما كان ضرورة نظم وتأليف[1]؛ فقد بدأ نظمه بمعنى البناء حيث قال:

إِنْ قَـــالَ مَـــنْ بِالصَّـــرْفِ قَـــدْ تَلَـــذَّذَا   كَيْـــفَ تَصُـــوغُ كَـــذَا مِثْـــلُ كَـــذَا
فَـــــــذَاكَ مَعْنَـــــــاهُ إِذَا رَكِّبْتَـــــــا   زِنْتَهَـــــا مِنْهَـــــا وَقَـــــدْ عَلِمْتَـــــا

كما بين وجه الخلاف بين الفارسي والجمهور في مسألة البناء؛ حيث قال:

مَـــا يَقْتَضِـــي القَـــيْسُ فَكَيْـــفَ النُّطْـــقُ بِـــهْ   وَقَـــيْسُ قَـــوْلِ الفَارِسِـــي المُنْتَبِـــهْ
زَيْـــدُ وَأَسْـــقَطْتُ الَّـــذِي فِـــي الأَصْـــل   أَسْـــقط قَيسًـــا وَقِيّـــاسُ قَـــوْل
أُنَـــــاسُ آخَـــــرِينَ أَوْ غَيْـــــرُ قِيّـــــاسْ   فَجَـــدّ كُـــلَّ الجِـــدّ وَاحْـــذَرْ الإِبْـــاسْ

وقال ابن الحاجب في الشافية الآتي: "معنى قولهم كيف تبني من كذا نحو كذا أي إذا ركبت منها زنتها وعملت ما يقتضيه القياس فكيف تنطق به، وقياس قول أبي علي أن تزيد وتحذف ما حذف في الأصل قياسا، وقياس آخرين أن تحذف المحذوف قياسا أو غير قياس"[2]

وبعد ذلك شرع في الأبنية وما يقابلها من أمثلة؛ وهو في هذا لا يخرج عن النماذج التي جاء بها ابن الحاجب في الشافية، ومن أمثلة ذلك قوله:

فَصُـــوْغُ مِثْـــلُ بِنَـــاءِ مِثْـــلَ مُحـــوِيٌّ   مِـــــنْ ضَـــــرَبَ مُضْـــــرِبِيٌّ مُحْيِـــــيٌّ
وَبِنَـــــاءُ لِمِثْـــــلِ اسْـــــمٍ أَوْ وَغَـــــدْ   مِـــــــنَ كَـــــــدَعَا وَدَعْـــــــو وَوَرَدْ
اِدْعُ وَدَعْ لِلآخَـــــــرِينَ وَمِثَـــــــالْ   صَـــحَائِفُ المَبْنِـــيُّ مِـــنْ دَعَـــا يُقَـــالْ

ومن أمثلته كذلك قوله:

1 ــ ينظر: محمد بن أب المزمري...، ص: 259.
2 ــ الشافية في علم التصريف، ص: 133.

وَسَـــــأَلُوا أَبَــــا عَلِــــيّ المُتَّقَــــى   عِــنْ مِثْــلِ شَــاءَ اللهُ جَــا مِــنْ أَوْلَــق

فَقَــــــالَ فِيــــــهِ أَلِــــقَ الإِلاَقُ   ثُــــمَّ عَلَــــى اللّفْظَــــةِ قَــــالَ الألــــقُ

وَأَيْضًــا الأَلَــقُ فِــي وَجْــهِ بَنَــى   بِــــــأَنَّ ذَاكَ فَوْعَــــــلُ إِنْ وُزِنَــــــا

وقد جاء في شافية ابن الحاجب الآتي: "وسئل أبو علي عن مثل ما شاء الله من أولق، فقال: ما ألق الإلاق، واللاق على اللفظ، والألق على وجه بنى على أنه فوعل"[1]

وكما لاحظنا فقد كان ابن أب يقدم منظومته هذه على أساس تعليمي أي أنه أراد أن يقدم لطلابه شافية ابن الحاجب في علم التصريف في قالب شعري يسهل حفظه وتداوله فيما بينهم، ويدرك ذلك كل من اطلع على منظومة "روضة النسرين"[2].

أما منظومته أمثلة من الأفعال المتعدية واللازمة من الرباعي المجرد، التي يقول في مطلعها:

أَمْثِلَـــــةٌ مِـــــنْ فَعْلَـــــلَ المُعَـــــدَّي   عَشَـــــرَةٌ غُـــــرٌّ تُعَـــــدُّ عَـــــدًّا

قَرْطَبَـــــهُ بِالطَّـــــاءِ أَيْ صَـــــرَعَهُ   قَرْضَـــــبَهُ بِالضَّـــــادِ أَيْ قَطَعَـــــهُ

إن هذه المنظومة تدخل في النطاق التعليمي فهي وسيلة تعليمية استطاع من خلالها الناظم (الشيخ) أن يقدم لطلابه مجموعة من الأفعال في قوالب جاهزة يستطيعون استخدامها في أوقات الحاجة، وكما رأينا فالناظم لم يستحضر في المنظومة الأفعال العادية التي يعرفها الطلاب، إنما استعمل تلك الأفعال التي إذا ما سمعها الطالب ظن أنها كلمات غير عربية أو بمعنى آخر كلمات عامية، بالإضافة إلى كونها غريبة، فهي قد تغنى الطالب عن الرجوع

---

[1] ـ الشافية في علم التصريف، ص: 135.
[2] ـ ينظر: منظومة روضة النسرين، ومحمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص: 255.

إلـى المعـاجم بشكل خـاص فـي تلك الظـروف التـي كـان يعيشـها النـاس هنالـك؛ فقد قـدمها مشروحة.

فالمنظومـة بهذا الشكل تعد مرجعا للطـلاب يلجأ إليـه الطالـب فـي وقت الحاجـة، أثنـاء الاسـتعمال، وهـي كـذلك تقدم لـه جملـة مـن الأفعـال مـا عليـه إلا حفظهـا فقـط، ويـدرك فـور سماعها أنها تنتمي إلى الأفعال المتعدية، وهذا أمر مهم بالنسبة للطالب والمتعلم؛ فكثيرا ما يختلط الأمر على الطالب في الأفعال أهي متعدية أم لازمة، ومن هنا ندرك قيمة المنظومة.

استعمال الناظم في هذه المنظومة جملـة من الأفعال التي دون شك رجع في استقسائها إلـى المعـاجم العربيـة كمعجم العين، ولسـان العرب، والقـاموس المحيط وغيرهم، فمـثلا لفظـة (قرطبـه) حيـث جـاء فـي القـاموس المحـيط: قَرْطَبَـه: صَـرَعَه أَوْ عَلَـى قَفَـاه، وَالجَـزُورَ قَطَـعَ عِظَامَه، وَعَدَا شَدِيدًا وَهَرَبَ وَغَضِبَ"[1]، وفي اللسان: "قَرْطَبَ: القُرْطُبُ والقُرْطُوبُ: الذَّكَرُ مِنَ السُّعَالي؛ وقيل هم صِغَارُ الجِنِّ...قال الفراء: قَرْطَبَه: صَرَعَه عَلَى قَفَاه وَطَعَنَه"[2]

وكـذلك جـاء فيـه عـن (قرضـبه) حيـث جـاء فـي القـاموس المحـيط: " قَرْضَـبَهُ: قَطَعَـه، واللَّحْـمَ فـي البُرْمَـةِ: جَمَعَـه،...واللَّحْـمَ: أَكَـلَ جَميعَـه، وفـلانٌ: عَـدَا، وأَكَـلَ شـيئاً يابسـاً، فهـو قِرْضَـابٌ، بالكسـر، وهـو: الأَسَـدُ، واللِّـصُّ، والسَّـيفُ القَطَّـاعُ"[3]، وفـي اللسـان: "قرضـب: القَرْضَبَةُ: شِدَّةُ القَطْع، قَرْضَبَ الشَّيْءَ وَلَهْذَمَه: قَطَعَه، وبِهِ سُمي اللصوص لهاذِمة وقَرَاضِبَة، مِـنْ لِهْذِمْتُـه وَقَرْضَـبْتُه إِذَا قَطَعْتُـه، وسـيف قُرْضُـوبٌ، وقِرْضَـابٌ، ومُقَرْضِـبٌ: قَطَّـاعٌ، وفـي الصحاح: القُرْضُوب والقِرْضَابُ: السيف القاطع العظام"[4]، فمصادر الشيخ ابن أب في هذه المنظومة لا يمكن أن تكون سوى المعاجم، بمختلف أنواعها.

1 ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (قرطبه)، 115/1 ـ 116.
2 ـ لسان العرب، مادة (قرطب)، 73/12.
3 ـ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مادة (قرضب)، 115/1.
4 ـ لسان العرب، مادة (قرضب)، 72/12.

قدّم الشيخ في المنظومة أفعالا متعدية، وأخرى لازمة في وضع لغوي معين حيث يتجلى لزومها أو تعديتها.

2 ـ هدية المجيب لعبد الكريم بن أحمد (النحوي):

إن الشيخ عبد الكريم بن أحمد عرف بين طلابه بالنحوي وكان معلما فقد أراد هو الآخر أن يقدم علم الصرف لطلابه في قالب شعري سهل بدأه دون مقدمات فقد دخل في توضيح مسائل علم الصرف التي جعلها ستة، فقال:

يَـا سَـائِلًا عَـنْ مَـا حَـوَى التَّصْـرِيف　　سِـتٌّ مَسَائِـلُ لَهَـا تَعْرِيـف

حَـذْفٌ زِيَـادَةٌ وَإِبْـدَالٌ كَـذَا　　قَلْـبٌ وَنَقْـلٌ وَإِدْغَـامٌ أُخِـذَا

ومع أن منظومته "هدية المجيب" لم تقتصر على المادة الصرفية وحدها بل ضم إليها النحو وغيره، إن الناظم وهو يقرّب الصرف والنحو إلى طلابه في هذه المنظومة كان له منهجا معينا حاول انتهاجه حتى تكون المادة المقدمة جد بسيطة فهما وتطبيقا؛ فهو ابتدأ بعلم الصرف لأنه من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، ولهذا فقد ذكر مسائل الصرف أولا، واعتبرها ستة قال:

يَـا سَـائِلًا عَـنْ مَـا حَـوَى التَّصْـرِيفُ　　سِـتٌّ مَسَائِـلَ لَهَـا تَعْرِيـفُ

هذا هو البيت الأول من المنظومة ثم في البيت الثاني ذكر تلك المسائل الصرفية التي هي: الحذف، والزيادة، والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام. وقد جمعها الناظم في قوله:

حَـذْفٌ زِيَـادَةٌ وَإِبْـدَالٌ كَـذَا　　قَلْـبٌ وَنَقْـلٌ وَإِدْغَـامٌ أُخِـذَا

فهو يقدم في بدايه كل فصل من الفصول الكلام عنه مجملا في البيت الأول منه، ثم يفسر كلامه المجمل في الأبيات الموالية له، ونضيف مثالا آخر لتوضيح المنهج؛ فهو في فصل همزة الاستفهام يقول:

فِـــي هَمْـــزِ الاسْــتِفْهَامِ؛ تَقْرِيــرٌ، تَــوْبِيخٌ، تَعَجُّـــبٌ، إِبْطَـــالٌ، إِنْكَـــارٌ نُسِـــخ[1]

وفي البيت الذي يليه يشرع في الشرح والتفصيل دون إطالة ولا إطناب، متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي.

وهو في صيغ اسم الفاعل يذكر عددها وقد أدمجها مع صيغ المبالغة والصفة المشبهة؛ وذلك ربما لعملها نفس العمل مع اسم الفاعل، حيث يقول:

سِـــتّة عَشَـــرَ صِـــيَغُ اسْـــمِ الفَاعِـــلْ مِـــــنَ الثُّلاثِـــــي بِالبَـــــدِيلِ فَاعِـــــلْ

فَعّـــال مِفْعْـــال فَعُـــول وفَعِيْـــلْ فَعِـــــلٌ مـــــعْ فَعَـــــالٌ أَفْعَـــــل نُقِـــــلْ

فَعَـــل فَعْـــل فُعَـــال فُعْـــل فُعُـــلْ أَوْ فِعْـــــل فَعْـــــلان وفَعِـــــل كَمُـــــلْ

وغَيْـــــرُهُ كَمُكْـــــرِمِ ضُـــــمَّ أَوْلِ واكْسِـــرْ رَاءً وافْتَحْـــهُ فِـــي اسْـــمِ مَفْعُـــولِ[2]

وكما نلاحظ فالناظم قد أدخل كل من اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة في فصل واحد؛ فاسم الفاعل يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فاعل، وذكر صيغ المبالغة بعده وذكر منها سبعة وهي: فَعّال، ومِفعال، وفعول، وفعيل، وفعِل، وفعال، وأفعل، ثم ذكر صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل وذكرها منها ثمان صيغ هي: فَعَل، وفعْل، وفُعال،

1 ـ هدية المجيب.
2 ـ هدية المجيب.

وفُعْل، وفُعُل، وفِعل، وفَعْلان، وفعل، ثم عاد إلى صياغة اسم الفاعل مع اسم المفعول من غير الثلاثي[1].

وربما استدرك الناظم فيما بعد ووجد نفسه قد نسي أن يذكر بأن من صيغ المبالغة ما يصلح للمذكر والمؤنث معا فكتب هذا البيت في حاشية الصفحة، والبيت هو:

فَعُـــولا مِفْعَـــالا ومِفْعِـــيلا فَعيـــلْ   مِفْعَـــلا للـــذَّكَرِ وَالأُنْثَـــى جُعِـــلْ[2]

وعند تعرضه للاسم المضاف ذكر عدد أوصاف الاسم المضاف ثم تتبعها صفة صفة مع إعطاء أمثلة وشواهد، متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي، وسأعرض فصلا من المنظومة كاملا على سبيل المثال، وإن كان في النحو، وهو كما سماه الشيخ عبد الكريم بن أحمد في منظومته "فصل في الأمور التي يكتسبها الاسم المضاف":

وَالاسْـــمُ يَكْتَسِـــبُ بَالإِضَـــافَهْ   أُمُـــورٌ عَشْـــرَةٍ فَخُـــذْ أَوْصَافَـــه:

أَوَّلُهَـــا: التَّعْرِيـــفُ خُـــذْ مِثَالَـــهُ:   غُـــلامُ زَيْـــدٍ فَـــالغُلامُ نَـــالَهُ

وَثَانِيهَـــا: التَّخْصِـــيصُ وَالمِثَـــالا   قُـــلْ: غُـــلامَ امْـــرَأَةٍ لا جِـــدَالا

وَالثَّالِـــثُ: التَّخْفِيـــفُ نَحْـــوَ: ضَـــارِب   زَيْـــدٍ، بِـــالجَرِّ الأَصْـــلُ فِيـــهِ النَّصْـــب

رَابِعُهَـــا: إِزَالَـــةُ القُبْـــحِ وَزِدْ،   أَوِ التَّجَـــوُّزِ مِثَـــالًا تَسْتَـــفِدْ

خُـــذْهُ كَقَوْلِـــكَ: مَـــرَرْتُ بِالرَّجُـــلْ   الحَسَـــنِ الوَجْـــهِ بِرَفْـــعٍ لا تَقُـــلْ

خَـــامِسٌ: تَـــذْكِيرِ المُؤَنَّـــثِ فَقَـــالْ   إِنَـــارَةُ العَقْـــلِ مَكْسُـــوفٌ قُـــلْ مثـــالْ

---

[1] ـ ينظر اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبه ومبالغة اسم الفاعل في: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 14، 1400هـ ـ 1980م، 188/1 ـ 198.

[2] ـ كتب هذا البيت على هامش الصفحة، وقبله كتب، قال: كاتبه.

سَادِسُـــــــهَا: تَأْنِيثُـــــــكَ المُذَكَّـــــــرِ   كقُطِعَـــتْ بَعْـــضُ الأصَـــابِعِ إذكُـــرِ

ثُـــــمَّ الظَّرْفِيـــــةُ؛ كَتُـــؤْتِي أُكْلَهَـــا   بَعْـــدَهُ كُـــلَّ حِـــيْنٍ سَـــابِعًا لَـــهَا

وَالمَصْـــــــدَرِيّةِ؛ كَـــــذِكْرِ يَعْلَـــــمُ   إلَـــى انْقِلَابِهِـــمْ فَثَـــامِنَ افْهَـــمُ

وَالمَصْـــــــدَرِيةِ؛ كَـــــأَيِّ مُنْقَلَـــــبْ   يَنْقَلِبُـــونَ ثَامِنًـــا بِهَـــا كُـــتِبْ

تَاسِــــعُهَا: قُـــلْ: وُجُـــوبَ التَّصْـــدِيرِ   بِالمُبْتَـــدَأ طَـــالِعْ فِـــي هَـــذَا الأَمْـــرِ

وَالعَاشِـــرُ: الإِعْـــرَاب نَحْـــوُ: هَـــذِه   خَمْسَـــةُ عَشْـــرُ حُـــثِّ فِـــي تَأْوِيلِـــهِ

لَعَـــــلَّ تَرْشُـــــدُ وَتَبْلُـــــغُ المُـــــرَادْ،   وَاللهَ يَهْـــدِي لِلصَّـــوَابِ وَالسَّـــدَادِ[1]

كان هذا هو النهج الذي سار عليه الناظم في منظومته.

3 ـ أعمال الشيخ بن بادي:

لقد كان الشيخ محمد بن بادي أحد أقطاب الدرس اللغوي بإقليمي توات والأزواد، فهو الآخر شيخ زاوية علم وتدريس همه هو كيفية توصيل المعارف والمعلومات إلى طلابه من أقصر الطرق، ولعل أعماله الكثيرة هي التي تشهد على ما نقول؛ فالرجل قد خلف لنا أعمالا في شتى الفنون، يقول عنه الأستاذ حاج أحمد الصديق: "لقد خلف لنا المترجم له [محمد بن بادي] ثروة من المؤلفات في جل العلوم...فقد ركب بحرها، فيمتطي حينا قارب النظم، كما يركب فيها أحيانا سفينة النثر"[2]

ومن أعماله الصرفية تلك المنظومة التي أشرنا إليها آنفا والتي جاءت ضمن منظومة أطول تضم مجموعة من العلوم والفنون الأخرى، يقول فيها:

1 ـ هدية المجيب.
2 ـ من أعلام التراث الكنتي المخطوط، ص: 72 ـ 73.

العِلْـــمُ بِالتَّصْـــرِيفِ عِلْـــمٌ فِيْـــهِ عَـــنْ   أَبْنِيَـــــةِ الكَلِـــــمِ يُبْحَـــــثُ وَعَـــــنْ

صِـــــحَتِهَا إِعْلَالِهَـــــا الاسْـــــمُ فِعْـــــلْ   مُرَبَّـــــعُ العَـــــيْنِ مُثَلَّـــــثُ الفَاحِـــــلْ

وَجَعْفَـــــر سَـــــفَرْجَل غَيْـــــرُ المَزِيـــــدْ   مِـــنَ السُّدَاسِـــي والسُّـــبَاعِي لَا يَزِيـــدْ

وَعَـــنْ ثَلَاثَـــةِ أُصْـــولٍ مَـــا نَـــزَلْ   إِلَّا بِحَـــــذْفِ كَيْـــدَ وَالفِعْـــلِ حَـــلْ

أَعْلَـــى المَزِيـــدِ مِـــنْ خُمَـــاس وَسُـــدَاس   وَلَا تَـــــــزِدْ وَلَـــــــهُ أَوْزَانٌ تُقَـــــــاس

تَفَعْلَـــــــلَ اِفْعَلَـــــــلَ اِفْعَـــــــلَّ انْفَعَـــــــلْ   وَافْعَنْلَـــــلَ أَفْعَـــــالَ تَفَاعَـــــلَ افْتَعَـــــلْ[1]

فالشيخ في منظومته هذه قد بين موضوع علم الصرف وميدانه، وقد جعله أبنية الكلم من حيث الصحةُ والإعلالُ والزيادةُ، فالاسم في العربية ثلاثي ولا يزيد عن سبعة أحرف، أما الفعل فهو إما مجرد أو مزيد.

لقد اكتف الشيخ بن بادي في منظومته هذه بالجانب النظري (تعليم القواعد)، ولم يعط للجانب التطبيقي كثير حظ، ولذا جاءت منظومته هذه مكتفية بالقواعد دون تطبيق، فقد حاول الشيخ حصر المسائل الصرفية الستة المعروفة(حذف، إبدال، زيادة، إدغام، قلب، نقل).

وقد جاءت هذه المسائل متفرقة على موضوعات علم الصرف، وفي ما يلي سوف أقسم المنظومة إلى فصول:

- ✓ علم الصرف موضوعاته وميادينه 1 . 3
- ✓ أوزان الأفعال الثلاثية وغير الثلاثية 4 . 10

[1] ـ منظومة زينة الفتيان، محمد بن بادي، مخطوطة بخزانة أولاد الشيخ البكاي، تهقارت، تمنراست، ومن أعلام التراث الكنتي...ص: 74.

- ✓ الفعل الصحيح والفعل المعتل 11 . 13
- ✓ الفعل المبني للمجهول والفعل المبني للمعلوم 14 . 21
- ✓ أوزان المصادر 22 . 27
- ✓ اسم المرة 28
- ✓ اسم الهيئة 29
- ✓ اسما الزمان والمكان 30
- ✓ اسما الفاعل والمفعول 31 . 34
- ✓ حروف الزيادة معانيها ومواضعها 35 . 40
- ✓ الحذف ومواطنه 41 . 44
- ✓ الإبدال ومواطنه 45 . 53
- ✓ الإدغام ومواطنه 54 . 57

هذه كانت هي الفصول التي ضمتها المنظومة وكما لاحظنا فإنها احتوت على المسائل الصرفية التي أشرنا إليها آنفا فقد تعرض الناظم إلى تلك المسائل في فصول معطيا لكل مسألة نصيبا من التوضيح والتمثيل، إلا أن هذه المنظومة لم تف لمسائل الصرف حقها من الشرح والتوضيح والتمثيل فهي في حاجة إلى شرح مستفيض، إلا أنها تجمل المسائل ليسهل حفظها، وذلك يرجع إلى أن الناظم:

أتى بالمنظومة ضمن فنون أخرى مما جعله يخشى الإطالة

عزم الناظم أن يجعل لزينة الفتيان شرحا وافيا لكل فن من الفنون

(أ) مصادر النظم:

لم يصرح الناظم عن مصادره التي استقى منها معلوماته إلا أن المطلع على المنظومة يدرك أن الناظم لم يأت فيها بجديد؛ فهو ملتزم بما جاء به الأولون في هذا العلم، فالمنظومة جمع للمسائل من كتب متفرقة صُبّت في قالب شعري بسيط سهل الحفظ.

(ب) شواهد النظم:

لم يهتم ابن بادي بحشد الشواهد لأن مسعاه كان جمع المسائل وتقديمها إلى القارئ دون تقديم شواهد لها لضيق المقام وصرامة النظام.

(ت) مذهب الناظم الصرفي:

لم يتعرض الناظم في باب التصريف إلى المسائل الخلافية في المسائل الصرفية؛ وذلك في رأي يرجع إلى طبيعة المسعى الذي يسعى إليه، حيث أراد أن يقدم المسائل للمبتدئين ولذلك لم يشأ إرهاق أذهانهم وعقولهم بالمسائل الخلافية في ذلك؛ ولهذا فقد حاول جمع المسائل على مذهب البصريين ويتجلى لنا ذلك من خلال المنظومة وما بث فيها من آراء منها:

الزيادة في الأسماء حيث يقول:

وَجَعْفَـــرَ سَـــفَرْجَلَ غَيْـــرُ المَزِيـــدْ   مِـــنَ السُّدَاسِـــي وَالسُّـــبَاعِي لَا يَزِيـــدْ

وَعَـــنْ ثَلَاثَـــةِ أُصُـــولٍ مَـــا نَـــزَلْ   إِلَّا بِحَـــذْفٍ كَيْـــدَ وَالفِعْـــلَ حَـــلْ[1]

وهو ما ذهب إليه البصريون إلى أن بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة، وأنهما من نحو جعفر وسفرجل، لا زائد فيهما البتة[1]، وعلى العكس من ذلك ذهب الكوفيون إلى أن كل اسم زائد عن ثلاثة أحرف فيه زيادة[2]

1 ـ المنظومة.

4 ـ أعمال الشيخ حفصي:

إن الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي كتب في العديد من الفنون اللغوية والفقهية، ومن بين كتبه تلك المنظومات التي أشرنا إليها سابقا، وسأحاول أن أقوم بدراستها فهي تتناول مساءل التمرين في الصرف والتي كانت دوما الشغل الشاغل لعلماء الصرف؛ لأنها هي العمل التطبيقي للصرف ومن ثَمَّ جعلها الصرفيون محور الدرس الصرفي، فكما رأينا الشيخ ابن أب، والشيخ عبد الكريم بن أحمد قد تناولا المسائل كل بطريقته فإن الشيخ عبد الرحمن حفصي قد تناولها بطريقة ثالثة؛ فهو يأتي بالأفعال للطلاب جاهزة والمطلوب منهم حفظها فقط، وهو لعمرك منهج فيه من الصواب جانب كبير، حيث أن الطالب بإمكانه استحضار الأفعال عند الاستعمال وهذه المنظومة خير شاهد على ذلك هذه المنظومة:

فَهَـــــاكَ أَفْعَـــــالًا ثُلَاثِيَّـــــاتٍ مُعْتَلَّـــــــــةً وَمُتَتَالِيـــــــــــاتٍ

فَتَـــــارَةً إِنْ شِـــــئْتَهَا فَوَاوِيـــــهْ وَتَـــــارَةً إِنْ شِـــــئْتَ تَـــــأْتِي يَائِيـــــهْ

مَثْـــــلَ: طَهَـــوْتُ اللَّحْـــمَ أَوْ طَهَيْتُـــهْ وَقَـــــدْ قَلَـــــوْتُ الكُفْـــــرَ أَوْ قَلَيْتُـــــهْ

كَــذَا غَــزَا، كَنَــى، طَغَــى، رَثَــا، خَــلَا جَثَــا، أَثَــا، شَــأَ، صَــفَا، سَــحَا، حَــلَا

ومن منظوماته الصرفية منظومة "فتح العلي القادر في نظم الأسماء وأوزان المصادر" وهي منظومة تتكون من 364 بيتا، وهذه المنظومة في الأصل هي نظم للفصل الخامس من كتاب "ملخص قواعد اللغة العربية" لفؤاد نعمه[3]، يقول الشيخ حفصي عن غرض النظم وأصله:

---

1 ـ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، 793/2.

2 ـ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف،793/2.

3 ـ فؤاد نعمة هو مؤسس ومالك ومدير المكتب العلمي للتأليف والترجمة، حصل على ليسانس في الحقوق جامعة القاهرة سنة 1958م، شغل منصب مدير عام شئون العاملين بالبنك الأهلي المصري سابقا، له مؤلفين؛ قواعد اللغة العربية، وقواعد اللغة الانجليزية.(عن موقع فؤاد نعمه الإلكتروني: www.fouadnemah.com)

نَظَمْتُهَـــا لِلْحِفْـــظِ مِـــنْ قَوَاعِـــدْ   لُغَتِنَـــــا وَذَاكَ أَقْـــــوَى شَـــــاهِدْ

تَـــأْلِيفُ شَـــيْخِنَا فُـــؤَاد نِعْمَـــه   مُفِيـــــدَة مُهِمَّـــــة وَحِكْمَـــــه

وقد قام الشيخ عبد الرحمن حفصي بنظم الفصل الخامس من الباب الثاني الخاص بقواعد الصرف الذي عَنْوَنَهُ فؤاد نعمه بـ (الاسم بالنظر إلى تركيبه) وجاء فيه ما يأتي:

- ✓ الاسم الجامد
- ✓ اسم الذات
- ✓ اسم المعنى أو المصدر
- ✓ مصدر الفعل الثلاثي، والرباعي، والخماسي والسداسي
- ✓ المصدر الميمي . المصدر الصناعي . اسم المرة واسم الهيئة
- ✓ عمل المصدر . المصدر الصريح والمصدر المؤول
- ✓ الاسم المشتق
- ✓ اسم الفاعل
- ✓ صوغ اسم الفاعل
- ✓ إعراب اسم الفاعل
- ✓ عمل اسم الفاعل
- ✓ صيغ المبالغة . عمل صيغ المبالغة
- ✓ اسم المفعول

- ✓ صوغ اسم المفعول
- ✓ إعراب اسم المفعول
- ✓ عمل اسم المفعول
- ✓ الصفة المشبهة باسم الفاعل
- ✓ صوغ الصفة المشبهة . عمل الصفة المشبهة
- ✓ اسم التفضيل
- ✓ صوغ اسم التفضيل
- ✓ حالات اسم التفضيل
- ✓ عمل اسم التفضيل
- ✓ اسما الزمان والمكان
- ✓ صوغ اسمي الزمان والمكان
- ✓ اسم الآلة[1]

أما الشيخ الحاج عبد الرحمن فقد جاءت المادة الصرفية موزعة في منظومته على الشكل الآتي:

- ✓ مقدمة 1 . 5
- ✓ أنواع الاسم؛ جامد ومشتق 5 . 13.
- ✓ مصادر الأفعال الثلاثية 14 . 33.

[1] ـ ينظر: ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 19، د ت، 33/2 ـ 55.

✓ مصادر الأفعال الرباعية 34 . 56.

✓ مصادر الأفعال الخماسية والسداسية 57 . 65.

✓ المصدر الميمي 66 . 75.

✓ المصدر الصناعي 76 . 79.

✓ اسم المرة 80 . 85.

✓ اسم الهيئة 86 . 89.

✓ عمل المصدر 90 . 97.

✓ المصدر الصريح والمصدر المؤول 98 . 115.

✓ الأسماء المشتقة 116 . 124.

✓ اسم الفاعل 125 . 150.

✓ إعراب اسم الفاعل 152 . 154

✓ عمل اسم الفاعل 155 . 188.

✓ صيغ المبالغة 186 . 200.

✓ عمل صيغ المبالغة 201 . 206.

✓ اسم المفعول 207 . 209.

✓ صوغ اسم المفعول 210 . 230.

✓ إعراب اسم المفعول 231 . 233.

✓ عمل اسم المفعول 234 . 257.

✓ الصفة المشبهة باسم الفاعل 258 . 281.

✓ عمل الصفة المشبهة 282 . 289.

✓ اسم التفضيل 290 . 295.

✓ صوغ اسم التفضيل 296 . 306.

✓ حالات اسم التفضيل 307 . 326.

✓ عمل اسم التفضيل 327 . 332.

✓ اسما الزمان والمكان 333 . 336.

✓ صوغ اسمي الزمان والمكان 337 . 348.

✓ اسم الآلة 349 . 359.

✓ الخاتمة 360 . 364.

يقول الشيخ حفصي في بداية منظومته:

الحَمْــــــــــدُ للهِ وَصَــــــــــــلَّى اللهُ   عَلَـــــى نَبِيِـــــهِ وَمَـــــنْ تَـــــلَاهُ

وَالآلِ وَالصَّـــحْبِ وَمَـــنْ قَـــدْ اقْتَفَـــا   مَنْهَجَـــــهُ وَبِـــــالمُبِينِ اعْتِرَفَـــــا

إِلَاهَنَـــــا صَـــــلِّ وَسَـــــلِّمْ أَبَـــــدًا   عَلَيْـــهِ ثُـــمَّ مَـــنْ بِهَدْيِـــهِ اِهْتَـــدَى

ومضى الناظم في نظم ما أراد من كتاب فؤاد نعمه دون أن يخرج عن نظام الكتاب ترتيبا بل لم يزد عن الأمثلة التي جاء بها الكتاب، وأسوق هذا المثال لدلالة على ما أذهب

إليه، فقد قال فؤاد نعمه في إعراب اسم الفاعل: "يستعمل اسم الفاعل مفردا ومثنى وجمعا مع التذكير والتأنيث، ويعرب على حسب موقعه في الجملة.

مثل: من الأفضل أن تكوني مقتصدةً؛ (مقتصِدة: خبر كان منصوب بالفتحة)[1].

ويقول في ذلك الشيخ حفصي نظما:

فَإِنَّـــــهُ مُسْـــتَعْمَلٌ اسْـــمَ الفَاعِـــل جَمْعًـــا وَمُفْـــرَدًا مُثَنَّـــى قَـــدْ يَلِـــي

مُـــــــذَكَّرًا مُؤَنَّثًـــــــا وَيَـــــــأْتِي حَسَـــبَ مَوْقِـــعٍ لَـــهُ فِـــي الجُمْلَـــةِ

كَمِثْـــــلِ أَنْ تَكُـــونِي مُقْتَصِـــدَهْ كَمِثْـــــلِ أَنْ تَكُـــونِي مُجْتَهِـــــدَهْ

مُقْتَصِـــــدِينَ وَكَـــــذَاكَ مُقْتَصِـــدْ مُقْتَصِـــدِينَ نَصْـــبُهَا كَمَـــا عُهِـــدْ[2]

فكما لاحظنا فإن الناظم لم يكن له ليتصرف في مادة الكتاب إلا فيما كان ضرورة شعرية فقط.

منهج الناظم:

إن الناظم يشتغل بحقل التعليم فهو واسع الاطلاع يحاول أن يقدم لطلابه المسائل اللغوية الواردة في كتب اللغة في قالب سهل وممتع، ولم يجد أحسن من النظم التعليمي على أوزان شعرية، غايته في ذلك إيصال الفكرة والقاعدة اللغوية من أقرب طرق بأبسط الوسائل؛ فهو إن لم يخرج عن ترتيب المؤلف الأصلي (فؤاد نعمه) للمادة الصرفية الواردة في الفصل إلا أنه وضع بصمته الخاصة عليها وذلك بصب هذه المعارف على وزن الرجز الذي يسهل حفظه.

[1] ـ ملخص قواعد اللغة العربية، 42/2.
[2] ـ منظومة فتح العلي القادر...

كما أنه يتصرف في تقديم المادة؛ فهو يفصل ما يصاغ من الثلاثي عن ما يصاغ من غير الثلاثي في كثير من الأحيان على عكس فؤاد نعمه الذي يقدمهما معا ثم يأتي بالأمثلة لكل واحد منهما سأوردِ هذا المثال من الكتابين؛ يقول فؤاد نعمه في (اسم المرة): "اسم المرة مصدر يدل على وقوع الحدث مرة واحدة، ويكون اسم المرة على وزن فَعْلة إذا كان الفعل ثلاثيا، وعلى وزن المصدر بزيادة تاء في آخره إن كان غير ثلاثي. مثل أكلتُ أكلةً، ضربتُهُ ضربَةً، انطلق انطلاقة، أكرمتُهُ إكرامَةً"[1]

ويقول الشيخ حفصي ناظما:

وَهَاكِ يَا طَالِبَ اسْمَ المَرَّة ... وَهْوَ مَصْدَرٌ يَدُلُّ يَا فَتَى

عَلَى وُقُوعِ حَدَثٍ وَمَرَّهْ ... وَاحِدٌ فَقَدْ كُفَيْتَ الضُرَّهْ

وَهْوَ يَجِيءُ عَلَى وَزْنِ فَعْلَة ... إِنْ كَانَ فِعْلُهُ ثُلَاثِيًّا أَتَى

كَنَحْوِ إِنِّي أَكَلْتُ أُكْلَةَ ... وَإِنِّي قَدْ ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرْبَةَ

وَالثَّانِي مَثْل انْطَلَقَ ... أكرمْتُ قَبْلُ جَائِعًا إِكْرَامَةَ[2]

فالمنهج الاستقرائي يبدو جليا على المنظومة كما هو في أصل الكتاب المنظوم؛ وذلك لأن الكتابين يهدفان إلى غاية واحدة، وغرضهما تعليمي بالدرجة الأولى.

عموما ما يلاحظ على المنظومات الصرفية وغيرها من المنظومات هو غلبة المنهج الاستقرائي المناسب للتعليم والمدارسة والمعتمد على تقديم القاعدة اللغوية ثم تقديم الأمثلة المبينة للقاعدة، أي من العام إلى الخاص، وبمعنى أوضح فهو يضع القاعدة ثم يعممها.

[1] ـ ملخص قواعد اللغة العربية، ص: 37، و38.
[2] ـ منظومة فتح العلي القادر.

خلاصة:

استطاع علماء توات من خلال ما رأينا أن يدركوا قيمة علم الصرف وذلك بتخصيص متون علمية خاصة به، فاصلين بينه وبين علم النحو في الكثير من الأحيان، وقد رأينا كيف أنهم درسوه كعلم مستقل عن علم النحو وفي ذات الوقت لا يمكن لدارس العربية أن يستغني عنه.

من هنا أدركنا أن لهم جهودا في هذا العلم كذلك لا يستهان به أسهمت في تتمة بناء الصرح اللغوي العربي، أو تعد لبنة مهمة فيه؛ فهُمْ استطاعوا أن يحفظوا تراثهم من الضياع، فما هو دورنا نحن نحو تراثنا؟

كان ذلك إسهامهم في المتون العلمية في علم الصرف، فهل أسهموا بنفس القسط في وضع شروح لمتون علمية صرفية؟ وإذا كان كذلك فإلى أي مدى يمكن إدراج علماء توات مع أولئك الذين أسهموا في الحفاظ وحفظ التراث العربي؟ وهل كان لهم في ذلك جديد أم لا؟

الفصل الثاني

جهود علماء توات في علم الصرف من خلال الشروح

تمهيد:

إن الحديث عن جهود أمة من الأمم في مجال من المجالات يدعو الباحث إلى تعميق البحث وشد الرحال إلى أماكن وجود تلك الجهود التي قد تكون مجهولة قبل ذلك، وعليه فقد حاولت أن أجمع ما وصلت يداي إليه من تلك الجهود وبشكل خاص في ميدان الشروح الصرفية، فعلى قلتها فإنها كانت تكشف لنا عن أمة اهتمت بتراثها وشرحه وحاولت إيصاله إلى الأجيال، وعلى هذا كان من الواجب الاهتمام بهذه الجهود وكشف اللثام عنها.

وأثناء البحث فقد عثرت على بعض الجهود في هذا العلم الضروري لمتعلم العربية؛ فقد كان علماء توات على مر العصور من الذين اهتموا بهذا العلم وكان لهم دورهم في حفظه، إلا أن جهودهم في معظمها كان عرضة للضياع بطريقة أو بأخرى.

وجد علماء توات في شرح المتون عموما ملاذًا آمنًا لتعليم العربيةَ أبناء الإقليم، وكانت الشروح تتم على طريقتين اثنتين؛ المشافهة والكتابة، فما كان شفاهة فذلك الذي لم يكتب له البقاء فقد زال بزوال أصحابه وما أكثره؛ فالشيوخ كانوا يعقدون المجالس لمُدارسة متون العربية ومتون الفقه، ويطيلون في ذلك كثيرا شارحين متنًا أو أكثر، ومن المتون التي كانت تشرح في لإقليم توات بكثرة وتعقد لأجلها المجالس ويتباهى الطلبة بحفظها وأخذها عن هذا الشيخ أو ذاك، نجد جملة من تلك المتون أهمها على الإطلاق ألفية ابن مالك، شافية ابن الحاجب في التصريف، لامية الأفعال لابن مالك وغيرها.

أولا: الشروح الصرفية في توات:

كَثُرَتْ في عصور سابقة المتون الصرفية وغيرها بكل أشكالها مختصرات منظومات مطولات، وغير ذلك مما استلزم وضع شروح أو تعليقات وتوضيحات عليها، تميزت المتون ببعض السمات من أهمها:

- شدة الإيجاز والتركيز والاختصار.
- غموض واستغلاق بعض العبارات على الفهم بسبب الوزن في المنظومات.
- ضيق المجال الشعري لا يسمح للناظم بالتفسير والتوضيح.
- رغم اتفاق المختصرين على وضوح العبارة وسَلامة الألفاظ والإيجاز غير المخل، إلا أن ذلك لم يمنع من الوقوع في المحظور.

نظرا لهذه السمات التي برزت في المتون عموما اضطر بعض أولئك الشيوخ إلى وضع شروح على متونهم وما أكثرهم؛ فكثيرا ما نرى الناظم يضع شرحا لمنظومته، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الحريري في منظومته "ملحة الإعراب ونخبة الآداب"، التي عاد فشرحها كما شرحها غيره[1]، والسّبب في وضع الناظم أو المختصِر شرحا على نظمه أو مختصره ربما شعوره بعدم جدوى النظم أو الاختصار إلا بالشرح و التوضيح، أو ربما بطلب من طلابه الذي تعسّر عليهم فهم ما أراد معلمهم، فيتصدى هو بنفسه إلى وضع الشرح والتوضيح قبل غيره[2].

ولتلك الأسباب وغيرها كان اهتمام علماء توات بوضع شروح على المتون التي وصلت إليهم، أو المتون (المنظومات) التي أنشأوها ونقتصر هنا على الصرف دون غيره، فقد كان اهتمام علماء توات بعلم الصرف ضمن علم النحو ولم يعرف خروجا عنه إلا في النادر القليل أين تجد أحدهم مهتما بعلم الصرف على حده، فهذا العلم كان يتماشى جنبا إلى جنب مع علم النحو، إلا أنك تلاحظ بعض الوقفات التي كان يقفها العلماء من حين إلى حين عند بعض المسائل الصرفية أو موضوعاته سواء من خلال متن من المتون أو من خلال شرح تلك الظاهرة للطلبة، ومن أمثلة ما ذهبت إليه عمل الشيخ عبد الله بن محمد عبد الله بن

[1] ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 1846/3 – 1851.

[2] ـ ينظر: دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي، ص: 41 – 42.

محمد عبد الكريم بن محمد الصالح[1] الذي كانت له وقفة مع الصفة المشبهة في ألفية ابن مالك، حيث جعل عليها شرحا سماه بـ"الدرر المحمدة في تحقيق معان المشبهة"[2]، وقد تناول الشيخ بالشرح ما جاء في ألفية ابن مالك حول الصفة المشبهة، وستكون لنا وقفة مع هذا الشرح في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

احتوت خزائن المخطوطات في توات مجموعة من المخطوطات التي تناول أصحابها متونا صرفية بالشرح والتوضيح أو غير ذلك، ومن ذلك نجد "شرح روضة النسرين في مسائل التمرين"[3] للشيخ محمد بن أب المزمري، وكتاب "الدرر المحمدة في تحقيق معان المشبهة" للشيخ عبد الله بن محمد عبد الله بن محمد عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري، وهما الكتابان اللذان سأتناولهما بالدراسة والتحليل لاحقا.

ثانيا: دراسة وتحليل لشروح صرفية:

سأدرس الكتابين دراسة وصفية تحليلة وسأتناول فيها المنهج المتبع في الشرحين، ترتيب المادة الصرفية في الكتاب، مصادر الشرحين، شواهد الشرحين، تعليلات الشارحين، الزيادة والتفصيل.

---

[1] ـ هو محمد عبد الله بن عبد الكريم بن الصالح بن البكري، كان عالما بالنحو والفقه، تلقى العلم على يد الشيخ الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي بقصر ملوكة، ثم اشتغل بالتجريس والإفتاء بتمنطيط، له شرح على ابن جماعة، وحاشية على مختصر خليل.(ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هجري، ص: 161 ـ 163.)

[2] ـ مخطوط من ورقة واحدة بخزانة سيدي بومدين بتمنطيط.

[3] ـ الكتاب حققه الأستاذ أحمد جعفري.

- **شرح روضة النَّسْرِين في مسائل التمرين:**

وهو شرح للأرجوزة السابقة الذكر، حيث يقول الشيخ المزمِّري في بدايته مبينا نسبه وسبب وضعه للشرح، بعد الحمد لله، والصلاة على رسوله ﷺ: "يقول العبد الفقير إلى مولاه، محمد بن أب بن أحمد بن عثمان المزمري نسبا، التواتي مولدا ودارا، سامحه الله: لّما منّ الله تعالى عليّ بنظم مسائل التمرين رأيت أن أضع عليه شرحاً وجيزاً يُبين المراد من ألفاظه، وييسر محاولة معناه على حُفّاظه"[1].

ويختمه بقوله: "اللهم إنا نسألك الختم بأعلى مراتب الإيمان، والإسلام، والدخول دنيا وأخرى في زمرة الناجين، أهل سنة نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى بحمد الله وحسن عونه، من خط ناسخها، من خط المؤلف أواسط ربيع الثاني سنة 1233هـ. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا"[2].

(أ) المنهج:

لقد انتهج ابن أب في شرحه روضة النسرين نهجا تعليميا واضحا ينم عن قدرته وبراعته في إيصال الفكرة إلى الطلاب، فهو كما علمنا واضع المنظومة "روضة النسرين في مسائل التمرين" ثم رأى بعد مدة أنها مستغلقة على الطلاب، وقد لا يدركون معنى ما ورد فيها فقام بشرحها، يقول في ذلك: " لّما منّ الله تعالى عليّ بنظم مسائل التمرين رأيت أن أضع عليه

1 - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، تح: أحمد أبا الصافي جعفري، ص: 115.
2 - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 172.

شرحاً وجيزاً يُبين المراد من ألفاظه، وييسر محاولة معناه على حُفّاظه"[1]، فهو لم يطلب منه الشرح بل أدرك ذلك بنفسه، وهذه نباهة من المعلم البارع الذي يعرف قدرات طلابه.

إذ تيسرا لفهم المنظومة قام الشيخ بالشرح وأثناء يشرح اعتمد منهج المزج؛ حيث كان يمزج بين متن المنظومة والشرح، فلا تكاد تمييز بينهما لولا كتابة كلمات المنظومة بلون مخالف لكتابة الشرح؛ فقد كان في البداية يشرح ألفاظ المنظومة لفظة بلفظة، يقول: " فقلت وعلى الله توكلت: **الحمد** أي الثناء الجميل ثابت **لله** وكل من صفاته تعالى جميل، فهو وصف له تعالى بجميع صفاته. **الخبير** أي: العالم بدقائق الأمور. **الملهم** أي: الذي ألهم، أي: وفق وأرشد. **من شاء** إلهامه، أي: أراده **للتعليم** أي لتعليم غيره العلم النافع، **والتعلم** مصدر تعلم، مطاوع علّم، نقول: علمت زيدا العلم فتعلمه، أو بمعنى أتقن. يقال: تعلم الأمر، أي: أتقنه."[2]، فكما لاحظنا لا نكاد نفصل بين كلمات النظم وكلمات الشرح أثناء القراءة.

(ب) ترتيب المادة الصرفية في الكتاب:

لم يخرج الشارح عما نظمه بل عن كلام ابن الحاجب وإنما سار على دربه في ترتيب المادة العلمية، يقول الدكتور أحمد جعفري في ذلك: " جاء ابن أب في القرن الثاني عشر الهجري، وحاول نظم هذه المسائل كما وردت في المتن محافظا على ترتيب ونهج المؤلف

[1] - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 115.
[2] ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 116.

ابن الحاجب، ودون أدنى تغيير يذكر، إلا ما اقتضته منه ضرورة النظم والتأليف من تقديم وتأخير أو تبسيط وتحليل لبعض المسائل، بالإضافة إلى مقدمته وخاتمته على الموضوع"(1).

كان سعي ابن أب واضحا من خلال احترامه لترتيب المادة الصرفية في متن الشافية؛ فهو يقصد إلى تقريب فهمها من الطلاب ليس إلا ومن أجل ذلك نظمها ليسهل حفظها، ثم عاد فشرحها ليسهل فهمها.

(ت) المصادر:

تعددت مصادر ابن أب في الشرح بين الشافية المصدر الأصلي والأول والمعاجم وشروح الشافية وغيرها، وكان الشارح يذكر مصادره صراحة فتارة يشير إليها باسمها، وتارة أخرى يشير إليها باسم مؤلفها وسنقف على بعضها توضيحا.

- **الشافية:**

إن شافية ابن الحاجب في علم التصريف كانت المصدر الأصلي والأول للشيخ ابن أب في منظومته "روضة النسرين في مسائل التمرين" وشرحها؛ حيث قام بنظم القسم الخاص بمسائل التمرين في كتاب الشافية، ثم وضع له شرحا، فكان لزاما أن تكون الشافية هي المصدر الأول، وعليه فهو لم يخرج عن نظامها ترتيبا ولا منهجا، بل إلى أبعد من ذلك حتى النماذج هي نفسها التي وردت في الشافية.

1 ـ محمد بن أب المزمري 1160هـ، حياته وآثاره، ص: 259.

- **شروح شافية ابن الحاجب:**

وما دام ابن أب يشرح في منظومته على شافية ابن الحاجب كان لزاما عليه أن يستعين بشراحها وما أكثرهم[1]، إلا أن ابن أب لم يصرح بأسماء أولئك الشراح في متن شرحه، ويقل الدكتور أحمد جعفري في ذلك: " فقد رجع محمد بن أب في شرحه لبعض الشروح التي سبقته إلى الشافية وغيرها، ونقل عنها دون أن يشير إلى ذلك، ونلمس ذلك من خلال هذه الأمثلة المختارة وما تضمنته من أوجه التشابه بينه وبين من سبقوه"[2]، وهذا أمر عادي بالنسبة للعلماء الكبار.

- **ألفية ابن مالك:**

تعد الألفية مصدرًا نحويًا وصرفيًا مهمًا لكلِّ باحثٍ، فقد رجع إليها الشيخ ابن أب في غير ما موضع إلا أنه لم يصرح بذلك إلا في موضع واحد فقط، حيث قال: "سأل بقلب الهمزة ألفا، وهو كما قال ابن مالك: معتل مثل هاب مرادف لسأل المهموز "[3].

- **المعاجم:**

صرح ابن أب بالمعاجم التي استقى منها شرح بعض المفردات؛ فقد أشار إليها صراحة مثل القاموس المحيط، فقال في شرح لفظة (الحمصيص): "قال في القاموس: والحمصيص

1 ـ ينظر: جامع الشروح والحواشي، 1069/2 ـ 1075.
2 ـ محمد بن أب المزمري 1160هـ، ص:283. وينظر الأمثلة التي اختارها الدكتور أحمد جعفري، ص: 284 ـ 286.
3 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 151.

محركة وقد يشدد ميمه بقلة رملية حامضة تُجعل في الأقط واحدتها بهاء.انتهى"[1]. ومنه كذلك في شرح لفظة (عنى): "عنى أي: حدث. قال في القاموس: عنى الأمر يعني نزل، وحدث. انتهى"[2].

ومثل صحاح الجوهري شرح لفظة (مسطار) حيث قال: أما مسطار بكسر الميم وضمها؛ فهو ضرب من الشراب فيه حموضة. قاله الجوهري"[3].

- **مصادر أخرى:**

استعمل الشيخ ابن أب مصادر أخرى بعضها صرح به وبعضها لم يصرح به، أذكر منها مقامات الحريري[4]، كتب البدليسي[5].

كما ذكر بعض آراء الصرفيين نذكر منهم الأخفش (سعيد بن مسعده)[6]، ابن جني[7]، أبا علي الفارسي[8]، ابن خالويه[9]...

---

1 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 161.

2 ـ نفسه.

3 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 149 ـ 150.

4 ـ ينظر: شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 124 ـ 125.

5 ـ ينظر: شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 170 ـ 171، ولقب البدليسي يحمله العديد من العلماء والشخصيات، ولم نعرف أيهم كان يقصده الشيخ ابن أب، منهم: أبو الفضل محمد بن إدريس بن حسام الدين علي بن حسن النخجواني البدليسي الرومي الدفتري الحنفي المتوفى سنة 982هـ، له تصانيف عديدة منها: التلبيس وتبعيد إبليس، وأصول التلبيس، وأصول التمييز بين التصوف والتدليس...(هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، 253/2.)

6 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 156.

7 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 151 ـ 152.

8 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 128، و129، و131، و132، و146، و147، و148، و150.

9 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 148 ـ 150.

يقول الدكتور أحمد جعفري من طريقة ومنهج ابن أب في استعماله للمصادر: "وعلى العموم فإن محمد بن أب لم يلتزم بنهج محدد في عودته للمصادر والمراجع ونُقُوله عنها، فهو يعود أحيانا ليأخذ النص كاملا من أصله، ويشير إلى ذلك صراحة بذكر المصدر، أو مؤلفه، أو بعبارة (انتهى) التي يضعها للفصل بين نصوصه، وهذه النصوص المنقولة، وأحيانا أخرى يعود لهذه المصادر ليأخذ منها نصوصا كاملة بعينها، ودون أن يلتزم بذكر اسم المصدر أو المرجع، أو اسم المؤلف، كما نجده أحيانا أخرى يعود لينقل نصوصا كاملة أو بعضا منها بالمعنى فقط، دون أن يشي إلى ذلك أيضا"[1].

لم يكن الشيخ ابن أب بدعا في هذا المنهج الذي اتبعه في عودته إلى المصادر؛ فهذا هو ديدن العلماء قديما ومنهم من يتبعه حديثا.

(ث) شواهده:

إن الشواهد الصرفية لا ترقى إلى درجة الشواهد النحوية، ولما كان مسعى ابن أب في هذا الشرح هو تبسيط النظم، والنماذج التمثيلية الواردة فيه وفي الشافية، فهو لم يهتم بحشد الشواهد كثيرا، ومع ذلك فهي لم تخرج عن القرآن الكريم، وكلام العرب شعره، ونثره.

فقد استشهد بآية قرآنية واحد مستشهدا بها على لفظة (مثل) حيث قال: "من مثلي، أي: مني، فلفظة المثل هنا صلة، كما في قوله تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به)"[2].

---

[1] ـ محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره، ص: 287 ـ 288.

[2] ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 121.

كما استشهد بكلام العرب في سبع مواضع؛ فمن الشعر استشهد بأقوال بعض الشعراء دون أن يذكر أسماءهم، إلا بيتين للحريري[1]، أما النثر فقد استشهد بمثلين أحدهما عربي فصيح، والآخر عربي محلي فقد قال عن معنى لفظة (أجرد): "أجرد . بكسر أوله وثالثه وبينهما جيم .: وهو نبت يدل على الكمأة، يسمى بلغة أعراب باديتنا اليوم الرقيق . بالقاف المعقودة . ومن أمثلتهم: (أرني الرقيق، نركالترفاس)"[2].

وكما رأينا فالشيخ ابن أب حتى في الشواهد فهو لا يلزم نفسه بنسبة بعض الأبيات إلى أصحابها وقد رأينا هذا عند الكثير من العلماء الفطاحل كسيبويه والجاحظ والمبرد...

(ج) تعليلاته:

استعمال التعليل لازم وواجب في الشروح وهو ما يلجأ إليه الشراح في شروحهم، وذلك قصد توصيل المعلومة وتوضيحها للقارئ، وأسلوب التعليل في العربية له أدوات كثير، فقد استعمل منها الشيخ ابن أب المزمري (اللام، وإذ) حيث يقول الدكتور جعفري: "نجد المؤلف ابن أب قد وظف حرفي التعليل (اللام) و(إذ) أكثر من خمسين (50) مرة، وهو ما يعكس لنا حرص المؤلف على إقناع سامعيه، وقارئيه من الطلبة وغيرهم"[3].

ولم يقتصر استعمال ابن أب لأدوات التعليل على حرفي (اللام، وإذ) إنما كان يستعمل العبارات كذلك، وسأعرض هذا النموذج من الشرح استعمل فيه (العبارات والحروف) للإقناع

---

1 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 124 ـ 125.
2 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 140.
3 ـ محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره، ص: 273.

والتعليل، حيث يقول: "واعلم أن البناء المذكور إنما يكون من الحروف الأصلية لا من الزوائد إن كانت، حتى لو قيل كيف تبني من (مستغفر) مثل (جدْعُ)؟ لقلت: (غفْرُ) بحذف الزوائد، وإن قولهم: من (كذا مثل كذا) يقتضي التغاير في صيغتي المبني والمُبنى منه، ومادتيهما، فلا يقال: كيف تبني من (ضرب)، مثل (خرج)؟ إذ لا تغيير، ولا من (ضرب) مثل (يضرب)؟ إذ يتم الغرض بأن يقال: كيف يكون مضارع (ضرب)؟ وأنه لا يبنى من شيء أقل منه، كأن يُبنى من الرباعي ثلاثي، لأن ذلك هدم لا بناء"[1]

(ح) موقفه من الآراء والخلافات الصرفية:

إن الشيخ ابن أب كان يعرف مقدرة طلابه معرفة دقيقة مما ساعده على تحديد هدفه ومن ثم رسم غايته من النظم ومن الشرح معا، فلما كان يوجه خطابه إلى طلابه فلم يشأ أن يدخلهم في المتاهات والخلافات الصرفية التي كانت تقع بين الصرفيين حول مسألة من المسائل التي تعرّض لها في نظمه وفي شرحه أيضا مما أضفى على الشرح شيء من البساطة والابتعاد عن التعقيد، وكان يكتفي عند وجود الخلاف بقوله: "قال فيه الأكثر"[2]، و"وقول الآخرين"[3].

وعلى العموم فإن الشيخ ابن أب كان يقف في الكثير من الأحيان موقف الوسط فهو غالبا ما يكون مع رأي الجمهور أو مع الرأي الذي يرى فيه الصواب، فانظر إليه في هذا

1 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 129 – 130.
2 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 128، و130، و132، و133، و151
3 ـ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 132.

الخلاف الصرفي في الحذف القياسي، حيث يقول: "وبناء مثل (اسم) و(غدٍ) من كدعا. الكاف: اسمية، أي من مثل (دعا) على قول الأكثر، وأبي علي (دُعو) . بكسر الدال وضمها . مثل: (اسم)، فإن أصله: (سموُ) . بكسر السين وضمها . و(دعْوُ) . بفتح أوله ، مثل: (غَد). فإن أصله (غَدْوُ) . بفتح أوله . وإنما وافق أبو علي الأكثر في ذلك، لأنه إنما يحذف من الفرع ما حُذف من الأصل قياسا، والحذف في (اسم)، و(غد) ليس بقياس، فيُجريه في مثلها من (دعا)، فقال: يقول الأكثر: إن مثلهما (دُعو) و(دعو) كما تقرر، وورد"[1]، ويزيد الشيخ ابن أب الأمر توضيحا ويفصّل في الأمر ليُبيّن ما ذهب إليه مَنْ خالف الجمهور، حيث يقول: "(ادع) مثل: (اسم)، و(دع) مثل: (غد) للآخرين لأنهم يحذفون ما حُذف في الأصل قياسا، أو غير قياس، ووجهه عندهم في مثل (اسم)، أنه حذف من الأصل اللام، وسُكّنت الفاء، وأوتي بهمزة وصل، فإذا حُذف من الفرع مثل ذلك، احتيج إلى همزة الوصل، فيقال: (ادْعُ). ولا يخفى ما في النظم من اللف، والنشر المرتب على الموضعين"[2].

---

1 ــ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 132، 133.

2 ــ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص: 133، 134.

ثالثا: الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة:

1 ـ وصف المخطوط:

هذا الكتاب هو شرح لبعض الأبيات من ألفية ابن مالك، وضعه صاحبه ليوضح فيه ما تعلّق بالصفة المشبهة، فهو موسوم بـ"الدرر المحمدة في تحقيق معان المشبهة".

المؤلف: عبد الله بن محمد عبد الله بن محمد عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري.

الناسخ: محمد بن ... العربي[1].

حالته: جيدة إلا أن في طرفه متآكل قليلا.

عدد الأوراق: ورقة واحدة من وجهين.

المسطرة: كتب على ورق من الحجم الصغير 25x18.

عدد الأسطر: 28 سطرا في كل وجه.

عدد كلمات السطر: في المتوسط 11 إلى 13 كلمة.

الخط: كتب بخط مغربي متوسط الحجم غير مشكول، واضح ومقروء.

---

[1] ـ كتبت على هامش الورقة الذي مسه التآكل.

بدايته: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله. يقول المستغفر من ذنبه، الفقير إلى رحمة ربه، عبد الله بن محمد عبد الله بن محمد عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري، غفر الله له ولواديه، وتجاوز عنهما بمنه وكرمه آمين".

نهايته: "لكن لما أشبهت اسم الفاعل المتعدي لواحد عملت عمله، وعمل مبتدأ، ولها خبره، ثم أشار إلى الوصف الرابع والخامس المختص بها".

- **توثيق نسبة الكتاب:**

إن كتب التراجم التي ترجمت لأعلام توات لم تذكر له هذا العنوان، إلا أنني عثرت عليه في خزانة سيدي بومدين بتمنطيط ومكتوب عليها عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وهذا مما لا يدع مجالا للشك.

- **التحقق من عنوان الكتاب:**

من خلال اطلاعنا على المخطوط تبين لنا أن المؤلف سمى كتابه "الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة"، وقد ذكر ذلك في مقدمته صراحة، ولم يكن الشيخ محمد عبد الله بِدْعا في ابتكار هذا العنوان، فقد سبقه إلى ذلك الكثير ممن سموا كتبهم بالدرر.

- **سبب التأليف:**

ذكر المؤلف في بداية كتابه سبب تأليف الكتاب، وليس هو كما تعودنا قراءته من بعض الشروح أنه بطلب من الطلاب أو أحد الأصدقاء، إنما هو الخوف على ما عنده من النسيان، فقال: "ولا حملني عليه إلا كثرة النسيان الذي غلب عليّ، وأسأل من الله الإعانة والتوفيق إلى سواء الطريق، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به ومن تلقاه بقلب

سليم، إنه جوّاد كريم رؤوف رحيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم"[1].

- **قراءة في العنوان:**

المتمعن في العنوان يدرك قصد المؤلف فقد كوّن عنوان كتابه من كلمات تحمل دلالات كثيرة ومعبرة، وقد حاول توضيحه بقوله: "وبعد: فهذا توضيح إن شاء الله تعالى لمن اهتم بالصفة المشبهة في ألفية ابن مالك، رافعا الحجاب كاشفا النقاب جامعا لبعض فوائدها، تفهم به ألفاظها ويقرب ما بَعُد من عبارتها، مقتصرا على الفوائد التي لا غَناء عنها، معترضا عن الكثرة لا حاجة بها ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان، 67] تقريبا على المبتدئين، وسميته بـ "الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة""[2].

من خلال هذا التقديم للمؤلف ندرك دلالة كلمات العنوان فهو يتكون من: (الدرر)، (المحمدة)، و(تحقيق)، و(معاني المشبهة).

فـ(الدرر) جمع درة، وهي الشيء الثمين والنفيس كاللؤلؤ والجوهر، جاء في لسان العرب: "درر: دَرَّ اللبنُ والدمع ونحوهما يَدِرُّ ويَدُرُّ دَرّاً ودُرُوراً...ودَرَّت السماء بالمطر دَرّاً ودُرُوراً إذا كثر مطرها؛ وسماء مِدْرَارٌ وسحابة مِدْرَارٌ... والدُّرَّةُ: اللؤلؤة العظيمة؛ قال ابن دريد: هو ما عَظُم من اللؤلؤ، والجمع دُرٌّ ودُرَّاتٌ ودُرَرٌ "[3].

فالمعنى إذا سواء جعلتها من الكثرة، فإن الفوائد التي يأتي بها في الكتاب كثيرة، ومن حيث القيمة فهي ثمينة عظيمة.

[1] ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن الصالح بن البكري، مخطوط بخزانة سيدي بومدين بتمنطيط، ادرار.
[2] ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة.
[3] ــ لسان العرب، مادة (درر)، 241/5.

إما (المحمدة) فهي نسبة إلى محمد وهو اسمه (محمد عبد الله) فالدرر منسوبة إليه، فهي صادرة عن "محمد عبد الله"، أو قد تكون صفة مشبهة من محمد مدحا لها.

و(تحقيق) والمراد به التوضيح حيث قال في البداية "هذا توضيح"، أراد به تبيين وتوضيح ما غمض من الصفة المشبهة. والمشبهة وهو اختصار لاسم الصفة المشبهة، كما يمكن أن نستشف منها انه أراد أن يميّز بينها وبين اسم الفاعل.

ومن خلال هذه القراءة المعجمية لكلمات ومفردات العنوان يتبين ويتضح لنا ما يأتي:

- غياب كلمة الصفة من العنوان جعلته غامضا نوعا ما، بحيث أن القارئ للوهلة الأولى لا يدرك بأنه يقصد الصفة المشبهة.
- حسن اختيار ألفاظ العنوان بحيث جعله جذابا وبراقا بريق الدرر، مع ضعف في الصياغة التي أرادها أن تكون مسجوعة إلا أنها امتنعت عليه.
- اختياره لمفردة الدرر تدل على قيمة الكتاب وما يحتويه من فوائد متصلة اتصال المطر، وغير منقطعة.
- اختياره لمفردة تحقيق فيها دلالة على أن هناك شيء ما فيه اختلاف وتضارب والتباس، وفي حاجة إلى من يحققه ويخرجه للناس محققا وواضحا مفهوما محسوما.

2 ـ الدراسة التحليلية:

(أ) المنهج:

اتبع المؤلف في كتابه نهجا تقليديا مجاريا فيه القدامى الذين قاموا على شروح الألفية، فقد يعرض البيت الواحد ثم يقوم بشرحه، كما هو الشأن في قوله: "قال الناظم هذا باب الصفة المشبه باسم الفاعل:

(صِفَةٌ اسْتحسن جَرُّ فَاعِل   مَعْنًى بِهَا المُشَبَّهَة بِاسْمِ فَاعِل)

أي تتميز الصفة المشبهة عن اسم الفاعل باستحسان جر فاعلها"[1]، وقد يعرض شطرا واحدا من البيت ثم يقوم بشرحه، كما هو الشأن في قوله: "(وعمل اسم فاعل المعدى لها)، أي ثابت لها على الحد الذي قد جرى، يعني أن الصفة المشبهة باسم الفاعل تعمل عمل اسم الفاعل المعدى لواحد"[2]، كما كان يتعرض لإعراب بعض الكلمات في الأبيات المقصودة، كما هو الشأن في قوله: "و(صفة): مبتدأ، و(المشبهة): خبر"[3].

(ب) ترتيب المادة الصرفية في الكتاب:

إن المؤلف في كتابه هذا اقتصر على الصفة المشبهة باسم الفاعل في ألفية ابن مالك، ولهذا جاءت المادة الصرفية في الكتاب مقتصرة عليها فقط؛ فمن خلال العنوان يتبين لنا أن المؤلف يريد تحقيق هدف محدد سلفا، ألا وهو تقريب معاني الصفة المشبهة وتوضيح ما

---

1 ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 1.
2 ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.
3 ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 1.

يتعلق بها من مسائل من خلال الألفية، ومن هنا فهو لم يخرج عن ترتيب المادة الصرفية التي أودعها الناظم في ألفيته؛ حيث جاءت على الترتيب الآتي:

- جواز جر الصفة المشبهة لفاعلها.
- صياغة الصفة المشبهة من الفعل اللازم.
- شروط عمل الصفة المشبهة.

(ت) **المصادر:**

لما كان هدف الشيخ عبد الله هو توضيح ما تعلق بالصفة المشبهة باسم الفاعل في ألفية ابن مالك، فإننا لم نجد في التوضيح إشارة واضحة إلى كتب صرفية، أو غيرها من الكتب الأخرى؛ فقد اعتمد الشارح بالدرجة الأولى على ألفية ابن مالك، وعلى بعض شروحها، كما أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن الشارح كان له منهجه في النقول؛ فهو قد يشير إلى المصدر الذي اقتبس منه إشارة واضحة وصريحة، وقد لا يشير إلى ذلك إطلاقا.

يمكن تقسيم مصادر المؤلف إلى قسمين، قسم يعد المصدر الأول وهو الألفية، وقسم يمكن عده مراجع وهي الشروح.

- **ألفية ابن مالك:**

مادامت هي موضوع الشرح، فقد كانت المصدر الرئيس والمعول عليه فقد كان الشارح يعرض كلام ابن مالك، ويشير إلى ذلك بطرق مختلفة، حيث يقول مثلا: "ثم ذكر علامة الصفة المشبهة"[1]، أو يقول: "بقوله: (وصوغها من لازم لحاضر)"[2]، أو بقوله: "قوله: (كطاهر القلب)"[3].

- **شروح الألفية:**

لقد اعتمد على شروح الألفية فكان يأخذ منها أخذا مباشرا، وغير مباشر، وقد يشير إليها، وقد لا يشير إلى ذلك، فقد أخذ من المكودي وأشار إلى ذلك في مناسبتين؛ إحداهما حيث قال: "(وصوغها): مبتدأ، و(من لازم والحاضر): متعلقان به، والخبر محذوف لدلالة سياق الكلام عليه...وتقديمها واجب، قاله المكودي"[4]، وثانيهما قال: قال المكودي: "ولا ينبغي أن تعمل على جميع الشروط السابقة التي منها أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال لأنه نص على أنها لا تكون إلا للحال بقوله: (لحاضر)"[5].

أما التي لم يشر إليها فعل سبيل المثال لا الحصر شرح الأشموني حيث أخذ كلامه ولم يشر إليه حيث قال: "أي تتميز الصفة المشبهة عن اسم الفاعل باستحسان جر فاعلها

---

1 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.
2 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.
3 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.
4 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2، ينظر: شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تح: فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت 1993م، 495/1 ــ 496.
5 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2، وينظر: شرح المكودي على ألفية ابن مالك، 496/1.

بإضافتها إليه"[1]، وذات الكلام موجود في شرح الأشموني[2]، ومنه كذلك في قوله: "إنما قيد الفاعل بالمعنى لأنه لا تضاف إلا بعد تحويل الإسناد عنه إلى ضمير الموصوف كما تقد لنا فلم يبق إلا فاعلا من جهة المعنى. الثاني: وجه الشبه الذي بينها وبين اسم الفاعل تُؤَنث وتُثنى وتُجمع"[3]، ونفس الكلام قاله الأشموني في شرحه[4].

ومن شرح ابن عقيل حيث أخذ معنى الصفة فقال: "والمراد بالصفة المشبهة ما دل على معنى وذات، وهذا يشمل اسم الفاعل، واسم المفعول، وأفعل التفضيل، والصفة المشبهة"[5]، أما ابن عقيل فقد قال: "المراد بالصفة: ما دل على معنى وذات، وهذا يشمل: اسم الفاعل، واسم المفعول، وأفعل التفضيل، والصفة المشبهة"[6]

هذه هي طريقة الشيخ عبد الله في التعامل مع المصادر التي اعتمدها، وهذا الأمر ليس غريبا على تلك العصور، فإذا عرفنا الظروف الطبيعية لإقليم توات حيث شح الموارد، وقلة الكتب إن لم نقل انعدامها بين أيدي الطلبة فيصير الأمر مقبولا جدا، ومن ناحية أخرى فإن الشيوخ والعلماء مع سعة اطلاعهم تصير المعرفة والمعلومة التي اطلعوا عليها معرفة ضمنية يصعب عليهم مع مرور الزمن تحديد مصدرها الأمر الذي يجعلهم لا يستطيعون توثيقها إلا في القليل النادر.

(ث) شواهده:

لم يهتم الشيخ عبد الله بالشواهد، بل لم يأت بشاهد واحد في ما هو بين أيدينا، وهو على درب من سبقه كابن عقيل والأشموني والمكودي وغيرهم من شراح الألفية، واكتفوا كما اكتفى

1 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 1.
2 ــ ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، 4/3.
3 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص 1، 2.
4 ــ ينظر: شرح الأشموني، 4/3.
5 ــ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.
6 ــ شرح ابن عقيل، 140/2.

بالأمثلة التي أوردوها وهي: "حسن الوجه"، و"منطلق اللسان"، و"زيد مضروب الأب"، و"زيد ضارب أبوه"، و"ضامر البطن"، و"مستقيم الحال"، و"متعدل القامة"،...

ولما كان اهتمام الشراح منصبا على إيصال معاني الألفية فإنهم قد اكتفوا بأمثلة تقرّب فهمها من الطلاب والقراء.

(ج) تعليلاته:

إن التعليل ملازم لعملية التعلم، وذلك لأن المتعلم من الضروري أن يسأل معلمه عن سبب الظاهرة التي يسمعها أو يراها إن كانت مكتوبة، ولهذا اهتم الشيخ عبد الله بظاهرة التعليل ولاحظت أن التعليل عنده يطرح بطريقة السؤال والجواب؛ فهو يطرح سؤالا افتراضيا ثم يتولى الإجابة عنه وقد حدث هذا معه في تعليل الفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل، حيث قال: "فإن قلت: ما الفرق بين الصفة المشبهة وبين اسم الفاعل؟ قلت: أنها لا تضاف إلا بعد إسنادها إلى ضمير الموصوف ويصح فيها ذلك، نحو: زيد حسن الوجه"[1]، وفي تعليل اقتصار الناظم على ذكر الجر دون النصب في المنظومة، حيث قال: "فإن قلت: لماذا اقتصر على الجر؟ قلت: لأنه المستحسن، وأما النصب فإن فيه إجراء القاصر مجرى المتعدي"[2].

[1] ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 1.
[2] ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.

(ح) الزيادة والتفصيل:

لقد صرح الشيخ عبد الله في بداية كتابه بهدفه في عمله هذا ولا بأس أن نعيد مقالته في هذا المقام: " فهذا توضيح إن شاء الله تعالى لمن اهتم بالصفة المشبهة في ألفية ابن مالك، رافعا الحجاب، كاشفا النقاب، جامعا لبعض فوائدها، تفهم به ألفاظها ويقرب ما بَعُد من عبارتها، مقتصرا على الفوائد التي لا غنى عنها، معترضا عن الكثرة لإصابتها (وكان بين ذلك قواما) تقريبا على المبتدئين، وسميته بـ "الدرر المحمدة في تحقيق معان المشبهة""[1]

فهذه العبارة الوجيزة تكشف لنا عن منهج وهدف الشيخ من عمله هذا؛ فهو يخبرنا أنه سيقوم بتوضيح قول ابن مالك في الصفة المشبهة، ليقرب ألفاظها وعباراتها، كما أنه سيجمع فوائدها، وهذا ما رأيناه من خلال حديثنا عن مصادره.

فالشيخ لم يقتصر على ما جاء في المنظومة بل كان يأتي بإضافات سكت عنها ابن مالك، ومن أمثلة ذلك حينما فرق بين الصفة المشبهة وبين اسم الفاعل.

ومن زيادته على قول ابن مالك أثناء شرحه نأتي بهذا النص حيث قال: "

(صِـــفَةٌ اسْتُحْسِـــنَ جَـــرُّ فَاعِـــل مَعْنًـــى بِهَـــا المُشَـــبَّهَة بِاسْـــمِ فَاعِـــل)

أي تتميز الصفة المشبهة عن اسم الفاعل باستحسان جر فاعلها بإضافتها إليه وذلك نحو: حسن الوجه، ومنطلق اللسان أصلهما حسنٌ وجهه، ومنطلقٌ لسانه، وكذلك اسم

[1] ـ الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، ص: 2.

المفعول تجوز إضافته إلى مرفوعه نحو: زيد مضروب الأب، فحينئذٍ جرى مجراها بخلاف اسم الفاعل، فتارة تمتنع فيه الإضافة نحو: زيد ضارب أبوه، فلا تقل زيد ضارب الأب بإضافة الوصف إلى الفاعل، وتارة لا تستحسن"[1].

ففي هذا النص لا يقف الشيخ عند المراد من قول ابن مالك بأن يذكر قاعدة (استحسان جر الصفة المشبهة لفاعلها) فقط بل زاد على ذلك بأن اسم المفعول كذلك تجوز إضافته إلى مرفوعه، بخلاف اسم الفاعل الذي لا يجوز فيه ذلك، مع إعطاء أمثلة على ذلك.

ولم يكتف بما أتي به شرحا وتوضيحا لقول ابن مالك، إنما أتى بتنبيهات استكمل بها جوانب القضية وهذا ما صرح به في بداية كتابه.

(خ) مذهبه النحوي والصرفي:

إن اهتمام الشيخ بالتعليل وتعويله عليه، وما ذهب إليه من مسائل نحوية وابتعاده عن الخلافات النحوية والصرفية كل هذا ينم عن مذهب الرجل فإن مذهبه النحوي هو المذهب البصري، مع استعماله لمصطلح كوفي واحد أثناء توضيحه وشرحه وهذا المصطلح هو (القاصر) بدلا عن اللازم.

[1] ـ الدرر المحمدة في تحقيق معان المشبهة، ص: 1.

خلاصة:

إن جهود علماء توات في هذا المجال مجال الشروح الصرفية لم يكن بالدرجة التي كانت عليها شروح المتون النحوية، والسبب يرجع إلى صعوبة علم الصرف كما اعترف بذلك بعض العلماء العرب على الرغم من إجماعهم على ضرورته لدارس اللغة العربية والقرآن الكريم.

وعلى الرغم من قلة الشروح الصرفية عند علماء توات مقارنة حتى بالمتون التي وضعوها فيه، فإن تلك الشروح التي درسناها تعطي إحساسا بقيمة هذا العلم عندهم، وكذا اهتمامهم به.

الباب الثـــالث:

الدرس المعجمي

بإقليم توات

المعجم العربي

ظهرت الحاجة إلى معرفة الكلمات الإسلامية معرفة خاصة حين شرع الفقهاء والمفسرون والمحدِّثون في استنباط الأحكام وتجريد القواعد وتدوين المؤلفات، وكان الناس قبل ذلك يتلقون هذه المعرفة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ومن خلفهم ممن تبحر في العربية، ووعى الشرائع التي جاءت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن هنا ظهرت العناية باللغة العربية ومصادرها وكتبها كالمعاجم[1]، وأدرك العرب أهمية المعجم في حياتهم العلمية والدينية؛ فكان لزاما أن يبحثوا في لغات العرب عن الألفاظ، ومرت عملية جمع اللغة بمراحل، إلى أن وصلوا إلى وضع معاجم، فتعددت مدارسها وأصنافها.

1 ـ نشأة المعاجم العربية:

لم تظهر المعاجم العربية على ما هي عليه اليوم بل مرت بمراحل كثيرة حتى وصلت إلى هذا المستوى بداية بجمع اللغة، ثم صناعة المعاجم ولهذا فسوف نتعرض بشكل موجز لمراحل جمع اللغة ثم صناعة المعجم العربي.

جمع اللغة:

قام بعض علماء العربية بالارتحال إلى البادية بقصد جمع اللغة من أفواه الفصحاء العرب الذين لم تختلط لغتهم بالعُجمة؛ حتى صار العَالِم منهم يعتز ببقائه في البادية مدة طويلة من عمره[2]، كان علماء العربية الذين خرجوا إلى البوادي بحثا عن الفصحاء لتدوين اللغة حرصين أن تبقى اللغة نقية سليمة، فلا يأخذون شيئا إلا ممن لم تفسد ألسنتهم

[1] ـ ينظر: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط: 1، 1422هـ ـ 2001م، ص: 39 - 40.

[2] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، د ط، د ت، ص: 286.

وسلائقهم[1]، وهذا ما أدى إلى رفضهم لكثير من كلام العرب، وفيما يأتي هذه هي مراحل جمع اللغة من أفواه العرب.

المرحلة الأولى:

اعتنى فيها أصحابها بجمع كلام العرب وأشعارهم ومن ثمَّ الكلمات كيفما كانت وحيثما اتفقت، حيث صار هَمُّ الجامع هو الجمع فحسب.

- **المرحلة الثانية:**

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد؛ حيث صار هَمُّ الجامع تصنيف الكلمات ذات الموضوع الواحد وهذا نوع من التصنيف والتنظيم.

- **المرحلة الثالثة:**

وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية، وهو غاية في الدقة والتنظيم والمنهجية وهي المرحلة الناضجة للمعاجم العربية[2].

ولكل مرحلة من هذه المراحل روادُها وكُتُبها إلا أنها متداخلة فيما بينها، ويرى الدكتور حسين نصار أن تسلسل هذه المراحل طبيعي وغير عملي، وذلك لأن أول الأبحاث اللغوية دارت حول الألفاظ القرآنية أو ما عرف بغريب القرآن ولغاته[3].

---

[1] ـ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية، ص: 286.

[2] ـ ينظر هذه المراحل: الألمعية في الدراسات المعجمية، العمري بن رابح بلاعدة القلعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 21 ـ 24، وضحى الإسلام، 2/ 263 ـ 166، والمعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص: 19 ـ 21، وهناك من الباحثين من يرى بأن التأليف المعجمي مر بمرحلتين فقط، ينظر: "المعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها"، ص: 15 ـ 29.

[3] ـ ينظر رأيه وردّه: المعجم العربي نشأته وتطوره، ص: 29.

صناعة المعجم العربي:

- **المرحلة الأولى:**

التأليف في غريب القرآن ويعزى ذلك إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ حيث تعد هذه الخطوة النواة الأولى للتأليف المعجمي، كما تشير بعض المصادر إلى أن لعبد الله بن عباس كتابا في غريب القرآن "كتاب غريب القرآن" الذي حققه الدكتور أحمد بولوط، وقد عُرف بأسماء أخرى هي: "بيان لغات القرآن" و"كتاب اللغات في القرآن" و"لغة القرآن"[1]، وتوالت بعده التصانيف في غريب القرآن على طريقتين: نظم ونثر[2]، وعلى أنماط مختلفة ومتعددة[3]

- **المرحلة الثانية:**

مرحلة تدوين النوادر وهي في الألفاظ الغريبة والشاذة، والتي جاءت بعد جمع كلمات اللغة، وما يلاحظ على التصنيف في هذه المرحلة هو عدم الترتيب في المفردات موضوعا أو حروفا؛ فقد كان هَمُّ الجامع تدوين الكلمات بعد جمعها في مؤلفات عرفت باسم "النوادر".

- **المرحلة الثالثة:**

في هذه المرحلة صنف علماء العربية كتبا يمكن أن تسمى معجما، لأنها كانت مرتبة على حسب الموضوع؛ فهناك كتاب الوحوش للأصمعي، والخيل والإبل وغير ذلك، وهذه المرحلة كانت متداخلة مع المرحلة السابقة ويصعب الفصل بينهما، ومؤلفات المرحلتين تفتقد إلى المنهجية.

---

[1] ـ ينظر: مقدمة المحقق، كتاب غريب القرآن، عبد الله بن عباس، تح: احمد بولوط، مكتبة الزهراء ، القاهرةن ج م ع، ط: 01، 1413هـ ـ 1993م، ص: 33.

[2] ـ ينظر مقدمة التحقيق في: غريب القرآن، لابن عباس، ص: 20 ـ 32، وبهجة الأريب في بيان ما كان في كتاب الله العزيز من الغريب، التركماني، تح: خالد محمد خميس، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، ج م ع، القاهرة، د ط، 1422هـ ـ 2002م، ص: 8 ـ 16، وغيرهما...

[3] ـ ينظر: ألفية الغريب، ص: 25 ـ 27.

- **المرحلة الرابعة:**

وهي المرحلة الأكثر نضجا من حيث المنهج والتنظيم؛ بحيث كان لها منهج وترتيب معينان، كما اعتمدت على نظام التقليبات، وفيها ظهرت المعاجم الكبرى التي حاولت جمع ألفاظ اللغة كلها؛ كالعين، والجمهرة التي اتخذت من الصوت منهجا.

- **المرحلة الخامسة:**

وهي المرحلة التي عرفت تغييرا في منهج الخليلي الصوتي وجاءت المعاجم مرتبة على الأبنية أو على حسب أصول الكلمة إما على أواخر الأصول، أو على أوائلها[1]

إن هذه المراحل كانت أمرا طبيعيا أن تمر به المعاجم حتى تصل إلينا في هذه الصورة الكاملة الناضجة، وما زالت المعاجم الحديث تبحث عن التيسير وسهولة وجود المادة اللغوية فيها.

وهكذا مع مرور الزمن ظهرت المعاجم العربية الشاملة التي تشمل ألفاظ اللغة العربية كلها؛ حيث حاول أصحابها جمع المستعمل والمهمل من اللغة العربية حسب ما صح عندهم، وكذا جمع غريبها ونادرها ولغاتها ومعارف العرب أو النواحي المختلفة من الثقافة العربية[2].

وكان للمعاجم العربية مناهج في الترتيب والتبويب، أوجدت مدارس معجمية صُنفت بحسب منهجها في التبويب والترتيب، وهي:

1 ـ ينظر هذه المراحل في: المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، ص: 14 ـ 16.
2 ـ ينظر: مباحث لغوية، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 49.

(أ) مدرسة النظام الصوتي ونظام التقليبات:

بنت هذه المدرسة معاجمها على أساس صوتي؛ فقد اعتمدت الترتيب الصوتي للحروف بحسب مخارجها وتقاليب الأصوات التي تتكون منها الأصول اللغوية، وهذه الطريقة يأمن معها عدم التكرار، وكذلك النقص والإغفال، وبهذا كان الخليل قد أحصى العربية إحصاء تاما وهيأ مادة مصنّفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صنفوا، واهتدى إلى طريقة التقليب التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من العربية والمهمل منها، فعقد الكتاب على المستعمل وأهمل المهمل[1].

وأصبح هذا المنهج وذلك النظام سمة تميز هذه المدرسة والمرحلة من التأليف المعجمي[2].

(ب) مدرسة النظام الألفبائي الهجائي أوائل الأصول:

وهي المدرسة الثانية التي عرفت انتشارا كبيرا وواسعا بين مؤلفي المعاجم اللغوية العربية، ونظرا لصعوبة البحث في معاجم المدرسة السابقة ظهرت هذه المدرسة بهذا المنهج الذي اعتمد على أوائل الأصول، وذلك بترتيب المواد حسب الحرف الأول لها، وفق ترتيب الحروف الهجائية المعروف من الهمزة إلى الياء.

(ت) مدرسة النظام الألفبائي الهجائي أواخر الأصول(التقفية):

وأول من ابتدع هذا النظام هو الجوهري؛ حيث رتب مواد كتابه الصحاح حسب الترتيب الألفبائي القائم على القافية أي أواخر الأصول، فقد رتب الجوهري مواد معجمه حسب أصولها وفق النظام الألفبائي المعروف، وتبعه في هذا النظام جملة من المعجميين نذكر

---

1 ـ ينظر: مقدمة تحقيق كتاب العين، 8/1.

2 ـ ينظر: المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 44.

منهم ابن منظور في كتابه "لسان العرب"، والفيروز آبادي في كتابه "القاموس المحيط"، وغيرهما.

فكما لاحظنا فالمدارس المعجمية لا تختلف فيما بينها إلا في المنهج وطريقة التنظيم والتبويب، وعليه فالمعاجم اللغوية كلها تنهل من معين واحد، ومادام المورد واحدا، فما تعدد الطريقة والأسلوب إلا إثراءً لثقافة العربي واللغة العربية.

هل عرف علماء توات الصناعة المعجمية؟ وما هي أصناف المعاجم التي صنفوها؟

الفصل الأول

جهود علماء توات في التصنيف المعجمي

تمهيد:

كان لعلماء توات نصيب في التأليف المعجمي، وإن لم يكن ذلك التأليف تأليفا معجميا بما تحمله الكلمة من معنى؛ إلا أنه يندرج تحت المعجمية لأن جهودهم تلك تكاد تنحصر في ألفاظ القرآن الكريم، كما كان مؤلفاتهم في معظمها شعرا ومن ثمت شرحا لتلك المنظومات الشعرية.

1 ـ اهتمام علماء توات بالتصنيف المعجمي:

لقد اهتم التواتيون بألفاظ القرآن الكريم أشد الاهتمام فأرادوا أن يصنفوا في شرح معاني ألفاظه؛ فكان لهم ذلك، والباحث في الخزائن التواتية يجد نسخا كثيرة من كتب المعاجم العربية، وكذلك المطلّع على إنتاجاتهم يدرك مدى اطلاعهم على المعاجم، ومن أبرز المعاجم التي دارت على ألسنة علماء توات في كتبهم، ووجدت في خزائنهم نذكر:

- ✓ القاموس المحيط للفيروز آبادي
- ✓ الصحاح للجوهري
- ✓ مختار الصحاح للرازي
- ✓ المصباح المنير للفيومي
- ✓ لسان العرب لابن منظور
- ✓ معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي
- ✓ غريب القرآن للسجستاني
- ✓ منظومة في غريب القرآن للمجاصي

وغيرها من المعاجم العربية الأخرى، ولما أراد علماء توات مجاراة نظرائهم في هذا الفن، بعد اطلاعهم عليه وتفهّمهم له أدركوا حاجتهم إلى هذا العلم وبشكل خاص لفهم معاني ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ فظهرت لنا كتب تجلت فيها تلك المطالعات والمفاهيم، ومن الكتب التي ألفت في هذا المجال نذكر:

- ✓ كتاب غريب القرآن الكريم (منظومة) لمحمد الزجلوي(1212هـ)[1]
- ✓ كتاب في أوصاف الخيل (منظومة) للبكري بن عبد الرحمن التينيلاني(1329هـ)[2]
- ✓ منظومة أنواع الضرب لعبد الرحمن حفصي(مازال حيا)[3]
- ✓ كتاب الغرة في الجبين لأوجه في الكلم المبين (منظومة) لعبد الرحمن حفصي[4]

كل هذه الكتب التي ألفت في هذا المجال عبارة عن منظومات منها المطولة ومنها غير ذلك، ويمكننا أن نصنف هذه الكتب إلى صنفين اثنين مؤلفات في معجمية القرآن الكريم، ومعاجم خاصة، وهذا ما يجرنا إلى الحديث عن هاذين النوعين من المعاجم في إقليم توات.

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم وبحثوا عن معاني ألفاظه وكان أول من صنف في ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبالتحديد في غريب القرآن، وكان يبحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم في الشعر العربي وقال قولته الشهيرة "الشعر ديوان العرب"، وتوالت بعده التصنيفات في غريب القرآن تباعا على شكلين؛ نثري، وشعري، لم يتوقف الأمر في دراسة معاني ألفاظ القرآن الكريم عند غريبه فحسب بل زاد الأمر إلى دراسة الوجوه[5] والنظائر[1] فيه، وقد صنف المسلمون في هذا المجال الكثير من الكتب منها:

---

1 ـ الكتاب حققته في رسالة الماجستير بجامعة ادرار سنة 2009م.
2 ـ الكتاب لم يحقق وتوجد نسخ منه في بعض الخزائن بتوات مثل خزانة ابن الوليد بادرار، والخزانة البكرية بتمنطيط...
3 ـ الكتاب لم يحقق ومنه نسخة عند المؤلف ولدي صورة منها.
4 ـ الكتاب لم يحقق بعد وهو مرقون على جهاز الحاسوب عند المؤلف وعندي نسخة منه.
5 ـ الوجوه: هي اللفظ الذي يحتمل عدة وجوه من المعاني، ما يعرف في اللسانيات الحديثة بتعدد المعنى، ودرس قديما ضمن المشترك اللفظي.

✓ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزي للفيروز آبادي.

✓ قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني.

وغيرهما كثير في هذا المجال، ومن هنا فقد كان لعلماء توات نصيبهم من التأليف والتصنيف في هذا النوع من الكتب، إلا أن الأمر عندهم لم يتعد النظم، فهم لم يألفوا كتبا منثورة إنما كتبوها شعرا، وذلك ما يفسر توجههم التعليمي.

لم يتوقف التأليف عندهم على النظم في غريب القرآن والوجوه والنظائر فيه فحسب بل زاد الأمر إلى أمور أخرى، فقد صنفوا في المعاجم الخاصة (الموضوعات)، وهي المعاجم التي تتناول موضوعا واحدا فقط، وقد ألف فيه علماء العرب قديما بل كانت أول المعاجم ظهورا.

إن التصنيف في معجمية القرآن الكريم يتطلب من المؤلف سعة الاطلاع، ومعرفة وجوه العربية لأنه يكاد يكون نوعا من التفسير؛ فالمؤلف فيه مفسر للقرآن الكريم، ولا يخوض في تفسير القرآن إلا من تملك ناصية العربية وعرف معانيها ووجوهها.

برز في توات خلال القرن 12هـ إمام كان له اطلاع واسع بالعربية وعلومها[2]، فحاول جمع عصارة مطالعاته حول القرآن الكريم في منظومتين، إحداهما عرفت بـ"ألفية التفسير"[3]، والأخرى عرفت بـ"ألفية غريب القرآن"، ومادام الأمر على ما هو عليه فليس بين أيدينا إلا ألفية غريب القرآن لدراستها.

---

1 ــ النظائر: هي تلك الألفاظ التي تتعدد ألفاظها وتختلف معانيها، كالتضاد.

2 ــ الإمام هو محمد الزجلوي، المعروف بابن العالم، كان عالما وفقيها ولغويا وشاعرا عروضيا.(ينظر ترجمته في: ألفية الغريب، ص: 11 ــ 23، و"ابن العالم سيدي محمد الزجلوي (حياته وإسهامه في الحركة العلمية بتوات)"، بقادر عبد القادر، الحقيقة جامعة ادرار، ع: 18، 2011م، ص: 30 ــ 39،و"الشيخ ابن العالم ومنهجه في التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم من خلال الفية الغريب"، بقادر عبد القادر، الأثر، ع: 09، 2010م، ص: 68 ــ 71.)

3 ــ هذه الألفية مازالت مفقودة. (ينظر: ألفية الغريب، ص: 17.

2 ـ الشيخ ابن العالم الزجلوي ومنظومة "ألفية غريب القرآن":

لما كان الاهتمام بالقرآن الكريم حفظا ودراسة من أهم وظائف الزوايا بتوات وبغيرها من بقاع العالم الإسلامي، رأى الكثير من العلماء وجوب التأليف فيه فعرف القرآن الكريم أصنفا من التآليف فهناك من فهرس ألفاظه تيسيرا على الباحث فيه، ومنهم من صنف في معاني ألفاظه، ومنهم من صنف في غريبه...

ومن هذا المنطلق قام الشيخ ابن العالم بتأليف منظومته "ألفية غريب القرآن" التي تضمنت ألف بيت بتمامها، يقول في مطلعها:

الحَمْـــدُ لِلَّـــهِ الّـــذِي قَـــدْ شَرَّفَـــا مَبَاحِـــثَ التَّفْسِـــيرِ فِيمَـــا عَرَّفَـــا

وَجَعَـــلَ انْتِحَالَـــهُ فِـــي الأَجْـــرِ مِثْـــلَ الشَّهَـــادَةِ النَّفِيـــسِ الذُّخْـــرِ

حَسَبَـــمَا جَـــاءَ عَـــنِ الفَـــارُوقِ، وَحُكْمُـــهُ الرَّفْـــعُ عَـــلَى التَّحْقِيـــقِ

إِلَـــى رَسُـــولِ اللَّـــهِ هَـــادِيَ الأَنَـــامْ عَلَيـــهِ أَفْضَـــلُ الصَّـــلاةِ وَالسَّـــلامْ

وَجَـــاءَ أَيْـــضًا:" أَعْـــرِبُوا القُـــرْآنَا وَالتَمِـــــسُوا غَرِيبَـــــهُ بَيَانــــــاً"[1]

ويختمها بقوله:

وَالحَـــــمْدُ للهِ الَّـــــذِي بِنِعْـــــمَتِهْ يَـــتِمُ كُـــلُّ صَـــالِحٍ مِـــنْ هِبَـــبَتِهْ

نَسْـــأَلُهُ مِـــنْ فَضْـــلِهِ القُـــبُولَ لَـــهْ، وَأَنْ يُـــــدِيمَ نَفْعَـــــهُ مَـــــنْ حَصَّــــلَهْ

بِجَـــاهِ خَيْـــرِ الأَنْبِيَـــا بَـــدْرِ التَّـــمَامْ عَـــلَيْهِ أَزْكَـــى الصَّـــلَوَاتِ وَالسَّـــلامْ[2]

---

[1] ـ ألفية غريب القرآن، ص: 101.

[2] ـ ألفية غريب القرآن، ص: 301.

(أ) أقسام المنظومة:

فقد صرّح في المنظومة بأنه قسم دراسته لألفاظ غريب القرآن إلى ثلاثة أقسام، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن ابن العالم قد استعمل 1341 لفظة قرآنية تعرّض إلى شرحها وتفسيرها، وفيما يأتي سأعرض أقسام المنظومة كاملة:

- **الافتتاحية(خطبة الكتاب):**

بدأ المنظومة بالحمدلة ثم شرع في تبين فضل علم التفسير عامة وغريبه خاصة مستشهدا بالأحاديث النبوية الشريفة وذلك من البيت 01 إلى 06، كما ذكر منهجه، ومصادره وأقسام المنظومة من البيت 07 إلى 25.

- **المقدمة:**

ذكر فيها أقسام اللفظ، وبيّن مفهوم الغريب عنده، وذلك كله من البيت 26 إلى 40.

- **القسم الأول (الغريب المكرر):**

وخصصه لدراسة المكرر من اللفظ الغريب في القرآن الكريم وقد رتبه بحسب حروف المعجم على الترتيب المغربي، من البيت 41 إلى 340، واستعمل فيه 532 لفظة قرآنية بنسبة 39.67%.

- **القسم الثاني (مفردات غريب السور):**

وافتتحه بفواتح السور، من البيت 341 إلى 362، ثم شرع في دراسة الألفاظ حسب ترتيب السور في المصحف الشريف بداية بسورة البقرة من البيت 363 إلى 691، واستعمل فيه 516 لفظة بنسبة 38.48%.

- **القسم الثالث (الوجوه والنظائر):**

افتتحه بأهمية الإحاطة بالوجوه والنظائر وأهميتها للمفسر من البيت 692 إلى 699، ثم تناول الألفاظ التي تحتمل عدة وجوه ومعاني بما فيها الأضداد، من البيت 700 إلى 994، واستعمل فيه 293 لفظة بنسبة 21.85%.

- **الخاتمة:**

حَمِد الله تعالى فيها وسأله النفع بها، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، من البيت 995 إلى 1000.

(ب) مصادر ألفية غريب القرآن:

لقد تعددت مصادر المؤلف وتنوعت من كتب غريب وتفاسير، فإذا كان مصنفو الغريب إما أن يعتمدوا في تصانيفهم على كتب الغريب أو التفاسير، فإن ابن العالم جمع بين الطريقتين، وكانت التفاسير المعتمدة في معظمها تلك التي تناولت غريب القرآن، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، وقد صرح المؤلف في مقدمته ببعض تلك المصادر، ولم يصرح ببعضها الأخر، فقد قال:

مِـــــنْ جُـــــلِّ مــــا أَوْرَدَهُ العُزَيْــــزِي، وَذُو الجَلَالَـــــيْنِ بِــــلَا تَمْيِيــــزِ

وَفِــــيْهِ مِــــنْ غَــــرَائِبِ الإِتْقَــــانِ، وَغَــــيْرِهِ مِــــنْ كُتُــــبٍ حِــــسَانِ

وَرُبَّمَــــا اسْتَــــعَنْتُ بِالمَجَاصِــــي بِسَبْــــقِهِ لِفَــــضْلِ الاقْتِنَــــاصِ

أَوْ بِغَــــرِيبِ العَالِــــمِ النِحْرِيــــرِ؛ عَــــبْدِ العَزِيــــزِ الوَاسِــــعِ التَفْسِــــيرِ

وفي رأي أنه صرح بتلك المصادر التي كانت مصدرا أساسيا، ولم يصرح بالمصادر الثانوية والمساعدة، وفيما يلي مصادر ابن العالم مرتبة بحسب النوع والأهمية بالنسبة للمنظومة:

- **كتب الغريب:**

✓ غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب)للسجستاني[1].

✓ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

✓ منظومة التيسير في علم التفسير للديريني[2].

✓ منظومة المجاصي[3] في غريب القرآن.

- **التفاسير:**

✓ تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي.

✓ معالم التنزيل في التفسير والتأويل، للبغوي[4].

1 ـ هو محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني (العُزيزي) (ت 330هـ)، نسبة لعزرة، كان أديبا فاضلا، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، صنف غريب القرآن واختُلف في كنيته أهي العزيري، أم العزيزي. (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 171/1 و172.)

2 ـ هو عبد العزيز، بن أحمد، بن سعيد، بن عبد الله، بن عز الدين، أبو محمد الدسيري، المعروف بالديريني (612 ـ 694هـ / 1215 ـ 1295م) شافعي المذهب، وصوفي، وكان يعرف الكلام على مذهب الأشعري، له أرجوزة في التفسير تزيد عن ثلاثة آلاف ومائتي (3200) بيت تسمى: "التيسير في علوم التفسير"، وله مؤلفات غيرها كثيرة . (معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط: 02، 1403هـ ـ 1983م، 285/2 و286.).

3 ـ هو أبو عبد الله محمد بن شعيب بن عيد الواحد بن الحجاج المجاصي، ينتسب إلى أسرة المجاصيين، تصدر للإقراء والإفتاء، أخذ عن عدد من الشيوخ منهم؛ ابن بري، ومحمد المالقي وغيرهما،كما لقب بألقاب علمية كثيرة منها؛ الأستاذ، العالم، النحوي، اللغوي، والشيخ الأديب. (جهود أبي عبد الله المجاصي في خدمة علوم القرآن مع تحقيق نموذجين من إسهاماته رجز غريب القرآن، وشرح الدرر اللوامع، عبد اللطيف الميموني، (رسالة دكتوراه غير مطبوعة)، دار الحديث الحسنية للدراسات العليا، الرباط، المملكة المغربية، 1424هـ ـ 1425هـ / 2003م ـ 2004م، 23 ـ 28).ولا أظنه إلا جزائريا ينتمي إل عائلة المقّري التلمسانية.

4 ـ وهو أبو محمد الحسين بن مسعود، بن محمد، الفراء، البغوي نسبة إلى مدينة (بغ) لقب بمحي السنة، وركن الدين، كان إماما في التفسير والحديث والفقه، جليلا ورعا زاهدا، عاملا على طريقة السلف. (ينظر: طبقات الشافعية، ابن شهبة الدمشقي، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 1، 1407هـ ـ 1987م، 281/1، ومقدمة التحقيق

✓ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي[1].

✓ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية[2].

- **المعاجم اللغوية:**

✓ القاموس المحيط، للفيروز آبادي.

- **الحديث النبوي الشريف:**

✓ الجامع لشعب الإيمان للبيهقي[3].

✓ صحيح البخاري.

✓ سنن الترميذي.

إن المصادر التي استقى منها الزجلوي معلوماته متنوعة بين الغريب والتفاسير وهذا الأمر يتطلب مقدرة وبراعة ليس في الاختيار والانتقاء فحسب، بل حتى في طريقة تقديمها للقارئ؛ فالمطلع على الألفية لا يشعر وهو يقرأها أن الناظم قد جمع كل تلك الكتب واختار منها ما يناسب ويتناسب مع طلاب العلم والتفسير، وبهذا يكون القارئ قد طالع كثيرا من كتب الغريب والتفاسير مجموعةً في ألف بيت.

معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1422هـ - 2002م، 3/1.).

1 ـ هو عبد الرحمن محمد بن مخلوف، يُكنى أبا زيد ويلقب بـ:"الثعالبي" الجزائري المالكي، كان عالما مصنفا توفي سنة 876هـ. (طبقات المفسرين، محمد بن أحمد الأدنه ويه، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، م ع س، ط: 1، 1417هـ - 1997م، ص: 342).

2 ـ هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل، ولد سنة 480هـ طلب العلم في سن مبكرة كان متوقد الذكاء توفي سنة 541 أو546هـ،كان فقيها عالما بالتفسير، والأحكام والحديث والنحو واللغة والأدب، ولي القضاء بمدينة المرية. (الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1،1417هـ - 1996م، ص: 275 و276، وينظر ترجمته في: معجم المفسرين، 257/1، وبغية الوعاة، 73/2 و74.).

3 ـ هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ولد سنة 384 هـ، وتوفي سنة 458هـ محدث وفقيه، وغلب عليه الحديث. (معجم المؤلفين، 129/1.).

(ت) منهج ابن العالم في الكتاب:

اعتمد ابن العالم في تفسيره لألفاظ الغريب أساليب عدة، وقد كفانا عناء البحث عن منهجه فقد صرّح بذلك في بداية المنظومة؛ قائلا:

فَقُلْـــــتُ فــــي تَقْـــرِيبِه أَلْفَـــيَّه   فَائِقَـــةً فـــي الكُتُـــبِ المَحْوِيَّـــه

عَلَـــى مَــــسَاوِي مِـــن القَوَافِـــي   أَدَّتْ إِلَـــى العَجَـــزةِ الضِّعَـــافِ

وَقَـــدْ جَعَلْـــتُ صَـــدْرَهَا تَوْطِـــيه   فِـــي نِسْـــبَةِ الأَلْفَـــاظِ وَالمَزِيَّـــه

ثُـــمَّ شَـــرَعْتُ قِسْـــمَةَ الأَبْحَـــاثِ   مُنْتَظِـــمًا فِيـــهَا عَـــلَى ثَـــلاَثِ

مَعْرِفَـــــةُ الوُجُـــــوهِ وَالنَّظَائِـــرْ،   بَعْـــــدَ المُكَـــــرَّرَةِ وَالقَوَاصِـــــرْ

مُرَتِّـــبًا عَلَـــى حُـــرُوفِ المُعْـــجَمِ،   وَقَاصِــــرٌ بِـــــسُورَة لَـــــهَا نُـــــمِ

وَرُبَّــــمَا خَالَفْـــتُ فِـــي التِـــزَامِ   لِنُكَـــــتٍ تَلِيـــــقُ بِالمَقَـــــامِ

فقد ذكّر في البداية بأهمية علم التفسير وبشكل خاص إيضاح الغريب منه فجاء بأحاديث يستدل بها على كلامه ويوضح بها ما يذهب إليه، ثم ذكر الأقسام التي قسّم إليها منظومته. ونصل إلى توضيح المنهج المتبع في تقسيم المنظومة؛ إن المنظومة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، ففي قسمها الأول صنّف الناظم الغريب بحسب الترتيب الألفبائي المغربي، ولكن على طريقة تختلف عن سابقيه في هذا التصنيف، وفي النمط أيضا؛ حيث ذكر الألفاظ الغريبة المكررة أي تلك التي تكررت بصيغة واحدة أو بصيغ مختلفة وكانت ذات دلالة واحدة، وذكر حتى التي اختلفت دلالتها عن بقية اللفظ المكرر، كما هو الشأن في البيت 73 قال:

أَنْكَـــالاً أَغْـــلالاً وَأَصْـــفَاداً: قيُـــودْ   إلا فــــي الأَعْـــرَافِ فَتَكْلِيـــفٌ يـــؤُودْ

فلفظة (أغلالا) تكررت في سور كثير وكانت لها دلالة واحدة، إلا أنها في سورة الأعراف كانت لها دلالة أخرى. [1]

وفي قسمها الثاني المرتب بحسب سور المصحف الشريف؛ فإن الناظم ذكر الألفاظ الغريبة التي وردت مرة واحدة أو في موضع واحد في القرآن كله، أو تكررت بدلالة أخرى، دون أن يعيد لفظة واحدة من الألفاظ التي ذكرها في القسم الأول.

وفي القسم الثالث الذي خصصه للألفاظ الغريبة التي احتملت وجوها كثيرة، وكذلك الأضداد، وكذلك النظائر وهي الألفاظ التي اشتركت في الصورة اللفظية ترتيبا وشكلا وحملت دلالات مختلفة.

على هذا المنهج سار مُحمد الزجلوي في تأليفه وتصنيفه في غريب القرآن، فهو من جهة يساير القدامى في منهجهم، كما يخرج عنهم في بعض الأمور، وقد صرّح بذلك في مقدمته كما رأينا في الأبيات السابقة.

إن ابن العالم كانت له أساليب مختلفة في الاقتباس من المصادر[2]، كما كانت له طريقة وأسلوب تعامل به مع الألفاظ القرآنية[3]، كما استعمل مجموعة من أدوات التفسير استعملها غيره من المعجميين، وهي: التفسير بالمرادف، والتفسير بالضد، والتفسير بالمثل والمقارب، والتفسير بالسياق[4].

1 ـ ينظر: ألفية غريب القرآن...، ص: 110.

2 ـ ينظر: ألفية غريب القرآن، ص: 33 ـ 36.

3 ـ ينظر: ألفية غريب القرآن، ص: 38 ـ 39، و"الشيخ ابن العالم ومنهجه في التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم من خلال ألفية غريب القرآن"، ص:74 ـ 76.

4 ـ ينظر: ألفية الغريب، ص: 43 ـ 46.

3 ـ الشيخ سيدي البكري وكتاب الخيل:

وهي قصيدة شعرية تحدث فيها الشاعر الشيخ البكري بن عبد الرحمن عن أوصاف الخيل، وضمنها ألفاظا تكاد تكون مستغلقة على العامة من القراء، يقول الشاعر في ذلك: " كانت أمنع من لزج عقاب الجو وأصعب من صعود مصدر النو لأنها تنبو عن أفهام الجم الغفير من أبناء الزمان؛ لِمَا احتوت عليه من لغات العرب ذو اللسان"[1]، والقصيدة تتكون من 34 بيتا، جاء في مطلعها:

فَـــإِنْ تَسْـــأَلِي عَنِّـــي وَمَـــا كَـــانَ سَـــانِحًا   بِفِكْـــرِي فَـــأَلْقِي السَّـــمْعِ يَـــا رَبَّـــةَ الخِبَـــا
تَرَيْنِـــــي يَـــــا أُمَّ البَنِـــــينَ مُحَـــــدِّثًا   بِغَيْــــرِ قِـــــرَاعِ الـــــدَّارِ عَـــــينَ الكَتَائِبَـــــا
وَمَـــــا هِمَّتِـــــي إِلَّا جِهَـــــادِي أُمَّـــــةً   مِـــنَ الكُفْـــرِ وَالأَرْجَـــاسِ أَسْـــقِيهُمُ العَطَبَـــا
عَلَـــــى أَجْـــرَدَ نَهْـــدٍ أَقَـــبَّ نُعَـــامِيٌّ   طِمِـــرٍّ هِضَـــبٌ ســـابح يَـــثِمُ الهَضَـــبَا[2]

ويختمها بقوله:

تَـــــرَى أُذُنَـــــهُ عَلَـــــى الـــــدَّوَامِ كَأَنَّهَـــــا   إِلَـــى حَـــادِثٍ تَصْـــغَى إِلَـــى عَيْنِـــهِ الرقبـــى
سَــــأَقْحِمُهُ وَسَـــــطَ الـــــوَغَى إِنْ وَجَدْتُـــــهُ   وَأَعْتبُـــــهُ مَهْمَـــــا يُحَمْحِـــــمُ مُرْعَبَـــــا
فَـــــإِنْ تَعْـــــذَلِي أُمَّ البَنِـــــينَ وَتَعْتَبِـــــي   مُحَمَّـــــدًا البَكْـــــرِيَّ يَوْمَـــــا إِذَا كَبَـــــا
فَـــإِنَّ الخُطُـــوبَ سُـــحُبَ صَـــيْفٍ سَـــتَنْجَلِي   وَيَعْقُـــــبُ يُسْـــــرَ اللهِ مُمْـــــتَهِنَ الصَّـــــعُبَا

---

[1] ـ شرح أوصاف الجياد ، مخطوط بخزانة باعبد الله ادرار، ص: 1.
[2] ـ قصيد أوصاف الخيل، مخطوطة بخزانة البكرية بزاوية الشيخ سيدي البكري، عند الحاج عبد الله بكراوي.

- **مضمون القصيدة:**

تضمنت القصيدة جملة من أوصاف الخيل التي تتخذ للجهاد في سبيل الله، وكان هذا هو سبب نظم القصيدة الحث على اقتناء أجود أنواع الخيل لمحاربة الاستعمار الفرنسي الذي داهم البلاد والعباد، وقد تضمنت القصيدة إلى جانب الافتتاحية الغزلية، مجموعة من الأوصاف المستحبة في الخيل، وجملة أخرى من الصفات المستكرهة فيها، هذه جملة من الصفات المستحبة والمحمودة في الخيل خَلْقا وخُلُقا والتي ذكرت في القصيدة:

أقب: وهو المنطوي الكشح، عظيم الجوف[1]

أجرد: وهو رقيق شعر الجلد قصيره[2]

طِمِرّ: وهو المشمر الخلق المستعد للجري[3]

وهذه جملة أخرى من الصفات المستكرهة في الخيل والتي ذكرت في القصيدة:

صكك (أصك): وهو الذي اصطكت ركبتاه أو كعباه[4]

دخيس: وهو الذي حدث في حافره ورم[5]

الركب: وهو الذي عَظُمت إحدى ركبتيه، إن به ركبا، وفرسٌ أركب وركباء[6]

فالشاعر البكري بن عبد الرحمن اختار أوصاف الخيل اختارا دقيقا بعدما اطلع على كتب الخيل وعرف صفاتها.

---

1 ـ جر الذيل في علم الخيل، السيوطي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ ـ 2009م، ص: 91.

2 ـ جر الذيل في علم الخيل، ص: 91، وينظر: الخيل، الأصمعي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ ـ 2009م، ص: 64.

3 ـ جر الذيل في علم الخيل، ص: 91.

4 ـ جر الذيل في علم الخيل، ص: 94.

5 ـ نفسه، ص: 95.

6 ـ الخيل، ص: 67.

4 ـ الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي والغرة في الجبين لأوجه في كلم المبين:

لقد ألف الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي في كثير من علوم اللغة العربية (صرف، نحو، وإملاء، ومعجمية)، ومما تجر الإشارة إليه إلى أن الشيخ معظم مؤلفاته كانت في إطار النظم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على منهجه التعليمي الذي ينتهجه مع طلبته، فهو كلما أراد تبليغ معلومات في علوم اللغة أو الفقه إلا ونظمها للطلاب تسهيلا عليهم في حفظها.

ومن الفنون اللغوية التي ألف فيها الشيخ المعجمية في القرآن الكريم، واللغة العربية، ومن أبرز ما حصلنا عليه في هذا المضمار منظومتين؛ إحداهما تتعلق بمعاني "الضرب" في اللغة العربية وهي منظومة من عشرة أبيات يقول فيها:

الضَرْبُ أَنْوَاعٌ لِكُلِّ وَاحِدْ   اسْمٌ يَخُصُّهُ وَلا مِنْ جَاحِدْ

أَوَّلُهَا: فَالضَرْبُ بِاليَدِ عَلَى   مُقَدَّمِ الرَّأْسِ يُسَمَّى فَاعْقِلا

بِالصَّفْعِ، ثُمَّ إِنْ يَكُنْ عَلَى القَفَا   بِاليَدِ يُدْعَى الصَّقْعُ يَا أَخَا الوَفَا

وَإِنْ يَكُنْ بِهَا عَلَى الوَجْهِ بَدَا   فَالصَكُّ سِمّه يُجَانِبُكَ الرَّدَى

وَفِي المُرَتَّلِ "فَصَكَّتْ وَجْهَهَا"   تَلْفَهُ فِي الذَّارِيَاتِ فَارْعَهَا

وَإِنْ يَكُنْ بِاليَدِ فَوْقَ الخَدّ   بِالذَّاتِ فَهْوَ اللّطْمُ دُوْنَ كَدّ

وَإِنْ يَكُنْ هُوَ عَلَى الصَدْرِ يُرَى   وَالجَنْبِ بِاليَدِ فَبِالوَكْزِ جَرَى

وَفِي المُبِينِ حِينَ مُوسَى وَكْزَا   قِبْطِيَّ فِرْعَونَ عَلَيهِ أَجْهَزَا

وَالوَخْزُ إِنْ كَانَ عَلَى الجَنْبِ ظَهَرْ   بِإِصْبُعٍ قَطْ فَذَاكَ المُعْتَبَرْ

وَذَاكَ فِــــــي لُغَتِنَـــــــا مَشْـــــــهُورْ   سِــــــتَّةُ أَنْـــــوَاعٍ لَــــــهُ تَــــــدُورْ

هذه هي المنظومة التي جمع فها الشيخ أنواع الضرب باليد إلا أنه لم يذكر كل أنواع الضرب باليد؛ فهو مثلا لم يذكر:

اللكم: الذي هو الضرب باليد مجموعة[1].

الصت: الضرب باليد والدفع[2].

الربس: الضرب باليدين، ربسه بيديه إذا ضربه بهما[3].

ومما جادت به قريحة الشيخ كذلك منظومته الموسومة بـ"الغرة في الجبين لأوجه في كلم المبين" وهي تدخل ضمن المعجمية في القرآن الكريم وهي تتكون من 138 بيتا، يقول في مطلعها:

الحَمْـــدُ للهِ الّـــذِي قَـــدْ حَرّكَـــا   قَلْبِـــــي لِـــــنَظْمٍ رَايِـــــقٍ لَعَلّكَــــا

تَفْهَمَــــــهُ وَيَرْتَضِــــــيهِ بَالْكَــــا   وَيَنْقَشِـــــعُ بِمَــــا فَهِمْــــتَ جَهْلُكَــــا

بِـــــهِ قَــــوِيمَ مَــــنْهَجٍ أنْ تَسْـــلُكَا   وَتَتَبَــــــــرَّكُ بِـــــــــهِ تَبَرُّكَــــــا

وَصَـــــلِّ يَــــا رَبِّ عَلَـــى نَبِيِّـــكَ   مُحَمَّــــــــدٍ شَــــــفِيعِنَا صَــــــفِيِّكَ

وَآلِـــــهِ وَصَــــــحْبِهِ وَزَوْجِـــــهِ   وَكُـــلِّ مَـــنْ سَـــلَكَ فِـــي مَنْهَجِـــهِ

وَبَعْــــدُ يَــــا طَالِبًــــا ذَاكَ الـــنَّظْمَ   أَرْجُــــو بِـــأَنْ يَكُـــونَ فِيـــهِ عِلْـــمَ

لَــــكَ بِفَهْـــمِ كَلِمَــــاتٍ عُـــدّتْ   وَهْـــيَ فِـــي القُـــرْآنِ قَـــدْ تَبَـــدّتْ

---

[1] ـ لسان العرب مادة (ضرب).
[2] ـ جمهرة اللغة، ابن دريد، مطبعة دار المعارف، حيدر آباد، ط: 01، د ت، 40/1.
[3] ـ جمهرة اللغة، 255/1.

تُـــدْعَى الوُجُـــوهَ وَالنَّظَّـــائِرَ وَفِـــي الإِتْقَـــانِ لِلْسَـــيُوطِي حَـــاوِيَ الشَّـــرَفِ

ويختمها بقوله:

قَـــدْ تَـــمَّ نَظْمُنَـــا لِـــذِي المَنْظُومَـــهْ بِحَمْـــدِنَا لِرَبِّنَـــا مَخْتُومَـــهْ

وَبِصَـــلاتِنَا عَلَـــى مُحَمَّـــدِ وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَالمُقْتَـــدِي

بِـــهِ وَجَمْـــعِ أُمَّهَـــاتِ المُـــؤْمِنِينَ وَعُلَمَـــا الأُمَّـــةِ كُـــلَّا أَجْمَعِـــينَ

سَـــمَيْتُهَا "الغُـــرَّة فِـــي الجَبِـــينِ لِأَوْجُـــهِ فِـــي كَلِـــمِ المُبِـــينِ"

أَبْيَاتُهَـــا بِـــنَقْطِ قَـــافٍ ثُـــمَّ فَـــا نَاظِمُهَـــا القَـــارِي بِهَـــا قَـــدْ اتْحَفَـــا

نَجْـــلٌ لإِبْـــرَاهِيمَ حَفْصِـــي أَوَلْفِـــي فَارْزُقْـــهُ رَبِّ سَـــمْتَ خَيْـــرِ سَـــلَفِ

فِـــي صَـــفَرِ الخَيْـــرِ فِـــي عَـــامِ شَـــتْكَبَ أَرْجُـــو دُعَـــاءَ قَـــارِئٍ لِـــي يُكْتَـــبَ

وهذه المنظومة تتضمن بعض ألفاظ لقرآن التي احتملت وجوها من المعاني ويبدو أن الناظم قد جمعها من كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، وقد جاء الناظم في المنظومة ببعض الألفاظ فقط هي: القضاء، الرحمة، الصلاة، الهدى، الأمة، الروح، الدعاء، السوء، الإحصان، السبيل، الذكر، الفتنة، الدين.

(أ) أقسام المنظومة:

قسّم الشيخ منظومته إلى مقدمة واثني عشر فصلا بحسب كل مادة على حدة فقد مادة (القضاء) فصلا، ثم مادة (الرحمة) فصلا وهكذا.

ففي المقدمة حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم صلى على نبي الرحمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر سبب النظم في البيتين السادس والسابع، والمصدر الوحيد الذي اعتمده في النظم واقتبس منه معارفه، كم ذكر مواد المنظومة في الأبيات 11، 12، 13.

(ب) المصادر:

خلت المنظومة من ذكر المصادر إلا من مصدر واحد وهو "الإتقان في علوم القرآن"، حيث يقول في البيت 08:

تُـــدْعَى الوُجُـــوهَ وَالنَّظَـــائِرَ وَفِـــي   الإِتْقَـــانِ لِلْسَـــيُوطِي حَـــاوِيَ الشَّـــرَفِ

(ت) المنهج المتبع في المنظومة:

إن الشيخ الحاج عبد الرحمن لم يبين لنا في مقدمته المنهج الذي اتبعه في منظومته، ولكن المتتبع للمنظومة يدرك المنهج لأول وهلة؛ فهو يذكر في بداية كل فصل عدد اوجه المادة المقصودة وبعدها يبدأ في ذكر تلك الأوجه، كل وجه والسورة التي ورد فيها وهذا مثال مما قال في مادة (القضاء)، يقول:

فَأَوْجُـــهُ القَضَـــاءِ خَمْسَـــةَ عَشَـــرْ   فِـــي مُحْكَـــمِ الـــذِّكْرِ وَتَـــأْتِي فِـــي الأَثَـــرْ

مِنْهَـــا الفَـــرَاغُ "فَـــإِذَا قَضَـــيْتُمْ"   فِـــي سُـــورَةِ البِكْـــرِ كَمَـــا عَلِمْـــتُمْ

الأَجَـلُ يَـا صَـاحِ "فَمِـنْهُمَ مَـنْ قَضَـى"   فِـي سُـورَةِ الأَحْـزَابِ يَـا أَخَـا الرِّضَـى

إذن فكما لاحظنا فإن الشيخ الحاج عبد الرحمن يقدم عدد أوجه الكلمة، ثم يشرع في تقديم تلك الأوجه مع ذكر اللفظ الذي وردت عليه في الآية، ثم يذكر السورة؛ فقد ذكر الوجه الأول للقضاء وهو الفراغ، وردت في القرآن الكريم بلفظ (قضيتم) التي وردت في سورتين

(البقرة الآية 200، والنساء الآية 103)، وقد حدد لها الناظم سورة البكر (البقرة) فقط، وعلى هذا الأسلوب سار الناظم في منظومته.

ما يؤخذ على الشيخ في هذه المنظومة هو الترتيب العشوائي للألفاظ؛ فقد من حقه أن يرتب المواد ترتيبا ألفبائيا، وحتى داخل الفصول لم يتبع ترتيبا معينا، وكان من حقه أن يرتبها بحسب ورودها في المصحف الشريف، وذلك كله حتى يسهل على القارئ الوصول إلى المادة المطلوب بيسر ومن أقصر الطرق.

خلاصة:

إن جهود علماء توات في التصنيف المعجمي لم يكن ليرقى إلى مرتبة الكتب المعجمية المعروفة لدى العام والخاص في اللغة العربية، لكنها كانت تسد فراغا كبيرا عاني منه الإقليم في تلك العصور، فالعالم منهم كان يحاول ان يقدم لطلابه وطلاب العلم عصارة مطالعته لكتب عدة؛ من تفاسير ومعاجم وغيرها، لأن تلك الكتب لم تكن متاحة للجميع.

ولهذا فقد رأينا ما صنف في هذا المجال جاء في شكل منظومات شعرية يسهل حفظها وتداولها على ألسنة الطلاب، حتى كان الكثير منهم يقوم بحفظها حفظا أصما؛ فهي إذن لا تخرج عن نطاقها التعليمي.

الفصل الثاني

جهود علماء توات من خلال شروح المعاجم

تمهيد:

لمّا كان اهتمام علماء توات بالمعاجم منطلقا من بحثهم عن فهم ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ فقد رأيناهم أسهموا في الدراسات المعجمية، رغم تلك الظروف الطبيعية التي تحدثنا عنها سابقا[1]، ولم يتوقف إسهامهم في هذا المجال على الجانب الجمعي والإبداعي فحسب بل تعدى ذلك إلى شروح بعض المعاجم، ونحن نبحث عن جهود علماء توات في هذا التخصص عثرنا على شروح ـ وإن كانت قليلة ـ إلا أنها تدل على أن هناك عمل متواصل في هذا المضمار، فقد ألفينا لألفية غريب القرآن ـ التي تحدثنا عنها آنفا ـ شروحا وحواشي، ومن الشروح التي وضعت عليها، شرح الشيخ أحمد بن الطيب[2]، وكذلك الشيخ محمد باي بلعالم.

كما وضع الشيخ البكري بن عبد الرحمن التينيلاني شرحا على كتابه "في أوصاف الخيل"، وليس هذا فحسب بل يواصل الشيخ باي جهوده في وضع الشروح على المتون، ووجدنا له شرحا على منظومة الأستاذ محمد الطاهر التليلي الموسومة بـ"مفرد الغريب"، وسماه

شروح كتاب غريب القرآن:

إن منظومة غريب القرآن لمحمد الزجلوي المعروف بابن العالم قد وضعت عليها شروح وحواشي كثيرة وذلك يعود للمكانة التي احتلتها ألفية غريب القرآن من بين المنظومات والتآليف المعاصرة لها، ومن ثَمّ انكب علماء الإقليم على دراستها، وممن حشاها وشرحها أذكر:

1 ـ ينظر هذا البحث، ص: 16 ـ 30.
2 ـ لم أعثر له على ترجمة.

- ✓ عبد الكريم الحاجب[1] وضع عليها حاشية.
- ✓ الحبيب بن العابد[2] وضع عليها حاشية.
- ✓ أحمد بن الطيب[3] وضع عليها شرحا سماه بـ:"شرح ألفية الغريب".
- ✓ الشيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي(الطاهيري) كان ينوي شرحها لكن المنية أدركته قبل ذلك[4].
- ✓ الشيخ "محمد باي بلعالم" شرحها وسمى شرحه بـ:"ضياء المعالم شرح على ألفية ابن العالم".

- "**شرح ألفية الغريب**" **لأحمد بن الطيب:**

سأقوم بدارسة وتحليل "شرح ألفية الغريب" لأحمد بن الطيب الذي وضعه خلال القرن الرابع عشر الهجري.

1 ـ وصف المخطوط:

عنوان الكتاب: شرح ألفية الغريب.

مصدر النسخة: خزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار.

المؤلف: أحمد بن الطيب.

الناسخ: بخط محمد الطيب بن عبد الرحمن بن محمد[1].

---

1 ـ هو عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري بن عبد الكريم، وُلد في تنمطيط عام 1118هـ كان عالما وعاملا وفقيها وزاهدا أخذ عن جده، وعن والده علم النحو والفقه والتفسير واللغة العربية (جوهرة المعاني، ص: 21، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 160.).

2 ـ لم أقف له على ترجمة، حاشيته مازالت مخطوطة بخزانة الشيخ الركب بأقبلي أولف.

3 ـ لم أقف له على ترجمة، شرحه مازال مخطوطا بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

4 ـ كما أخبرني ابنه مولاي عبد الحميد عبر الهاتف يوم:2007/10/13م على الساعة 20.00، من مدينة مراكش المغربية.

تاريخ النسخ: يعود تاريخ النسخة إلى سنة 1340 هـ.

المسطرة: حجم كبير 17 × 20.

نوع الخط: مغربي رقيق أحيانا تصعب قراءته، متوسط أحيانا أخرى، كتبت أبيات المنظومة بمداد أحمر، بينما كتب الشرح بالمداد الأسود.

عدد الأسطر: متوسط الأسطر 30 سطرا في كل وجه.

عدد الكلمات: متوسط الكلمات بالسطر 16 كلمة.

عدد الأوراق: 30 ورقة من وجهين.

حالة المخطوط: النسخة لم تسلم من التآكل والخرم التي ضيعت الكثير من الشرح، كما أن بعض الأوراق ممزقة وأمسكت بالشريط اللاصق مما أطمس كتابتها.

معلومات أخرى: المؤلف لم يشرح المنظومة بأكملها بل شرح منها القسمين الأول والأخير، وترك القسم الثاني دون شرح، واكتفى بكتابة الأبيات فقط بشكل غير منظّم؛ حيث يبلغ عدد الأبيات 40 بيتا في الصفحة الواحدة، كما أن الناسخ أسقط بعض الأبيات من هذا القسم، والأبيات الساقطة هي: من 551 . 571 ، ومن 592 . 615، كما أن الصفحة الأخيرة كتبت بها الأبيات بالوسط، وكتب الشرح على الحاشية وفي اتجاهات مختلفة (حيث يجد الفراغ يكتب توضيحا أو شرحا)، وكذلك خطها مغاير لخط الشرح.

يقول في بداية المخطوط: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله هذا شرح ألفية الغريب المنسوبة لابن العالم الزجلوي نفعنا الله ببركاته..."

ويختمه بقوله: "انتهت ألفية الغريب لابن العالم الزجلوي، من نسخة بخط الناظم"

1 ـ لم أقف له على ترجمة.

2 ـ الدراسة والتحليل:

أسباب ودوافع الشرح:

لم يذكر الشارح السبب الذي دفعه إلى وضع شرح على تلك المنظومة؛ حيث أن الشارح لم يضع لشرحه خطبة ولا مقدمة، ولم يبق لنا إلا أن نقول أن الشارح لما عثر على المنظومة وأعجب بها قام بشرحها شرحا ارتجاليا دون مقدمات فقد دخل دخولا مباشرا في الشرح، وذلك كما رأينا سابقا حيث ابتدأ بالبسملة والصلاة على النبي وشرع في شرح البيت الأول.

(أ) المنهج المتبع في الشرح:

اتبع الشارح في شرحه لكتاب "ألفية غريب القرآن" أسلوبا معروفا لدى الشرّاح؛ فقد كان يعرض البيت أو البيتين أو أكثر في بعض الأحيان، ثم يقوم بشرحه لفظة لفظة، ولم ينتهج أسلوب المزج، ومن أمثلة ما يوضح ذلك، قوله: "

وَقُــلْ أَثَاثًــا فِــي مَتَــاعِ البَيْــت   أو مُطْلَــقُ المَــالِ تُصِــبْ فِــي النَّعْــت

ففسّر الأثاث بمتاع البيت ومطلق المال، والقولان في ج ونصه: (الأثاث متاع البيت واحدها أثاثة وهذا قول أبي زيد الأنصاري، وقال غيره: الأثاث أنواع جميع المال ولا واحد له من لفظه...) وقوله (تُصِبْ في النّعت) أي من فسر بهذين المعنيين أصاب النعت أي الصفة ومراده . والله أعلم . الصواب، واقتصر في ع على الأول"[1]

وهذا الأسلوب الذي اتبعه الشارح لم يلتزمه في كامل الشرح بل رأيناه في القسم الثاني في المنظومة جاء بأسلوب آخر في الشرح وهو أن يضع يكتب البيت ويقوم بالكتابة تحت كل

[1] ــ شرح ألفية الغريب، ص: 11. والمصادر التي أشار عليها بـ(ج، ع) لأنه لم يضع مقدمة وضّح فيها رموزه، وقد تكون بداية أسماء كتب تفسير كالجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أو المحرر الوجيز لابن عطية أو غيرهما، لأن القول ورد بنصه في الكتابين.

كلمة يريد شرحها وهذا نموذج لذلك فقد بدأ القسم الثاني بفواتح السور فقال:" مفردات غريب السور ذكر فواتح السور أولا وأسراره...

ثَنَــــــاءً أَوْ تَعْلِــــــيلا أَوْ دُعَـــــاءً　　أَوْ شَــــــرْطًا أَوْ خَبَــــــرًا أَوْ نِــــــدَاءً

الدعاء في ثلاث سور ويل للمطففين، ويل لكل همزة، تبت يدا أبي لهب، قال في الإتقان: نقلا عن أبي شامة وما ذكرناه في قسم الدعاء على يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر إلا سبح فإنه يدخل في قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر والخبر"[1]، وهذا الكلام المنقول تجده مكتوبا تحت كلمة (دعاء) بشكل أفقي، وهذا الأسلوب سرعان ما تخلى عنه بعد فراغه من فواتح السور حيث شرع في كتابة الأبيات دون تعليق أو شرح[2]، ثم عاد إلى الأسلوب الأول مع بداية القسم الثالث، كقوله: "

إِمَّــــا عَلَــــى طَــــرِيقَةِ المُشَــــارَكَهْ،　　أَوِ المُــــــــــوَاطَأَةِ وَالمُشَــــــــــــاكَكَهْ

أَوِ الحَقِيــــــقَةِ مَــــــعَ المَجَــــازِ،　　أَوِ الكِــــــنَايَاتِ بِــــــلا امْتِــــــيَازِ

وَزِدْتُــــهُ الأَضْــــدَادَ فِــــي التَّصْــــرِيفِ　　عَلَــــى الطَّــــرِيقِ الوَاضِــــحِ المَأْلُــــوفِ

وَبَعْــــضَ مَــــا عُــــدَّ مِــــنَ الأَفْــــرَادِ،　　أَوِ المُنَاسَــــــــــبَاتِ بِاسْتِطْــــــــــرَادِ

وقوله (أما على) أي أنك تأخذ الجر على طريقة المشاركة، المشترك هو الذي تعدد مسماه واتحد لفظه كالعين . انظر أول كلامنا في المقدمة . و(المواطأة): الموافقة وهي إثبات شيء لآخر أو نفيه عنه بلا واسطة اشتقاق أو إضافة، قاله الهلالي . انظر منظومة الشريف سيدي عبد القادر في المنطق . حيث قال: (والمتواطئ فذاك يعني إن استوت أفراده في المعنى، وهو مشكك إذا ما اختلفت ثم [...] وبالعكس عرف)، فإنه عرّف المواطأة والمشاركة والمشاككة، وبسَط القول فيها ومثّل لها بالتواطؤ في اللغة الذي هو التوافق، والمشكك الكلم

[1] ـ شرح ألفية الغريب، ص: 31.
[2] ـ ينظر: شرح ألفية الغريب، ص: 32 ـ 39.

الذي اختلفت أفراده فيه بأن يكون وجوده في بعضها أكثر، ثم ذكر بعده كلاما طويلا، إن المشكك هو ما تفاوتت أفراده تفاوتا بينا وسمي مشككا لأنه يشكك الناظر أي يوقعه في الشك فلا يدري أهو من المتواطئ نظرا لاتحاده، أم من المشترك نظرا إلى الاختلاف الذي في الإفراد..."[1]

(ب) **المصادر:**

إن الشارح في شرحه لم يحدد لنا المصادر التي استقى منها معلوماته، إلا أننا نستطيع تتبع نقوله لنعرف بعض المصادر التي اعتمد عليها فهي بداية بالمنظومة المشروحة، ثم مصادرها، وقد ذكر الشارح بعضا منها في بداية الشرح، كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومنظومة عبد العزيز الديريني في التفسير، ومنظومة المجاصي في غريب القرآن، والجواهر الحسان، والقاموس المحيط...[2]

إن مصادر الشارح متنوعة فهو لم يوظف مصادر الناظم فحسب بل حاول استقصاء العديد من المصادر الأخرى، إلا أنه في كثير من الأحيان لا يذكرها بالاسم؛ فقد يكتفي بذكر صاحب الكتاب دون ذكر اسم الكتاب، وقد يرمز إليه برموز لم يوضحها لنا ولم يحدثنا عنها، وقد يكتفي بذكر اسم الكتاب دون ذكر اسم صاحبه الذي قد يكون معروفا أو غير ذلك.

يقول في شرح كلمتي (إنذار)، و(أليم): "إنذار: إعلام من أنذر ينذر، والإنذار لم يقع بهذا اللفظ في القرآن، وإنما وقع بصيغة الأمر والماضي والمضارع، وأنذرت الشيء بلّغته...يتعدى إلى مفعولين أو أكثر، والفاعل مُنْذِر، ونذير، والجمع نُذُر بضمتين، والموجع الأليم بالتعريف أتى في هذه المادة بصيغة الصفة ووقع في القرآن بها ولم يقع بغير تعريفها في القرآن ولا في العين، وفي المصباح: عذاب أليم: مؤلم، وفسر الموجع: بالألم في

1 ـ شرح ألفية الغريب، ص: 40.

2 ـ ينظر هذا البحث، ص: 350 ـ 353.

القاموس، ولفظة الألم مجرد الوجع، إلى أن قال: والأليم الموجع، وقال ابن الجوزي: أليم مؤلم أي موجع"[1]

فكما لاحظنا فقد ذكر جملة من المعاجم العربية القديمة كالعين، والقاموس المحيط، والمصباح المنير، ولم يذكر أصحابها، ولم يكتف بهذا بل زاد من التفاسير وقد ذكر لنا هنا تفسير ابن الجوزي "زاد المسير"، إلا أنه لم يذكر اسم الكتاب.

ومن ذلك أيضا عند تعرضه للفظة (أسروا)، قال: "فهو من الأضداد انظر مختصر الكشاف، وفي العزيز: (أسرو الندامة) أي أظهروها ويقال كتموها...وبه فسر المحلى في الجلالين ونصه: أسروا أي الفريقان أظهروا وقيل أخفوا عنهم"[2]

(ت) الشواهد:

لم يهتم الشارح كثيرا بالشواهد إلا القرآنية منها التي كانت هي مجال الدراسة فالكتاب المدروس هو ألفاظ القرآن الكريم، وهذه هي الملاحظة التي تسجل على الشارح حيث أنه لم يبحث عن استعمال تلك الكلمات في الشرع العربي والشعر كما هو معلوم ديوان العرب منذ القدم، وأثناء دراستي للكتاب لم أعثر على بيت شعري واحد استشهد به على توظيف كلمة غريبة، وكلها آيات القرآن الكريم واحاديث نبوية شريفة فقط.

(ث) أدوات التفسير عند الشارح:

استعمل الشيخ في شرحه للكتاب نفس أدوات التفسير التي كان يستخدمها الناظم، فمن المرادف قوله: "التمسوا: أي اطلبوا"[3]، ومنه كذلك قوله: "عنّ له: أي عرض له وظهر له، يقال: عنّ بالشيء ويعِنّ بالكسر، ويعُنّ بالضم عنا وعنونا إذا ظهر أمامك واعترض"[4]،

---

1 ــ شرح ألفية الغريب، ص: 6.

2 ــ شرح ألفية الغريب، ص: 43.

3 ــ شرح ألفية الغريب، ص: 3.

4 ــ شرح ألفية الغريب، ص: 4.

ومن الأضداد قوله: "الأعراب: أهل البدو والتنزه وزاد الناظم عليه التنزه أي الابتعاد في سرح المواشي والتباعد فيه، والعرب خلاف العجم"[1]، ومن تفسيره بالسياق والعبارة قوله: "الحور جمع حوراء: وهي الشديدة بياض العين في شدة سوادها"[2]

(ج) الزيادات والإضافات:

لا يكتفي الشارح بما جاء به الناظم في نظمه في بعض الحيان فقد يزيد المسألة شرحا وتوضيحا كما هو الشأن في تفسيره للمترادف حيث يقول: "والمترادف عكس الاشتراك، فالمترادف هو اللفظ المتعدد الذي اتحد معناه كالبُر والحنطة والقمح لأن بحثه في اللفظ باعتبار معناه، والمترادف على نص اللفظ باعتبار النظر بنه وبين لفظ آخر؛ فإنك إذا نظرت بين لفظ ومعناه تجده إما متعدد المعنى أو متحده، فانقسم إلى مشترك ومنفرد، وإذا نظرت بين لفظين أو أكثر وجدت كل واحد موضوعا لنفس ما وضع له الآخر، أو موضوعا لغير ما وضع له الآخر، فانقسم أيضا بهذا الاعتبار إلى قسمين الأول المترادف والثاني المتباين، وقد ظهر من هذا أن ما فعله صاحب السلم في قوله: ونسبة الألفاظ للمعاني...الخ، غير سديد من وجهين أحدهما أنه خلط بين نسبة الألفاظ فيما بينها بأن نسبها للمعاني، والثاني أن ذاد الأقسام متداخلة، فالمترادف يكون متواطئا أو مشككا مثلا وكذا المتباين فاللائق أن ينقسم اللفظ ثلاث تقسيمات؛ أحدها باعتبار تعدد مسماه ووحدته إلى مشترك وإلى منفرد، ثانيها باعتبار تساوي أفراده في معناه واختلافها إلى متواطئ وإلى مشكك، ثالثها باعتبار نسبته إلى لفظ آخر إلى مترادف وإلى متباين، لا يليق ان يجعل التقسيمات الثلاثة قسما واحدا والله أعلم"[3]

وقد تبين لنا من هذا أن الشيخ أحمد بن الطيب لم يكتف بشرح ما جاء في المنظومة بل راح يفصل ويوضح حتى أبدى رأيه ورد على صاحب منظومة "السلم المرونق في علم

[1] ــ شرح ألفية الغريب، ص: 10.
[2] ــ نفسه، ص: 17.
[3] ــ شرح ألفية الغريب، ص: 4، 5.

المنطق" الشيخ عبد الرحمن الأخضري الذي عاش في القرن العاشر الهجري الذي جعل نسبة الألفاظ إلى المعاني خمسة أقسام هي: التواطؤ، والتشاكك، والتخالف، والاشتراك، والترادف[1]، وقد رأي الشيخ أحمد بن الطيب أنها ثلاثة أقسام فقط، كما بين ذلك.

وقد يضيف إلى الشرح أشياء ومعلومات لم يتعرض لها الناظم أو المصنف؛ وذلك عند اللزوم أي حينما يرى ضرورة ذلك كما هو الشأن في تعرضه لمسألة الاستواء فقد جاء بآراء الفقهاء والأئمة فيها، حيث قال: "...المجاز وهو ظاهر جلي في قوله تعالى: (على العرش استوى) مذهب السلف فيه...فقال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة..."[2]، ثم يعرض لبقية أقوال الفقهاء في المسألة الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل[3]

وغير هذا كثير ومن شأن هذه الإضافات والتوضيحات أن تعمّق الفهم وتحيط بجوانب المسألة أكثر، فهي من الضرورة بمكان، فالناظم والمصنف قد يضيق به الوزن ويمنعه من الكلام وقول ما يشاء فيأتي الشارح فيوضح ويزيد ويفصل، ومن هنا تتجلى لنا الجهود بوضوح.

[1] ـ ينظر: منظومة السلم المرونق في علم المنطق، عبد الرحمن الأخضري، مخطوط عندي نسخة منه، ص: 6. ولمزيد من التوضيح ينظر: "نسبة الألفاظ للمعاني عند المناطقة العرب"، إحسان محمد جعفر، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع: 47، ابريل 1992م، شوال 1412هـ.

[2] ـ شرح ألفية الغريب، ص: 43.

[3] ـ ينظر: شرح ألفية الغريب، ص: 43.

- **شرح كتاب أوصاف الجياد:**

1 ـ وصف المخطوط:

عنوان الكتاب: أوصاف الجياد.

مصدر النسخة: خزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار.

المؤلف: البكري بن عبد الرحمن التينيلاني.

الناسخ: البكري بن عبد الرحمن التينيلاني.

تاريخ النسخ: في القرن الرابع عشر الهجري.

المسطرة: 20 × 25

نوع الخط: مغربي متوسط جميل رائع مقروء غير مضبوط.

عدد الأسطر: 22 سطرا.

عدد الكلمات: 14 كلمة.

عدد الأوراق: 05 أوراق؛ كتبت على وجهين، إلا الورقة الأولى التي كتبت من داخلها فقط.

حالة المخطوط: جيدة سليمة.

يبدأ المؤلف كتابه بقوله بعد البسملة: "الحمد لله الذي خلق في الخيل الخيلا، وخوّل بحيزها خاصة الفضلا، وفخمها واختارها للنبلا، وزين أقثاء الجياد زينة القلائد في الأجياد..."(1).

1 ـ شرح أوصاف الجياد، البكري بن عبد الرحمن التينيلاني، مخطوط بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار، ص: 1.

ويختمه بقوله: "وهذا آخر ما وعدت به من شرح القصيدة التي هي في أوصاف الجياد فريده، وفي جمعها على نسق وحيده، والسؤال من المولى العظيم أن يجعل هذا الشرح خالصا لوجهه الكريم، وان ينفع به النفع العام، بجاه خير النام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"[1]

2 ـ الدراسة والتحليل:

(أ) أسباب ودوافع الشرح:

بين الشارح في كتابه الدوافع والسباب التي دفعته إلى وضع شرح على هذه القصيدة وقد حدد ذلك بقوله في المقدمة: "فلما نظمت قصيدة في أوصاف الخيل الجياد طلب مني بعض السادات الأمجاد أن أجعل عليها شرحا يحلُّ مقفلها، ويبين مشكلها، ويفصّل مجملها، ويسهّل معلقها، ويفتض بكرها، ويفتق زهرها، وينشر نشرها؛ لأنها كانت أمنع من لزج عقاب الجو وأصعب من صعود مصدر النو لأنها تنبو عن أفهام الجم الغفير من أبناء الزمان؛ لما احتوت عليه من لغات العرب ذو اللسان، وقد نزلت زمانا في أكمامها من خشية أن يصل الحاسد إليه بإتمامه، فيستفيد ويجحد ويستكبر ويرتد، لكني رأيت الشرح يزيد في غمه، ويمنعه من التقول بزعمه..."[2]

هناك سبابان كما بين الشارح كانا وراء وضعه لهذا الشرح الأول منهما هو طلب الأصحاب منه وضعَه، والثاني هو الخوف من وصول الحساد والحاقدين إليها وإفساد معانيها، كما يمكن أن يكون هناك سبب ثالث دفعه إلى وضع الشرح وقد اعترف به شخصيا؛ وهو صعوبة ألفاظها كما قال.

[1] ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 9.
[2] ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 1 ـ 2.

السبب الحقيقي وراء كتابة القصيدة وشرحها هو ما ذكره في آخر الشرح وقد يدركه القارئ بعد قراءة القصيدة وشرحها، حيث أراد أن يبين أوصاف الجياد الأصيلة ليحث الناس على اقتنائها.

(ب) المنهج المتبع في الشرح:

إن الشارح بين المنهج والأسلوب الذ اتبعه في الشرح، حيث قال: "فأجبت سؤال السائل ولبيت دعوة القائل سالكا في ذلك مسلك الموجزين من الشارحين الممزجين لأن المزج أقرب إلى الإفهام، وأعون على فهم أسرار الكلام."[1]

لقد بين أسلوبه في الشرح فهو بين الموجز والممزج؛ موجز في عباراته وكلامه غير مكثر، وممزج لكلام القصيدة بالشرح حتى يظهر للقارئ على أنه كلام واحد، لا فاصل بينهما، وهذا ما يدل على براعة الشارح وسعة علمه وثقافته.

وسنحاول أن نعطي نماذج نثبت بها كلام الشارح يقول: "ولما كانت الخيل الجياد أشد ما يرهب به أهل الكفر والعناد وكانت ممدوحة في الكتاب وعلى لسان النبي الأواب، جنح الناظم إلى ذكر المنتخب منها بمنتخب الأوصاف؛ ليسعى في اقتنائها من له جدة وإنصاف، فقال: على **أجرد** متعلق بإسقيهم والأجرد من الخيل: القصير الشعر، وضده مذموم ضد طويل عال مشرف، **أقَبّ** بفتح القاف وتشديد الباء؛ وهو الضامر البطن الغير ناتئه نتوءا يلحقه بالأتن العشار، **نعامي** منسوب إلى نعامة وهو فحل كريم"[2]

والملاحظ أن الشارح فعلا يمزج كلامه بكلام الناظم حتى وانت تقرأ تشعر بانك تقرأ لواحد وليس لكلام مشروح، الشارح في هذه القصيدة في أمس الحاجة إلى معاجم وقواميس عربية.

1 ــ شرح أوصاف الجياد، ص: 2.
2 ــ شرح أوصاف الجياد، ص: 3 ــ 4.

ومن أساليبه في الشرح كذلك مزج الشرح بالنحو والصرف؛ فهو كثير ما يلجأ إلى استعمال النحو والصرف في الشرح ومستعينا بهما على تقريب الفهم، حيث يقول: "**فإن تسألي؛** أيتها المخاطبة بحذف النون علامة للجزم لأنه فعل الشرط، **عني وما كان سانحا؛** أي معترضا مأخوذ من قولهم: سنح الرأي كذا؛ أي تعرض له وأمكنه إصابته بفكري والفكر هو جولان القلب في المعقولات ليتوصل إلى العلم القطعي الموافق للعلم السمعي، وإلا فهو حديث نفس ووسواس يضرب به وجه اللعين الخناس، **فألقي السمع** بحذف النون من ألقى لأنه خطاب للمؤنثة على جهة الأمر والأمر مجزوم، والفاء جواب الشرط، وإلقاء السمع هو الإصغاء بنية القبول، **يا ربة الخبا؛** تأنيث ربّ، والخبا؛ معروف وأضيفت المناداة إليه لأنه ملزوم المخددات في البادية والأسفار ومقصورهم من عيون الأشرار "[1]

ومن النماذج التي يعرب فيها كلام الناظم قوله: "**الجرشم؛** أي الضخم الصدر، **العلي الأقطار؛** أي الطويل القامة والقوائم الفخم المفخم، **نحضه؛** أي لحمه **فقل؛** جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر "[2]

لا يكتفي الشارح بضبط المفردات بالحركات فحسب بل يكتب الحركات بالحروف كما مر بنا في غير موضع سابق.

(ت) المصادر:

لم يصرح الشارح بمصادره في مقدمة كتابه، ولم يشر إليها ولو بإشارة بسيطة، ولكن المطلع على الشرح تتبادر إلى ذهنه مصادر الشارح؛ وهي متعددة ومتنوعة:

- ✓ القصيدة (المنظومة).
- ✓ كتب الخيل.

[1] ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 2 ـ 3.
[2] ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 5.

- ✓ المعاجم.
- ✓ التفاسير.

ومادام الشارح يشرح منظومة معينة فإن أول مصدر من مصادره هو تلك المنظومة التي يرجع إليه كل حين كما رأينا ذلك، ومما لا شك فيه أن أوصاف الخيل والجياد قد تعرف عليها من كتب الخيل التي صنفها الأقدمون كالأصمعي، والسيوطي، وغيرهما، ومن المعاجم؛ فقد استعمل معاجم كثيرة في هذا الشرح، وقبله في نظم المنظومة، وهذا ما يدل على سعة اطلاع الرجل على المعاجم العربية وإلمامه بما فيها؛ فهو واحد من ملاك ناصية اللغة في توات ومعترف له بذلك وهذا ما أثبته في هذه القصيدة وشرحها وغيرهما، كما يمكن أن يكون قد استعان بالتفاسير في الوصول إلى معاني الكثير من الأوصاف.

مما لا شك فيه أن الناظم الذي هو نفسه الشارح قد تعرّف على كتب الخيل وهي كثيرة في تراثنا العربي قديمه وحديثه منها ما اهتم بخُلقها وصفاتها وألوانها وأمراضها...[1]، أذكر منها:

- ✓ كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، لابن الكلبي (ت: 206هـ)
- ✓ كتاب الخيل، لأبي عبيدة (ت: 210هـ)
- ✓ كتاب الخيل للأصمعي (ت: 216هـ)
- ✓ كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، لابن الأعرابي (ت: 231هـ)
- ✓ كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، للغندجاني (ت: بعد 430هـ)

[1] ـ ينظر مقدمة التحقيق: نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1423هـ ـ 2003م، ص: 7 ـ 10.

- ✓ أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وما يُحمد منها وما يُذم، لعبد الله بن حمزة اليمني (تـ: 614هـ)
- ✓ كتاب الحلبة في أسماء الخيل في الجاهلية والإسلام، للصاحبي التاجي توفي بعد (677هـ)
- ✓ فضل الخيل، للدمياطي (تـ: 705هـ)
- ✓ كتاب جر الذيل في علم الخيل، للسيوطي (تـ: 911هـ)
- ✓ كتاب فوائد النيل بفضائل الخيل، لعلي بن عبد القادر الحسيني الطبري المكي (تـ: 1070هـ)
- ✓ رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد، للبخشي (تـ: 1098هـ)
- ✓ كتاب قطر السيل في أمر الخيل، لسراج الدين عمر بن رسلان البُلقيني
- ✓ عقد الأجياد في الصافنات الجياد، للجزائري (تـ: 1331هـ)

كما رأينا عند حديثا عن بعض الأوصاف التي جاء بها الشاعر في القصيدة فهي مأخوذة من كتب الخيل وتحديدا من كتاب الأصمعي (الخيل)، وكتاب السيوطي (جر الذيل في علم الخيل)، وهذا أمر طبيعي، إلا أنه عند شرحه لم يشر إلى مصادره لا من قريب ومن بعيد.

ومن ذلك عند حديثه عن نسب خيل النعامي أو (النعامة) يقول: "(نعامي) منسوب إلى نعامة وهو فحل كريم للحارث بن عباد، إليه تنسب الخيول الكريمة، ومن كرم الخيل أن

المهر تسري إليه أوصاف أبيه لا يترك منها شيئا فلذلك كانت العرب تحافظ على أنساب خيلها كما تحافظ على أنسابها"[1]، فقد جاء هذا في كتب أسماء الخيل وفرسانها[2].

وفيما يأتي سأحاول استقصاء بعض المعاجم التي يحتمل أن يكون الشارح قد لجأ إليها، كما هو الشأن في شرحه لكلمة (صافن) يقول: "صافن؛ أي الذي يرفع إحدى قوائمه ويقوم على ثلاث والجمع صافنات"[3]، وجاء في الصحاح للجوهري: "الصَّافِنُ من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أَقام الرابعة على طرف الحافر"[4]

ومما أخذه عن المعاجم كذلك معنى (كُمَيت)، حيث قال: "كميت؛ بضم الكاف وفتح الميم شديد الحمرة مع سواد العرف والظهر، والجمع كُمْت بضم الكاف وسكون الميم"[5]، جاء في لسان العرب: "الكُمَيْتُ: لونٌ ليس بأَشْقَر ولا أَدْهَم؛ وكذلك الكُمَيْتُ: من أَسماء الخمر فيها حُمرة وسواد، والمصدر الكُمْتَة. ابن سيده: الكُمْتةُ لونٌ بين السَّوادِ والحُمْرة، يكون في الخيل والإِبل وغيرهما... قال أَبو عبيدة: فَرْقُ ما بين الكُمَيْتِ والأَشْقَر في الخيل بالعُرْفِ والذَّنَبِ، فإِن كانا أَحْمَرَين، فهو أَشْقَرُ، وإِن كانا أَسودين، فهو كُمَيْتٌ، قال: والوَرْدُ بينهما؛ والكُمَيْتُ للذكر والأُنثى سواء. يقال مُهْرة كُمَيْتٌ؛ جاء عن العرب مُصَغَّراً، كما تَرى"[6].

ومنه كذلك قوله عن (عجلزة وعنجوج) حيث قال: "(عجلزه)؛ بعين ولام مفتوحتين وجيم ساكنة بينهما وزاي مكسورة وهاء خالصة تتغير بتغيير الإعراب، وتمكث ضرورة، (قد تدربا)؛ أي تدرب على الحرب فعرف بالطبع مكائدها وتخلق بالصبر على... (فيا حبذا) صيغة مدح

---

1 ــ شرح أوصاف الجياد، ص: 4.
2 ــ ينظر: الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، الصاحبي التاجي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ ــ 2009م، ص: 70، وأسماء خيل العرب وفرسانها، ابن الأعرابي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ ــ 2009م، ص:69.
3 ــ شرح أوصاف الجياد، ص: 4.
4 ــ الصحاح، مادة (صفن).
5 ــ شرح اوصاف الجياد، ص: 4.
6 ــ لسان العرب، مادة (كمت).

بمعنى نِعم (عنجوج) أي أجود من الخيل بضم العين والجمع عناجيج"[1]، وجاء في لسان العرب عن عجلز: "العِجْلِزَةُ والعَجْلَزَةُ، جميعاً: الفرس الشديدة الخَلْق"[2]، وعن عنجوج: "والعُنْجُوجُ: الرائِع من الخيل، وقيل: الجَوَاد، والجمع عَناجيجُ"[3]

ومن التفاسير التي فسرت لفظة (صواف) الواردة في القرآن الكريم في سورة الحج الآية 36 وفيها يقول القرطبي: "وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبك الرابعة، والسنبك طرف الحافر"[4]، ويقول السجستاني: "وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن، إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبك الرابعة"[5].

إذن فالشارح في شرحه أثناء التعامل مع أقوال العلماء لا يذكر اسم المصدر ولا اسم صاحبه؛ فهو يأخذ دون إسناد، وتراه يقول: " وما كان سانحا: أي متعرضا مأخوذ من قولهم: سنح للرائي كذا: أي تعرّض له وأمكنه إصابته بفكره"[6].

(ث) شواهده:

لم يهتم البكري بن عبد الرحمن كثيرا بالشواهد؛ فهو لم يقدم شاهدا في شرحه على ما جاء به من المعاني لألفاظ غريبة لا من الشعر ولا من غيره، مع أن الشواهد كانت ستدعم موقفه ورأيه أكثر.

وقد جاء ببعض الأحكام التي استشهد لها بأحاديث نبوية شريفة، كحكم محادثة النفس بالغزو والجهاد دليل على براءة النفس من النفاق، حيث قال: "لأن التحدث في النفس بذلك

1 ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 4، 5.
2 ـ لسان العرب، مادة (عجلز).
3 ـ لسان العرب، مادة (عنج).
4 ـ الجامع لأحكام القرآن، 46/12.
5 ـ غريب القرآن، السجستاني، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط: 01، 1416هـ ـ 1995م، ص:299.
6 ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 3.

براءة من النفاق ومن الموت على عدم الوفاق، لقوله عليه السلام:(من لم يغزو أو يحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)"[1].

ومنها التشاؤم الذي جعله من قبيل الطيرة، حيث قال: "وما ثم إلا أفعاله في المكونات لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء ما ، والتشاؤم في النخلات من قبيل الطيرة، والطيرة الباطل والباطل بمنزلة الشراب والشراب لم يكن شيئا وقد قال صاحب الحق صلى الله عليه وسلم: (لا عَدْوَى وَلا طَيَرَةَ ولا صَفْرَ وَلا هَامّةَ)[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس)"[3].

ومنها كذلك في اقتناء الخيل خير ونعمة مستشهدا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)"[4].

(ج) أدوات التفسير:

استعمل الشارح أثناء شرحه وسائل تفسير معروفة كالضد الذي أكثر الشارح من استخدامه وذلك لتوضيح الغامض من الألفاظ كما في قوله: "والأجرد من الخيل القصير الشعر وضده مذموم، ضد طويل عال مشرف"[5]، وقد استعمل وسيلة الترجمة إلى اللغة العامية كقوله: "مداك عروس حجر معروف يقال له بلسان العامة في أفقنا (أدك) بكاف

---

1 ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 3، والحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم الحديث: 2502، (سنن أبي داود، 19/3.)

2 ـ أخرجه أبو داود بلفظه في مسنده تحت رقم: 3911، في كتاب: الطب، باب: في الطيرة، 148/4.

3 ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 8، والحديث أخرجه البخاري بلفظ (إن كان في شيء ففي المرأة والفرس والمسكن) في كتاب الجهاد والسير، باب: ما يذكر من شؤم الفرس، تحت رقم: 2859.(الجامع الصحيح، البخاري، 321/2.)، وأخرجه مسلم بلفظ: (إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة) كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون الشؤم فيه.(الجامع الصحيح، مسلم، 34/7.)

4 ـ ينظر: شرح اوصاف الجياد، ص: 9، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه تحت رقم: ، في كتاب: الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، 319/2، وأخرجه مسلم من طريق أخرى، ينظر: الجامع الصحيح، مسلم، 31/6، كتاب: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير.

5 ـ شرح أوصاف الجياد، ص: 4.

معقودة منقلبة عن قاف يُدق فيه الطيب، ومن هه الأنواع ما هو أسود مثل الحنينة بلسان العامة"[1]

- **المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن:**

"المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن" منظومة في غريب القرآن للأستاذ محمد الطاهر التليلي[2]، وقد تناول الأستاذ الطاهر التليلي في كتابه الغريب المفرد، بمعنى الكلمات الغريبة التي وردت في القرآن الكريم مرة واحد ولم تتكرر، وفيما يأتي هذه دراسة لشرح هذا الكتاب للشارح محمد باي بلعالم.

1 ـ وصف الكتاب:

عنوان الكتاب: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن.

دار النشر: مطبعة عمار قرفي باتنة الجزائر.

المؤلف: محمد باي بلعالم.

تاريخ الطبع: دون تاريخ.

رقم الطبعة: دون طبعة.

المسطرة: 20x12.

نوع الخط: آلي.

عدد الأسطر في الصفحة:21 سطرا.

---

[1] ــ شرح أوصاف الجياد، ص: 7.

[2] ــ ولد ببلدة قمار بولاية الوادي سنة 1910م، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم رحل إلى جامع الزيتونة بتونس، قضى جل حياته في التعليم والتأليف، توفي سنة 2003م. ("الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي"، أبو القاسم سعد الله، مجلة اللغة العربية،ع: 13، 2005م، ص:40 ـ 43.)

عدد الكلمات: 12 كلمة.

عدد الأوراق: 179 صفحة.

حالة الطبعة: جيدة.

يبدأه بقوله بعد البسملة والحمدلة: "فيقول العبد الضعيف القاصر محمد باي بن محمد عبد القادر عامله الله بلطفه الخفي والظاهر..."[1]

ويختمه بقوله: "هذا أحسن ما نختم به هذا التعليق المبارك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك...غفر الله له ولوالديه ولمشائخه آمين"[2]

2 ـ الدراسة والتحليل:

(أ) أسباب ودواعي الشرح والتأليف:

إن من دواعي وضع الشيخ محمد باي بلعالم لشرح هذه المنظومة هو إعجابه بها وببراعة الناظم، وكذلك كون الشيخ كان قد فرغ من شرح ألفية غريب القرآن لابن العالم محمد الزجلوي، يقول عن في ذلك: "قد كنت في الأيام الفارطة وضعت شرحا على ألفية غريب القرآن للشيخ سيد محمد بن مَحمد العالم الزجلوي التواتي سميته "ضياء المعالم" ولم أضع عصا الرحلة التي قضيتها فيه حتى فوجئت لأول مرة بنظم رائع رائق في نفس الموضوع"[3]، فاعتراف الشيخ بنفسه أن النظم قد أعجبه وراقه كان وراء شرحه له.

[1] ـ المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت، ص:3.
[2] ـ المفتاح النوراني..، ص: 179.
[3] ـ المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن، ص:3.

(ب) المنهج المتبع في الشرح:

لليشخ باي بلعالم منهجه وأسلوبه في الشرح لا يحيد عنه كما رأينا ذلك في شروحه السابقة آنفا، وإن كان الأمر هنا يختلف عن الشروح السابقة إذ الأمر يتعلق بشرح ألفاظ غريب القرآن الكريم فهل التزم الشيخ أسلوبه المعهود أم غير منه وكيف ذلك؟

إن الشيخ باي لم يحد عن أسلوبه في الشرح فهو يأتي بعدد من الأبيات ثم يذكر الألفاظ الغريبة في الأبيات أو البيت، وبعد ذلك يقوم بذكر الآية التي وردت فيها اللفظة، ثم يذكر معانيها، وقد يقوم بإعراب بعض كلمات البيت أو الأبيات أو بحسب ورودها في الآية القرآنية هذا منهجه في ضياء المعالم[1]، أما في هذا الكتاب فسنوضح أسلوبه فيما يأتي.

يبدأ الشيخ باي شرحه على هذا الأسلوب، فيقول: "**باب ما أوله همزة** اشتمل هذا الباب على ثلاثة عشر بيتا تضم ثلاثة عشر كلمة من الغريب المفرد الذي لم يذكر إلا مرة واحدة في القرآن وهي: أبًّا . أبِقَ . الأثل . إدًّا . إرَمْ . أسن . التناهم . ولا يلتكم . أمتا . الأنام . يؤدي . أي . الأيامى، ثم قال:

(لَفْظَـــةُ أَبًّـــا قَـــدْ أَتَـــتْ مُنْفَـــرِدَهْ فِـــي عَـــبَسٍ لا غَيْرَهَـــا مُجَـــرَّدَهْ)

يعني إن لفظة (أبا قد أتت منفرده) في الآية 31 من (عبس لا غيرها مجردة) وهي بالنصب عطفا على ما قبلها وهو مفعول ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ [عبس، الآية31] ومعنى الب الكلأ والمرعى وهو ما تأكله البهائم من العشب من أبه إذا أمه وقصده لأنه يؤم ويقصد أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو ما تأكله البهائم من العشب والنبات رطبا كان أو يابسا"[2]

[1] ـ ينظر: ضياء المعالم شرح ألفية ابن العالم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت، منهجه في الكتاب بجزئيه.
[2] ـ المفتاح النوراني...، ص: 10، 11.

ومن ذلك قوله: "باب ما أوله قاف اشتمل هذا الباب على اثنين وعشرين بيتا تضم ثلاثا وعشرين كلمة من الغريب المفرد الذي لم يذكر إلا مرة واحدة في القرآن وهي: مقبوحين . قثاؤها . قدحا ...ثم قال:

(وَمَقْبُـــوحِينَ لَفْظَـــةٌ قَـــدْ ذُكِـــرَتْ فِــــي قَصَـــصٍ وَفِـــي سِـــوَاهَا أُنْكِـــرَتْ)

(و) قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص، الآية 42]، هم: مبتدأ، ومن المقبوحين: جار مجرور، خبر يعني المطرودين المبعدين جمع مقبوح، يقال: قبحه الله أي نحاه وأبعده من كل خير، قال أبو عمر: وقبحت وجهه بالتخفيف بمعنى قبحت بالتشديد، قيل: المقبوح المشوه الخلقة فهم موسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (لفظة قد ذكرت في) الآية 42 من (القصص وفي سواها) أي غيرها (أُنكرت)"[1]

كما لاحظنا فقد ذكر عدد الأبيات الواردة في الباب ثم عدد الكلمات الغريبة الواردة فيه، ثم يتناول الأبيات بيتا بيتا يكتب البيت ويشرح الكلمة الغريبة بذكر معانيها والآية الواردة فيها مع شرح بقية ألفاظ البيت، وإعراب بعضها، والتغيير في المنهج والأسلوب هنا هو أسلوبه في تناول الكلمات الغريبة فقد كان يتناولها في ضياء المعالم ضمن مجموعة من الأبيات فقد يكتب أبيات الباب بأكمله، إلا أنه هنا تناولها بيتا بيتا، إلا في موقفين اثنين أحدهما عند حديثه عن خطبة الناظم ومقدمته[2]، وثانيهما عند شرحه باب "الأعلام التي ذكرت مرة واحدة في القرآن" حيث شرع في كتابة مجموعة من الأبيات ويشرحها[3]، ومن الملاحظ كذلك على الشيخ باي أنه لا يذكر المصادر التي استقى منها معلوماته، وسنوضح ذلك في المصادر.

[1] ـ المفتاح النوراني...، ص: 121، 122.
[2] ـ ينظر: المفتاح النوراني...، ص:5 ـ 8.
[3] ـ ينظر: المفتاح النوراني...، ص: 169 ـ 178.

(ت) **المصادر:**

سبق وأن قلنا بأن الشيخ محمد باي يتعامل مع المصادر بطريقة القدامى فهو قد يذكر المؤلِّف دون ذكر مؤلَّفه، وقد يعكس فيذكر المؤلَّف دون ذكر مؤلِّفه، وعلى العموم فإن مصادر الشيخ باي متعددة متنوعة بين فقه، وتفسير، وحديث، ومعاجم، فكيف كان يتعامل مع النقول؟

إن الشيخ كما أشرنا قد يحيلك على المصدر، أو على صاحبه؛ فيأخذ من الأقوال ما يناسبه أخذا مباشرا دون إحالة على صاحبه أو على مصدره، فيتداخل كلامه بكلام غيره من المؤلفين، وفيما يأتي هذه نماذج على ما أقول من كتابه المدروس.

قد يقتبس الشيخ باي أقوال غيره مباشرة ويحيل عليها دون ذكر الكتاب ويكتفي بذكر صاحبه كما هو الشأن مع أصل كلمة (هار) فقد اقتبس قول العكبري واكتفى به دون توضيح أو شرح ودون زيادة أو نقصان[1]، وكما هو الشأن في تعرضه لأقوال أهل اللغة في لفظة (ضيزى)، فقال: "قوله (في النجم ضيزى ذكرت مختصة) بها (هذا الذي قصّه) أي أخبر به (منْ قصّه) أي تتبع ذلك، وضيزى نعت لقسمة، والمعنى جائر أو منقوصة.

قال الأخفش: يقال: ضاز في الحكم أي جار، وضاز حقه يضيز ضيزا أي نقصه وبخسه قال: وقد يهمز.

وقال الكسائي: ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا إذا تعدى وظلم وبخس ونقص.

قال الفراء: وبعض العرب يقول ضئز بالهمز.

وعن أبي زيد أنه سمع العرب تهمز ضيزى.

[1] ـ ينظر: المفتاح النوراني...، ص: 32، والتبيان في إعراب القرآن، 491/1 ـ 492.

قال البغوي: ليس في كلام العرب فِعْلى بكسر الفاء في النعوت وإنما تكون في الأسماء مثل ذِكرى وشِعرى."[1]

وقد يقتبس دون أن يسند القول إلى صاحبه وهو ما فعله مع إعراب جملة (أن جاء) في سورة هود في الآية ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ حيث قال: "أن جاء في موضعه ثلاثة أوجه: أحدها: جر تقديره عن أن جاء؛ لأن لبث بمعنى تأخر، والثاني: نصب وفيه وجهان: أحدهما: أنه لما حذِف حرف الجر وُصِل الفعل بنفسه، والثاني: هو محمول على المعنى أي لم يترك الإتيان بعجل، والثالث: رفع على وجهين: أحدهما: هو فاعل لبث أي فما أبطأ مجيئه، والثاني: أن ما بمعنى الذي وهو مبتدأ، وأن جاء خبره تقديره والذي لبثه إبراهيم عليه السلام قدر مجيئه أو مصدرية أي لبثه مقدار مجيئه"[2]، وهذا الكلام مأخوذ من كتاب العكبري بنصه[3].

الشواهد:

لم يولِ الشيخ للشواهد أهمية بالغة، بل لم يكد يستعملها إلا في النادر القليل وكان من الأهمية بمكان أن تستعمل الشواهد من كلام العرب خاصة لتدعيم المعاني التي جاء بها الناظم، فكل كلمة غريبة جاءت في القرآن قد استعملها العرب في أشعارهم وأقوالهم وهذا ما كان على الشيخ فعله حتى يكون الشرح أقوى وأكثر إفادة، ونعود إلى الشواهد التي استعملها الشيخ بَايْ في شرحه فقد استشهد في الكتاب في مواضع قليلة جدا، ومنهاما استعمله في بعض الأحكام العامة فالأول استخدمه في وقوع الخطأ من الإنسان فقال: "...أرجو تصحيح ذلك الخطأ بعد تحقيقه لمن فيه اهلية الإصلاح ولقد قال الشاعر:

1 ـ المفتاح النوراني، ص: 97 ـ 98. وينظر: معاني القرآن، الفراء، 98/3 ـ 99، ومعالم التنزيل في التفسير والتاويل، 155/5.

2 ـ المفتاح النوراني...، ص: 42 ـ 43.

3 ـ ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 36/2.

مَـــنْ ذَا الـــذِي مَـــا سَـــاءَ قَـــطْ   وَمَـــــنْ لَـــــهُ الحُسْـــــنَى فَقَـــطْ

ذَاكَ مُحَمَّـــــــــــدُ الـــــــــــذِي   عَلَيـــــــهِ جِبْرِيـــــــــلُ هَـــــبَطْ

ومع ذلك فإن أملي أي رجائي..."[1]، والثاني على ضرورة كتابة العلم وتقييده حيث قال: "...كأنه يشير إلى قول بعض الحكماء:

العِلْـــــمُ صَــــيْدُ وَالكِتَابَـــــةُ قَيْـــدٌ   قَيِّـــدْ صُـــيُودَكَ بِالحِبَـــالِ المُوَثَّقَـــة

فَمِـــنَ الحَمَاقَـــةِ أَنْ تَصِـــيدَ غَزَالَـــةً   وَتَتْرُكْهَـــا بَـــيْنَ الخَلائِـــقِ طَالِقَـــة

قوله أبياته..."[2]

ومن شواهده على ألفاظ الغريب قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في كلمة (سلسبيل) وقول حسان هو:

يَسْـــقُونَ مَـــنْ وَرَدَ البَـــرِيضَ عَلَـــيْهم   كَأْسًـــا يُصَّـــفِّقُ بِـــالرَّحِيقِ السَّلسَـــلِ[3]

---

[1] ـ المفتاح النوراني، ص: 9.
[2] ـ المفتاح النوراني، ص: 178.
[3] ـ ينظر: المفتاح النوراني، ص: 83، ورد البيت في ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه كالآتي:
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيضَ عَلَيْهِم   بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلسَلِ
ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، حسان بن ثابت، تح: عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:02، 1414هـ ـ 1994م، ص: 184.

(ث) أدوات التفسير:

لم يخرج الشيخ بَايْ في استخدام أدوات التفسير عما استخدمه العجميون من أدوات سبقت الإشارة إليها فقد استعمل المرادف والسياق وغير ذلك ومنها قوله: "و(تلّ) فعل ماض من باب قتل فهو متلول، وتائل أي: صرعه وألقاه على عنقه وخده، والتل أصله الرمي على التل، وهو الرمل المجتمع، ثم عُمِّمَ في كل صرع ودفع"[1]، ومنها كذلك قوله في معنى (نبتهل): "البهلة: اللعنة"[2]، وغير هذا كثير في الكتاب.

(ج) الزيادات والإضافات:

لقد كان الشيخ بَايْ يضيف ويزيد على ما جاء به الناظم في كثير من المناسبات خاصة حينما يتعلق الأمر بالكلمات الغريبة وذلك لأن الناظم ليس هو أول من تحدث في الغريب، فالغريب من علوم القرآن الكريم منذ نزوله؛ فقد خاض فيه الكثير من العلماء القدامى والمحدثين، ولهذا تجد الشيخ باي يضيف ما غفل عنه الأستاذ محمد الطاهر التليلي، أو أغفله فتراه يدخله تحت عنوان تنبيه، والشيخ حديث عهد بالغريب فقد شرح هذه المنظومة مباشرة بعد فراغه من شرح منظومة أطول منها في هذا الميدان، ومن تلك التنبيهات التي أضافها الشيخ باي وأثرى بها شرحه كلمتان هما (بعوضة، ويبحث)، يقول الشيخ باي: "تنبيه: ترك الناظم رحمه الله تعالى كلمتين من هذا الباب من المفرد الذي لم يتكرر وهما بعوضة من قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِۦ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ من الآية 26 من البقرة...والبعوض ضرب من الذباب...والكلمة الثانية يبحث من قوله تعالى في الآية 31 من المائدة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِے ٱلاَرْضِ﴾ ومعنى يبحث في الأرض يحفرها

[1] ـ المفتاح النوراني، ص: 27.
[2] ـ المفتاح النوراني، ص: 23.

وينشر ترابها وينبش بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه وهذه الفظة لم ترد في غير هذه السورة والله أعلم"[1]

وقد أورد بعض من أصحاب الغريب كلمة بعوضة وعدوها من الغريب ومنهم القيسي والبغوي ومحمد ابن العالم الزجلوي وغيرهم[2]، أما لفظة يبحث فقد ذكرها محمد بن عبد العزيز الخضيري في كتابه "السراج في بيان غريب القرآن"[3].

ومن تنبيهاته التي حاول من خلالها إضافة ما أغفله الأستاذ الطاهر التليلي كلمة "جيد" الواردة في سورة المسد فقال: "ترك الناظم كلمة من هذا الباب من المفرد الذي لم يتكرر وهي (الجيد) من قوله تعالى في الآية 5 من المسد ﴿فِي جِيدِهَا﴾، الإعراب في جيدها: جار ومجرور خبر مقدم، حبل: مبتدأ مؤخر، من مسد: جار ومجرور متعلق بمحذوف، والجيد: العنق"[4]، وقد جعل أصحاب الغريب هذه اللفظة من الغريب[5]

ومن إضافاته فإنه قد يخرج عن الناظم فيفسر الكلمة على غير ما فسرها صاحب النظم، وقد لاحظنا ذلك عند تفسيره لكلمة (يرتع) الواردة في سورة يوسف حيث فسّرها الناظم بالقيام، وفسّرها الشارح بالاتساع في الملاذ حيث قال الشارح: "وقوله:

(يَرْتَـع يَقُـمْ قَـدْ وَرَدَتْ فِـي يُوسُـفِ   مُفْـرَدَةً فِـي غَيْرِهَـا لَـمْ تُعْـرَفِ)

يعني أن قوله تعالى:﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعِ﴾ (قد وردت في) الآية 12 من (يوسف مفردة في غيرها) من سور القرآن لم تعرف، الإعراب؛ أرسله: فعل أمر، معنا: ظرف

1 ـ المفتاح النوراني...، ص: 23، 24.
2 ـ ينظر: ألفية الغريب، ص: 163، ومعالم التنزيل 35/1، والعمدة في غريب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1401هـ - 1981م، ص:71.
3 ـ ينظر: السراج في بيان غريب القرآن، محمد عبد العزيز الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، م ع س، ط: 01، 1424هـ ـ 2008م، ص: 41.
4 ـ المفتاح النوراني...، ص: 37.
5 ـ ينظر: كتاب غريب القرآن، السجستاني، ص: 183، وتفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تح: أحمد الصقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1398هـ ـ 1978م، ص: 542.

مضاف، نا: مضاف إليه، غدا: ظرف زمان، يرتع: فعل مضارع مجزوم بجواب الأمر، ومعنى يرتع: يتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتع، وهو الاتساع في الملاذ والتنعم في العيش، وفعله كمنع، ومنه قيل للاتساع في الخصب الرتعة"[1].

فإذا كان الناظم ذهب في تفسير اللفظة (يرتع) مع أبي حيان حيث فسرها بقوله: "يرتع: أقام في خصْب وتَنَعُّم"[2]، فإن الشارح ذهب مع الفيروز آبادي حيث قال: "رَتَعَ، كمنعَ، رَتْعاً ورُتُوعاً ورِتاعاً، بالكسر: أكَلَ، وشرِبَ ما شاءَ في خِصْبٍ وسَعَةٍ، أو هو الأكلُ والشُّرْبُ رَغَداً في الرِّيفِ أو بِشَرَهٍ"[3]، وكان هنا على الشارح أن يشير إلى تعدد معاني الكلمة بحسب القراءات القرآنية لها[4]

(ح) تصويباته:

كان الشيخ باي رحمه الله يقوم في بعض الأحيان بتصويب المنظومة عروضيا حيث قال في هذا البيت:

جَامِـــدَةً تَحْسِـــبُهَا فِـــي النَّمْـــلِ   وَحِيـــدَةً كَمَـــا أَتَـــى فِـــي النَّقْـــلِ[5]

يقول الشيخ باي: "فلو قال:

تَحْسِـــبُهَا جَامِـــدَةً فِـــي النَّمْـــلِ   وَحِيـــدَةً كَمَـــا أَتَـــى فِـــي النَّقْـــلِ

لكان موافقا لترتيب التلاوة مع استقامة الوزن والعبارة"[6]

---

1 ـ المفتاح النوراني...، ص: 61.
2 ـ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1413هـ ـ 1993م، 277/5.
3 ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (رتع)
4 ـ ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تح: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج م ع، ط: 02، د ت، 569/15 ـ 572.
5 ـ المفتاح النوراني...، ص: 35.
6 ـ المفتاح النوراني...، ص: 35.

فالشارح يعيب على الناظم قوله البيت على هذه الطريقة؛ لأنه خالف التلاوة ففي الآية وردت ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾[النمل، الآية 88]، ومع الطريقتين يبقى البيت مستقيما وزنا.

ومن مآخذه على الناظم كذلك قوله في هذا البيت:

وَمَرْجِعِـــي فِـــي هَـــذِهِ الأَمْنِيَّـــهْ مُعْجَـــمُ الأَلْفَـــاظِ القُرْآنيَّـــهْ

ولا يخفى أن وزن البيت الذي أوله ومرجعي ...إلخ غير مستقيم"[1]

يتمتع الشيخ باي بحاسة عروضية قوية فقد استطاع إدراك الكسر العروضي الذي وقع فيه الأستاذ محمد الطاهر التليلي حيث نلاحظ في الشطر الثاني من البيت كسرا عروضيا في حشوه.

خلاصة:

إن المتتبع للشروح التي وضعها علماء يدرك أنهم اقتصروا على شرح المتون المعجمية المحلية، باستثناء ما قام به الشيخ محمد بَايْ بلعالم الذي شرح منظومة "المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن" للأستاذ محمد الطاهر التليلي، والسبب يرجع إلى الإعجاب بما أنتجه المحلي من جهة ومن جهة أخرى الحرص على تقريب ما هو متوفر وجاهز، وربما يكون تقديرا لهذا الإنتاج المحلي.

[1] ـ اللمفتاح النوراني...، ص: 8.

الخـــاتمـــــة

أطْلَعَتْنَا الدراسة من خلال ما سبق على جهود علماء توات في الدرس اللغوي (نحو، صرف، معاجم)، وقد رأينا أن الحركة العلمية بالإقليم عرفت ذروة نشاطها خلال القرنين الحادي عشر والرابع عشر الهجريين، وذلك من خلال ما برز فيها من علماء، ومؤلفاتهم التي أطلعتنا الدراسة على جانبها اللغوي وقد انتهت الدراسة إلى:

- جل ما ألفه علماء توات في الدرس اللغوي (نحوه، صرفه، معجمه) كان نظما وهذا يدل على اهتمامهم بالجانب التعليمي للغة.
- المنظومات التي مرت بنا كان أصحابها علماء غلب عليهم الجانب الفقهي، وهم بدورهم شيوخ زوايا فوجدوا فيها:

1. وسيلة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى قبل أن تكون أشياء أخرى؛ فهي رغم جانبها التعليمي البارز؛ فإنها لم تهمل الجانب التربوي الذي وجد فيه شيوخ الزوايا مُتَنَفَّسًا لتوصيل الرسالة الأخلاقية.

2. وسيلة لتقويم اللسان فقد رأينا أصحاب المنظومات السابقة يولون هذا الجانب عناية كبيرة، فاهتمامهم كان منصبا على تقويم الألسنة وصيانتها من اللحن؛ فكانت المنظومات تقدم في أغلبها نحوا معياريا، مهتما باللغة التي ينتجها المتعلم.

- المنهج المتبع في المنظومات لم يخرج عن المنهج الاستقرائي والاستنتاجي التعليمي؛ فكلها تسوق القاعدة ثم تسوق الأمثلة بعدها، وتعممها وتنتقل من العام إلى الخاص، ومن الكليات إلى الجزئيات، أو العكس لتكون منسجمة مع التفكير البشري.
- حاول أصحاب المنظومات دمج الجانب النظري مع الجانب التطبيقي؛ فكل منظومة كان لها جانبان لا تكاد تشعر بالفاصل بينهما؛ فكل قاعدة وراءها مثال أو شاهد يسوقه الناظم، وما على المتعلم إلا الصياغة على منواله، وكأنهم اعتمدوا قاعدة: "السماع أبو الملكات اللسانية".

- الاهتمام بالأعاريب كان باديا في بعض المنظومات؛ حيث انبرى أصحابها إلى ذلك صراحة وهذا ما يدل على أن من شيوخ الزوايا مَنْ لهم اهتمام كبير بالإعراب، وإصلاح اللسان لأنه الوسيلة المثلى لتلك الغاية النبيلة.

- تفطّن شيوخ الزوايا إلى توظيف الشعر وإيقاعاته في صياغة منظومات نحوية تُسهم في تسهيل تَعَلُّمِه، وتيسير حفظ قواعده بسرعة؛ لأن الشعر أسهل حفظا من النثر.

- بروز منظومات نحوية جمعت شتات النحو من كتب مختلفة، وأخرى استطاعت أن تضم كتبا ومتونا علمية بأكملها وقدّمَتها في قالب شعري يسهل حفظه وتداوله.

- جل المنظومات جاءت على بحر شعري واحد وهو بحر الرجز لأنه أوفى البحور الشعرية نغما، وأكثرها مطاوعة في زحافاته وعلله (الضرورة الشعرية).

- مستوى المنظومات لم يقتصر على المبتدئين بل تعداهم إلى المستويات العليا، ويمكن حتى للطالب الجامعي والأستاذ الجامعي على حد سواء الاستفادة منها.

من خلال النماذج المدروسة والمحللة في الشروح نقف على عدة نقاط في المستويات المدروسة في الدراسة التحليلية أهمها:

- في المنهج فهو على طريقتين مزجية، وإنفصالية فالبعض يَفْصِل بين الشرح والمتن المشروح، والبعض الآخر يمزج بينهما.

- لم يخرج شرّاح المتون عن المناهج التي سار عليها أصحاب المتون العلمية إلا عند الضرورة بزيادة أو إضافة للفهم والتوضيح.

- الشواهد التي اعتمد عليها علماء توات في شروحهم كانت في مجملها لا تخرج عن الشواهد التي اعتمدها المشارقة؛ فهم لم يأتوا بما يشق عصا الاتباع والمتابعة والسير على المنوال.

- اعتماد علماء توات على المصادر العلمية الأصلية في شروحهم من كتب وأقوال العلماء العرب القدامى لَدليل آخر على سعة اطلاعهم، وكذا عدم خروجهم عن مصادر الدرس اللغوي العربي الأصيل، واعتمادهم على أقوال الجمهور وترك الشواذ منها.
- الاستطراد في الشرح حتى أنه يكاد يطغى على موضوع القضية المدروسة في الشروح.
- الاستئناس في المنهج بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي وكلام العرب.

الملاحق

الملحق 1

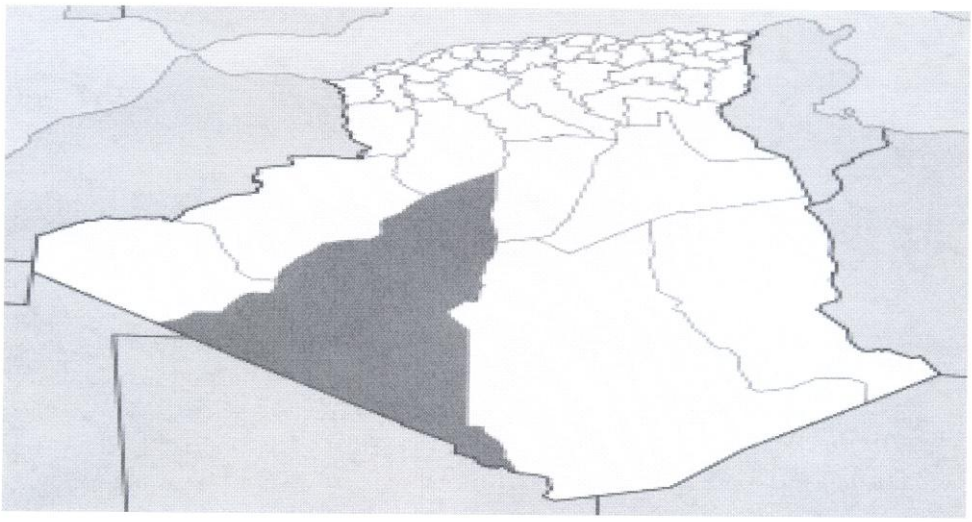

خريطة تبين موقع توات (ولاية ادرار) في الجزائر

توات (أدرار)

خريطة تبين أقاليم توات الكبرى الثلاثة

خريطة تبين بعض البلديات التي تحتوي علي خزائن مخطوطات والزوايا بإقليم توات (ولاية أدرار)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المخطوطات:

1. تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز، عبد الكريم بن أمحمد التواتي (1042هـ)، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط.

2. تسهيل الإرشاد، محمد الزجلوي (1212هـ)، مخطوط بخزانة الحاج سالم سالم بعباني ادرار.

3. تقييدات عند الأستاذ ابن خويا ادريس، جامعة ادرار.

4. تقييدات مخطوطة بخزانة الجعفريين ببودا ولاية ادرار.

5. تقييدات مخطوطة بالخزانة البكرية بتمنطيط ولاية ادرار.

6. جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مخطوط بخزانة المطارفة، وخزانة تمنطيط.

7. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم البكري، مخطوط بخزانة كوسام، وخزانة تمنطيط.

8. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، محمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط بخزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار، وخزائن أخرى.

9. الدرر المحمّدة في تحقيق معاني المشبهة، عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن الصالح بن البكري، مخطوط بخزانة سيدي بومدين بتمنطيط، ادرار.

10. رحلة ضيف الله إلى الديار التواتية، ضيف بن محمد بن أب، مخطوط بخزانة با عبد الله.

11. روضة النسرين في مسائل التمرين، محمد بن أب المزمري (1160هـ)، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

12. زينة الفتيان المسماة بألفية الفنون، محمد بن بادي، مخطوط بخزانة الشيخ الركب سيدي بونعامة، أقبلي، أولف أدرار.

13. شرح ألفية الغريب، أحمد بن الطيب، مخطوط بخزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار.

14. شرح أوصاف الجياد، البكري بن عبد الرحمن التينيلاني، مخطوط بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار، وخزائن أخرى.

15. العائلة البكرية، البكري بن عبد الكريم، مخطوط بخزانة الشيخ أحمد البكري بتمنطيط.

16. غاية الإحسان في علم اللسان، أبو حيان الأندلسي، مخطوط، دار الكتب المصرية.

17. قصيدة أوصاف الخيل، مخطوطة بخزانة البكرية بزاوية الشيخ سيدي البكري، عند الحاج عبد الله بكراوي.

18. منظومة أسماء الإشارة، البكري بن عبد الرحمن، مخطوط بالخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري.

19. منظومة زينة الفتيان، محمد بن بادي، مخطوطة بخزانة أولاد الشيخ البكاي، تهقارت، تمنراست.

20. منظومة السلم المرونق في علم المنطق، عبد الرحمن الأخضري، مخطوط عندي نسخة منه.

21. منظومة العلي القادر في نظم الأسماء المشتقة والمصادر، عبد الرحمن حفصي، مخطوطة عند الشيخ بأولف ادرار.

22. منظومة في الأفعال الثلاثية، عبد الرحمن حفصي، مخطوطة عند الشيخ بأولف.

23. منظومة في بيان إعراب الغياث الغياث، عبد الكريم البلبالي، مخطوطة بخزانة بني تامر.

24. منظومة في مسائل نحوية متفرقة، أمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد، مخطوط، بخزانة بني تامر.

25. منظومة في مواضع زياد كان، الحاج عبد الرحمن حفصي، مخطوطة في خزانة الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي بأولف.

26. منظومة كشف الغموم، محمد بن أب، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار.

27. منظومة المسائل نحوية على طرق الحواشي، البكري بن عبد الرحمن، مخطوط بالخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري.

28. منظومة نزهة الحلوم، محمد بن أب المزمري (1160هـ)، مخطوطة بخزانة با عبد الله، ادرار.

29. منظومة نظم مقدمة ابن آجروم، محمد بن أب المزمري (1160هـ)، مخطوطة بخزانة با عبد الله، ادرار.

30. منظومة هدية المجيب، عبد الكريم بن أحمد النحوي، مخطوط، خزانة تيدماين، ادرار.

31. نبذة عن علماء كوسام، مخطوط، بخزانة كوسام.

32. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، محمد بن المبروك البداوي (1198هـ)، مخطوط بخزانة الجعفريين ببودا.

33. نيل المراد من لامية ابن المجراد، محمد بن أب المزمري (1160هـ)، مخطوط بخزانة الأستاذ ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

34. نيل المراد من لامية ابن المجراد، محمد بن أب المزمري (1160هـ)، مخطوط بخزانة سيدي بومدين بتمنطيط.(نسخة أخرى)

الكتب المطبوعة:

1. أسباب اختلاف النحاة من خلال كتاب الإنصاف لابن الأنباري، نوري حسن حامد المسلاتي، دار الساقية للنشر، بنغازي، ليبيا، د ط، 1431هـ - 2010م.

2. أسماء خيل العرب وفرسانها، ابن الأعرابي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ - 2009م.

3. أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، بوساحة ، دار هومة الجزائر، د ط، 2002م.

4. أصول النحو العربي، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1982م.

5. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، درا العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 14، 1999م.

6. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 15، 2002م (نسخة أخرى).

7. الأغاني، الأصفهاني، طبعة دار الكتب المصرية، د ط، د ت.

8. الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو، رسالتان لابن الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، د ط، 1377هـ ـ 1957م.

9. الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ج م ع، 1426هـ ـ 2006م.

10. إقليم توات بين القرنين 18 و19 الملاديين، فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1977م.

11. أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، السهيلي، تح: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج م ع، د ط، 2002م.

12. أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة الحسني العلوي، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج م ع، ط: 01، 1413هـ ـ 1992م.

13. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ج م ع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1406هـ ـ 1986م.

14. أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040 ـ 1042هـ / 1630 ـ 1633م، تح: محمد الفاسي، وزارة

الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، فاس، 1388هـ /1968م.

15. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الأنباري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، 1419هـ - 1998م.

16. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، درا الفكر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1399هـ - 1979م.

17. بهجة الأريب في بيان ما كان في كتاب الله العزيز من الغريب، التركماني، تح: خالد محمد خميس، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، ج م ع، القاهرة، د ط، 1422هـ - 2002م.

18. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ/(17 - 20م)، حاج أحمد الصديق، ط: 01، 2003م.

19. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 04، 1400هـ - 1980م.

20. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1858م.

21. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 02، 1429هـ - 2008م.

22. التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد بَايْ بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

23. تصريف الأسماء، محمد طنطاوي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، م ع س، ط: 06، 1408هـ.

24. التصريف الملوكي، ابن جني، تح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية بالقربية، ج م ع، ط: 01، د ت.

25. تفسير البحر المحيط، أبو حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1413هـ - 1993م.

26. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تح: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج م ع، ط: 02، د ت.

27. تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تح: أحمد الصقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1398هـ - 1978م.

28. توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 م إلى 1902م، أحمد العماري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ط: 01، 1408هـ - 1988م.

29. توات والأزواد، حوتية محمد الصالح، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 1، 2007م.

30. جامع الشروح والحواشي معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ط، 2004م.

31. جر الذيل في علم الخيل، السيوطي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ - 2009م.

32. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، ط: 05.

33. جمهرة اللغة، ابن دريد، مطبعة دار المعارف، حيدر آباد، ط: 01، د ت.

34. حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د ط، د ت.

35. الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، الصاحبي التاجي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ - 2009م.

36. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، تح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج م ع، ط: 04، 1418هـ - 1997م.

37. الخلاصة في علم الجرح والتعديل، علي بن نايف الشحود، مكتبة المنار، قطاع غزة، فلسطين، ط: 01، 2008م.

38. الخيل، الأصمعي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1430هـ - 2009م.

39. دراسات في التراث، محمد الدباغ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

40. دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي، أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج م ع، ط: 01، 1428هـ - 2006م.

41. الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1417،1هـ - 1996م.

42. ديوان الفرزدق، الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1408هـ - 1987م.

43. ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 05، 1425هـ - 2004م.

44. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى (تاريخ ابن خلدون)، ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1421هـ - 2000م.

45. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1403هـ - 1983م.

46. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، حسان بن ثابت، تح: عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:02، 1414هـ - 1994م.

47. ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 01، 1411هـ - 1991م.

48. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

49. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، تح: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1405هـ - 1985م.

50. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، مطبعة دار هومة، الجزائر، د ط، د ت.

51. الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م، عبد الله بن محمد العياشي، تح: سعيد الفضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر ولتوزيع، أبو ظبي، إ ع م، ط: 01، 2006م.

52. الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

53. الرد على النحاة، ابن مضاء، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: 01، 1366هـ ـ 1974م.

54. الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

55. السراج في بيان غريب القرآن، محمد عبد العزيز الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، م ع س، ط: 01، 1424هـ ـ 2008م.

56. السَّنَنُ المبين في شرح أحاديث أصول الدين، بَايْ بن عمر الكنتي، تح: مالك كرشوش، وحيمد الكنتي، ركز الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، ط: 01، 1432هـ ـ 2011م.

57. الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، م ع س، ط: 01، 1415هـ ـ 1995م.

58. شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د ط، د ت.

59. شرح ابن عقيل، ابن عقيل، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت.

60. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 01، 1421هـ - 2000م.

61. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستر ابادي، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1403هـ - 1982م.

62. شرح الشافية في التصريف، عبد الله بن محمد (نقره كار)، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت.

63. شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، تح: أحمد أبا الصافي جعفري.

64. شرح قواعد البُصروية في النحو، علاء الدين البصروي، تح: عزام عمر الشجراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 01، 1421هـ - 2000م.

65. شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تح: فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت 1993م.

66. الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري 1198هـ، أحمد جعفري، منشورات دار الحضارة، الجزائر، ط: 01، 2009م.

67. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 03، 1404هـ - 1984م.

68. ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، د ت.

69. ضرائر الشعر، ابن عصفور، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، 1980م.

70. ضياء المعالم شرح ألفية ابن العالم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

71. طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، تح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1418هـ - 1997م.

72. الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح المؤيد العقبي، دار البراق، لبنان، بيروت، د ط، 2002م.

73. الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، عمار هلال، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د ط، د ت.

74. ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، د ط، 1966م.

75. عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، يوسف محمد طه زيدان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: 01، 1411هـ - 1991م.

76. عقبة بن نافع الفهري، محمود شيت خطاب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 5، 1397هـ - 1977م.

77. عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، تح: سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، د ط، 1414هـ - 1994م.

78. العمدة في غريب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1401هـ - 1981م.

79. العمد كتاب في التصريف، عبد القاهر الجرجاني، تح: البدراوي زهران، دار الآفاق العربية، القاهرة، ج م ع، ط: 01، 1429هـ - 2008م.

80. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، محمد بَايْ لعالم، دار هومة، الجزائر، د ط، د ت.

81. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، البرتلي، تح: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 01، 1401هـ - 1981م.

82. فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، أحمد بن عمر الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، د ط، د ت.

83. فهرست الرصاع، الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق وتعليق محمد العنابي، تونس: المكتبة العتيقة، ط: 1976م.

84. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

85. قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، محمد باي بلعالم، مطبعة دار هومة، الجزائر، د ط، د ت.

86. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، د ط، 2002م.

87. القول البسيط في أخبار تمنطيط، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.

88. القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي، منى الياس، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط: 01، 1405هـ - 1985م.

89. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1407هـ - 1987م.

90. كتاب تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، عبد الحميد عنتر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، م ع س، ط: 02، 1409هـ - 1999م.

91. كتاب التكملة، الفارسي، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 02، 141هـ - 1999م.

92. كتاب الدر المنظوم شرح على مقدمة ابن آجروم، مولاي أحمد المعروف بالطاهر الإدريسي الحسني، مطبعة الواحات، غرداية، الجزائر، ط: 01، د ت.

93. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت.

94. كتاب غريب القرآن، السجستاني، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط: 01، 1416هـ - 1995م.

95. كتاب غريب القرآن، عبد الله بن عباس، تح: احمد بولوط، مكتبة الزهراء ، القاهرةن ج م ع، ط: 01، 1413هـ - 1993م.

96. كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

97. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 3، 2004م.

98. اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط: 1، 1422هـ - 2001م.

99. مباحث لغوية، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت.

100. محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وآثاره، أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 01، 1425هـ - 2004م.

101. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، أربد، الأردن، ط: 03، 1422هـ - 2001م.

102. المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، ج م ع، ط: 09، د ت.

103. مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، لبنان، ط: 01، 1423هـ - 2002م.

104. المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، د ط، د ت.

105. مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المغيلي، تح: رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، د ط، 1968م.

106. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، 1983م.

107. المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، عبد الحميد محمد أبو سكين، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ج م ع، ط: 02، 1402هـ - 1981م.

108. المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

109. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، 1966م.

110. المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، أحمد بن عبد الله الباتلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، م ع س، ط: 01، 1412هـ ـ 1992م.

111. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1422هـ ـ 2002م.

112. المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ج م ع، د ط، 1308هـ ـ 1988م.

113. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1414هـ ـ 1993م.

114. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1427/1426هـ ـ 2006م.

115. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1420هـ ـ 1999م.

116. المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د ت.

117. مقدم العي المصروم على نظم ابن آجروم، بادي بن محمد، مخطوط مرقون، عندي نسخة منه.

118. ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 19، د ت.

119. من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته آثاره، الصديق حاج أحمد، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

120. من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، د ط، د ت.

121. منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت.

122. المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني، ابن جني، تح: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، إدارة الثقافة العامة، ط: 01، 1373هـ - 1954م.

123. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون، سلسلة إصدارات الحكمة بريطانيا، دار الحكمة ، ط: 01، 1424هـ - 2003م.

124. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9 إلى القرن 14 الهجريين، عبد الحميد بكري، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، د ط، د ت.

125. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط: 03، 1405هـ - 1985م.

126. نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط: 02، 1423هـ ـ 2003م.

127. نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني، تح: مولاي عبد الله الطاهري، طبعة حجرية.

128. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1426هـ ـ 2005م.

129. هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

130. وصف إفريقيا، حسن بن محمد الوزان الفارسي، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1983م.

131. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

المجلات والدوريات والوثائق والمحاضرات:

1. أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أيام 13 ـ 14 شعبان 1405هـ / 3 ـ4 ماي 1985م، (محاضرة).

2. التعريف بحياة المزمري، الشيخ محمد باي بلعالم، (محاضرة) نسخة من المحاضرة تحت يدي.

3. دليل ولاية أدرار، جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار.

4. العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992م.(عدد خاص)

5. التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م.(عدد خاص)

6. مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ع: 09، 2010م.

7. مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ع: 47، ابريل 1992م، شوال 1412هـ.

8. مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع: 77، 1420هـ.

9. مجلة الحقيقة، جامعة ادرار، ع: 18، 2012م.

10. مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون والعلوم، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط (المملكة المغربية)، مج: 13، 1396هـ ـ 1976م.

11. مجلة اللغة العربية، القاهرة، ع: 13، 2005م.

12. مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، ع: 01، 2011م.

13. الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، منشورات جامعة ادرار، 2008 ـ 2009م.(عدد خاص)

14. الملتقى الوطني الخامس إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ادرار يومي: 06 ـ 07 مارس 2012م، (محاضرة).

الكتب الإلكترونية والمواقع:

1. عمر الحازمي، موقعه على الإنترنت: www.alhazme.net

2. موقع الشحر:

www.vb.alsheher.com/5120

3. موقع أهل الحديث الإلكتروني:

www.ahlallhadeet.com/vb/showthread

4. موقع فؤاد نعمه الإلكتروني:

www.fouadnemah.com

الرسائل الجامعية:

1. ألفية الغريب، محمد الزجلوي الشهير بابن العالم، د تح: عبد القادر بقادر، رسالة ماجستير، جامعة ادرار، 2009م.

2. تراجم شيوخ عبد الرحمن بن عمر، دراسة وتحقيق: باعثمان عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة بشار، سنة 2009م.

3. جهود أبي عبد الله المجاصي في خدمة علوم القرآن مع تحقيق نموذجين من إسهاماته رجز غريب القرآن، وشرح الدرر اللوامع، عبد اللطيف الميموني، (رسالة دكتوراه)، دار الحديث الحسنية للدراسات العليا، الرباط، المملكة المغربية، 1424هـ . 1425هـ / 2003م . 2004م.

4. الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، جعفري أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007م.

5. الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (من خلال نوازل الغنية للبلبالي)، بن عبد المؤمن بهية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006م.

6. الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية، دراسة وتحقيق: أمحمد مزايني، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، سنة 2007م ـ 2008م.

7. فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الأزهري خالد في علم النحو تأليف: الحاج عبد الرحمن حفصي الأدراري (دراسة)، محمد بن عبو، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 1431هـ ـ 2009م.

8. محمد بن أب الجزائري التواتي وجهوده في النحو، عماري عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010م.

9. محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، أحمد الحمدي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1999م.

10. نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، محمد جرادي، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،، قسنطينة، الجزائر،2011م.

المقابلات الشفهية:

1. مقابلة شفهية عبر الهاتف من مراكش المغربية مع مولاي عبد الحميد يوم:2007/10/13م على الساعة 20.00، بتوقيت الجزائر.

2. مقابلة شفهية مع أحد أحفاده الحاج أمحمد مبدوبي، بني تامر، يوم: 2012/08/25م.

3. مقابلة شفهية مع الشيخ باي رحمه الله تعالى في شهر أوت من عام 2008م.

مرجع باللغة الأجنبية:

1. الإخوان دراسة انثولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، إدوارد دو نوفو، ترجمة وتح: كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت.

2. A.G.P.MARTIN, A la frontière du Maroc les oasis sahariennes. Alger: Edition de L'imprimerie Algérienne, 1908.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

مقدمة.....أ - ح

الفصل التمهيدي: توات تاريخها والحركة العلمية بها.....10 ـ 46

أولا: توات الجغرافيا والسكان.....10

الموقع الجغرافي والفلكي.....10

تسمية الإقليم.....11

وصف الإقليم.....15

تشكيلة سكان توات.....18

ثانيا: الحياة الاجتماعية.....23

العادات والتقاليد.....24

النظام المعيشي.....26

ثالثا: الحركة العلمية والثقافية بتوات.....28

طرق الصوفية والزوايا.....28

الزوايا وأعلامها بتوات قديما وحديثا.....33

وظائف الزوايا العلمية والاجتماعية.....39

خزائن المخطوطات بتوات.....41

الباب الأول: الدرس النحوي بإقليم توات.....48 ـ 135

توطئة: النحو العربي.....48

الفصل الأول: جهود علماء توات في النحو العربي.....53

أولا: اهتمام علماء توات بالنحو العربي.....54

مواطن الدرس النحوي.....55

من علماء توات.....56

الشيخ عبد الكريم بن أمحمد.....57

الشيخ ضيف الله بن أب.....62

ثانيا: منظومات نحوية نظمت متونا نحوية.....67

مقدمة ابن آجروم.....67

ألفية ابن مالك.....71

شرح التصريح على التوضيح.....73

ثالثا: منظومات نحوية نظمت مسائل نحوية متفرقة.....75

نظم على معاني حروف الجر.....75

منظومة في إعراب تسبيح.....75

منظومة في التوابع.....76

منظومة في أسماء الإشارة.....77

أبواب نحوية متفرقة.....77

منظومة في بيان إعراب (الغياث الغياث).....79

أبيات حول مواضع زيادة كان.....80

الفصل الثاني: جهود علماء توات النحوية من خلال الشروح.....83

أولا: شروح المتون النحوية في توات.....83
مقدمة ابن آجروم.....84
شروح مقدمة ابن آجروم 84
شروح منظومات على مقدمة ابن آجروم.....85
كتاب الدر المنظوم شرح على مقدمة ابن آجروم.....85
العي المصروم شرح على نظم مقدمة ابن آجروم.....85
فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية.....86
الرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم.....87
كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.....88
لامية ابن المجراد في توات.....89
نيل المراد من لامية ابن المجراد.....90
غاية الأمل في إعراب الجمل.....91
ثانيا: دراسة في شرح "نيل المراد" للشيخ ابن أب.....91
وصف الكتاب.....91
قراءة في عنوان نيل المراد.....92
منهج ابن أب في نيل المراد.....93
مصادر ابن أب في الكتاب.....93
شواهد ابن أب في نيل المراد.....94
موقفه من الاختلافات النحوية.....98

ثالثا: جهود الشيخ بَايْ بلعالم النحوية.....100

حياة الشيخ بَايْ..... 100

الدراسة الوصفية لبعض مؤلفات الشيخ باي.....101

اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم.....101

التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة.....103

منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب.....106

الدراسة التحليلية.....107

المنهج المتبع في الشروح.....107

الشواهد المعتمدة في الشروح.....112

موقف الشيخ بَايْ من أقوال النحاة.....126

آراؤه النحوية.....128

مصادر الشيخ بَايْ في الشروح.....131

التعليل عند الشيخ بَايْ.....131

الزيادات والإضافات في الشروح.....133

الباب الثاني: الدرس الصرفي بإقليم توات.....137 ـ 196

توطئة: علم الصرف في الدرس اللغوي.....137

الفصل الأول: جهود علماء توات في علم الصرف.....143

أولا: اهتمام علماء توات بعلم الصرف.....143

مظاهر اهتمام علماء توات بعلم الصرف.....144

ثانيا: منظومات في علم الصرف.....144
محمد بن أب المزمري.....145
عبد الكريم بن أحمد النحوي التواتي.....148
محمد بن بادي.....149
الحاج عبد الرحمن حفصي.....151
دراسة في بعض الجهود المنظومة في علم الصرف.....153
روضة النسرين في مسائل التمرين.....153
هدية المجيب.....157
أعمال ابن بادي في الصرف.....160
أعمال الشيخ حفصي.....164
الفصل الثاني: جهود علماء توات في علم الصرف من خلال الشروح.....173
أولا: الشروح الصرفية في توات.....173
ثانيا: دراسة وتحليل لشروح صرفية.....175
شرح روضة النسرين في مسائل التمرين.....176
المنهج.....176
ترتيب المادة الصرفية في الكتاب.....177
المصادر.....178
الشواهد.....181
تعليلاته.....182

موقفه من الآراء والخلافات الصرفية.....183
ثالثا: الدرر المحمدة في تحقيق المشبهة لعبد الله البكري.....185
وصف المخطوط.....185
قراءة في العنوان.....187
الدراسة التحليلية.....189
المنهج.....189
ترتيب المادة الصرفية.....189
المصادر.....190
الشواهد.....192
تعليلاته.....193
الزيادة والتفصيل.....194
مذهبه النحوي والصرفي.....195
الباب الثالث: الدراس المعجمي بإقليم توات.....198 ـ 251
توطئة: المعجم العربي.....198
الفصل الأول: جهود علماء توات في التصنيف المعجمي.....205
اهتمام علماء توات بالتصنيف المعجمي.....205
الشيخ ابن العالم الزجلوي ومنظومة ألفية غريب القرآن.....208
أقسام المنظومة.....209
مصادر ألفية غريب القرآن.....210

منهج ابن العالم في الكتاب.....213
الشيخ البكري بن عبد الرحمن وكتاب الخيل.....215
مضمون المنظومة.....216
الشيخ حفصي والغرة في الجبين لأوجه في كلم المبين.....217
أقسام المنظومة.....219
المنهج المتبع في المنظومة.....220
الفصل الثاني: جهود علماء توات من خلال شروح المعاجم.....223
شروح كتاب غريب القرآن.....223
شرح ألفية الغريب لأحمد بن الطيب.....224
وصف المخطوط.....224
الدراسة والتحليل.....226
أسباب ودوافع الشرح.....226
المنهج المتبع في الشرح.....226
المصادر.....228
الشواهد.....229
أدوات التفسير.....229
الزيادات والإضافات.....230
شرح كتاب أوصاف الجياد.....232
وصف المخطوط.....232

الدراسة التحليلية.....233
أسباب ودوافع الشرح.....233
المنهج المتبع في الشرح.....234
المصادر.....235
الشواهد.....239
أدوات التفسير.....240
المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن.....241
وصف الكتاب.....241
الدراسة التحليلية.....242
أسباب ودواعي الشرح والتأليف.....242
المنهج المتبع في الشرح.....243
المصادر.....245
الشواهد.....246
أدوات التفسير.....248
الزيادات والإضافات.....248
تصويبات الشيخ بَايْ.....250
خاتمة.....253 ـ 255
الملاحق.....257 ـ 259
الملحق 1.....257

الملحق 2.....258

الملحق 3.....259

قائمة المصادر والمراجع.....261 ـ 282

فهرس الموضوعات.

الملخص

الملخص

تعالج هذه الدراسة موضوعا له أهمية كبيرة؛ فلطالما اتُّهِمَتْ توات باهتمام علمائها بالفقه الإسلامي مهملين الدرس اللغوي تمام الإهمال، إلا ما كان منه عرضا خلال الدرس الفقهي، مبتعدين عنه كل الابتعاد، ومن هنا حاولت الدراسة كشف الغطاء عن تلك الجهود التي بذلها علماء توات عبر التاريخ الطويل في حفظ التراث اللغوي من جهة، وفي تنميته وتطويره ووضع بصماتهم عليه.

فقد حاولت الدراسة أن تلمس جهود علماء توات في الدرس اللغوي من ثلاثة جوانب (نحو، وصرف، ومعجم) مبرزة إسهاماتهم فيها، مع دراسة وصفية وتحليلية لبعض تلك الجهود والإسهامات، وقد تجلت لنا في الدراسة جهود علماء توات في الدرس اللغوي بشكل خاص فيما أبدعوه من منظومات نحوية وصرفية ومعجمية، وشروح متون علمية، وقد تناولت الدراسة تلك الجهود والإسهامات بالدراسة والتحليل، محاولة إبراز مناهجهم فيها، ومصادرهم، وطريقة عرضهم للمادة العلمية.

ومن ثم فقد توصلت الدراسة إلى إبراز وإظهار كثير من الجهود والإسهامات التي وضعها علماء توات، وظلت حبيسة الخزائن دون دراسة أو تحقيق إلى حد الساعة، وأخرى محققة ومدروسة، كما بينت أصحاب تلك الأعمال الذين طوى عنهم التاريخ صفاحته حتى كاد الناس نسيانهم.

Résumé :

Cette étude traite une question d'une grande importance : les savants de Touat ont été accusés depuis longtemps de négliger totalement la leçon linguistique en favorisant celle de la jurisprudence islamique, sauf ce qu'il s'agissait d'une mention marginale au cours de la lecture religieuses. Alors, cette étude essaye de découvrir ces efforts des savants de Touat à travers l'histoire à sauvegarder du patrimoine linguistique d'une part, et de le développer et d'en mettre leur marque d'une autre part.

L'étude essaye de marquer les efforts des savants de Touat aux cours linguistiques à partir de trois niveaux (Grammatical, morphologique et lexique), en soulignant leurs contributions, avec une étude descriptive et analytique de certains de ces efforts et contributions. Les efforts des savants de Touat se sont manifestée dans l'étude linguistique notamment de ce qu'ils ont crée de systèmes morphologiques, grammaticales et lexicales, et aussi leur manière d'expliquer des textes scientifiques didactiques. L'étude a jeté de lumière sur ces efforts et contributions en les étudiant et les analysant ; une tentative d'en mettre en évidence leurs méthodes et références, et leur techniques à présenter le matériel scientifique.

Cette étude a donc arrivé à démontrer et découvrir les nombreux efforts et contributions des savants de Touat, négligés aux placards, sans être étudiés ou examinés jusqu'au présent, et d'autres, par contre, examinés et étudiés. Cette étude a redécouvert aussi les auteurs de ces œuvres qui sont presque oubliés.